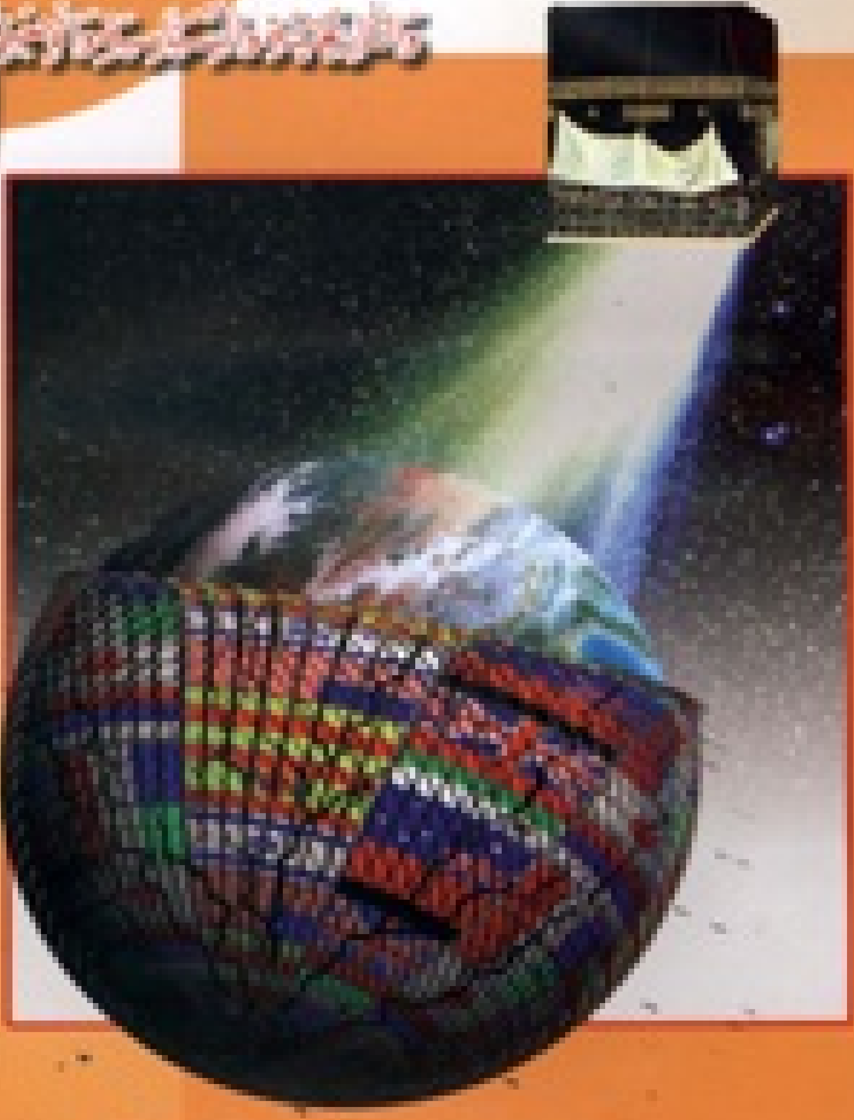
ميقات الحج

٥



■ الطواف من الطابق الأول ■ فقه التظليل في الحج ■ ومسجداً ضراراً

■ مكة المكرمة، عاصمة الثقافة الإسلامية

■ فلسفة الحج في مدرسة أهل البيت (ع) ■ من معالم التراث، رسالتان وقصيدة

بسم الله الرحمن الرحیم

دو فصلنامه « میقات الحج »

کاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

میقات الحج المجلد٥

اشارة

عنوان و نام پدیدآور : میقات الحج[پیایند: مجله]

مشخصات نشر : تهران: منظمة الحج و الزيارة، ١۴١٧ ق. - = ١٣٧۵ -

فاصله انتشار : شش ماه یکبار

یادداشت : عربی

فهرست‌نویسی براساس سال٣ شماره۵ سال١۴١٧ق.

یادداشت : این نشریه در بیروت نیز منتشر می‌شود

یادداشت : المدیرالمسؤول: محمد محمدی‌ری‌شهری

رئیس‌التحریر: علی قاضی‌عسکر

یادداشت : کتابنامه

ترجمه عنوان : Mighat al - haj

موضوع : حج -- نشریات ادواری

شناسه افزوده : محمدی ری‌شهری، محمد، ١٣٢۵، -مدیر مسئول

Muhammadi Reyshahri, Muhammad

قاضی عسکر، سیدعلی، ١٣٢۵، - سردبیر

شناسه افزوده : سازمان حج و زیارت

رده بندی کنگره : BP١٨٨/٨

رده بندی د... : ٢٩٧/٣۵٧٠۵

ص:١

كلمة التحرير

ص:۲

ص:۳

ص:۴

ص: ۵

العدد الخامس

كلمة التحرير

هاهى ميقات وبعددها هذا الذى بين أيديكم تضىء شمعتها المباركة الثالثة، فقبل عامين انضمّت «ميقات الحج» وبتواضع وثبات إلى أُسرة الصحافة الكبيرة حيث انصبّ كلُّ اهتمامها وقتئذ لنيل النصيب الأوفر من الأجر والعناية الإلهية، وانشداد الجمهور المثقّف إليها وكسب ودّه وتثمينه.

واليوم وبعد مضى تينك السنتين تحظى ميقات- وللّه الحمد- بالإقبال من مختلف شرائح القرّاء لماصدر منها إلى الآن، فكانت تلك بحقّ انعطافة لبعث روح الأمل فيها، وكسب رضا الكثيرين تجاهها.

وكنّا قد ذكرنا أن ميقات الحج تسعى لأن تكون ملتقىً لكلِّ الذين يمتلكون الرغبة لخدمة الأهداف العالية التيصدرت من أجلها المجلة، وتوسيع دائرة البحث انسجاماً مع تلك الأهداف والتعميق فى مفاهيمها، ويمكننا القول فى الوقت الحاضر وبثقة: إنّ العلماء الأفاضل والباحثين الكرام وأصحاب

ص: ۶

الأقلام الحرّة قد بذلوا جهوداً مشكورة وأبدوا همماً عالية، ملبّين بذلك دعوة أُسرة «ميقات الحج» على أكمل وجه.

وقد أشرنا من قبل إلى أنّ أبواب المجلة مفتوحة لتلقّى البحوث التى تتناول الأبعاد العرفانية والمعنوية للحجّ وتسبر غور أسراره وعلومه وفلسفته، وتبحث المسائل الفقهية، وتسلّط الضوء على العوامل ذات العلاقة من قريب أو بعيد بالسيرة النبوية العطرة من جهة وحياة أهل البيت عليهم السلام والصحابة الأجلاء والأحداث المهمة التى مرّت بهم فى مكة والمدينة ومدن الحجاز الأخرى من جهة أخرى، والتعريف بالحوادث التى جرت فى المراكز التأريخية واستكشاف وبيان ما فى الأماكن والآثار التى لم يبق من أغلبها- للأسف الشديد- سوى أسماء مجرّدة وحسب لتدونها فى ذاكرة التاريخ.

ويمكننا القول من أنَّ البحوث التى نُشرت فى الأعداد السابقة، التى تناولت الشؤون التأريخية والفقهية ... نالت إعجاب الكثيرين وجلبت أنظار المثقفين وطلاب العلم على السّواء. وفى الوقت الذى نؤكد فيه ضرورة تعميق البحث والتقصّى فى موضوع الفقه، نتمنّى أن تواصل المجلة مسيرتها وخطّها الثقافى خلال الأعداد المقبلة، ونرجو الاخوة والعلماء الأفاضل أن يُديموا بحوثهم ويزيدوا دقتها بتناول المواضيع من مختلف أبعادها مضيفين على ما تحويه عمقاً وجدّية.

ولا شك فى أنَّ التنوّع الحاصل فى البحوث واختلاف دراساتها، وفى نفس الوقت وضع الهدف الموحّد لتلك البحوث نصب الأعين، والتخصّص الذى اتّسمت به المجلة كانت من جملة العوامل التى جلبت أنظار العلماء والمثقفين نحوها.

ومن خلال حرص الكثيرين من العلماء والباحثين على أن تكون المجلة

ص: ۷

قد استوفت هدفها الأصلی، وتناولت أبعاد ذلک الهدف علی مختلف الأصعدة، وبالنظر إلی ثقل وحجم المسؤولیة التی تکلّفت المجلة بحملها، فقد أبدی العدید منهم آراءه واقتراحاته التی نلخصها فیما یلی:

۱- إنّ المستوی العلمی للمجلة، وللَّه الحمد، جیّد، وتحتوی علی مقالات فی الحج ذات عمق ونفع کبیرین.

۲- إنَّ البحوث التأریخیة والمعلومات الجدیدة والحدیثة فیما یخصّ موطن الوحی ومهبط الرسالة ممتعة جدّاً.

۳- وفیما یتعلّق بالأُسس الخاصة بالتحقیق والبحث، یُرجی الأخذ بنظر الاعتبار الأُمور التالیة:

الف- البحث والتحقیق فی الوضع الحالی لأهل الحجاز فی النواحی العقائدیة والسیاسیة والاجتماعیة.

ب- البُعد الفقهی والعرفانی والسیاسی للحجّ.

ج- الاختلافات الموجودة فی فتاوی علماء الإسلام فیما یخصّ مناسک الحج.

د- إجراء المقابلات مع المسؤولین واستعلام آرائهم حول تأدیة تلک المناسک علی أکمل وجه.

إنَّ الحـجّ فی الواقع رایـة الإسـلام وکمال الدین، حیث إنَّ المسائل المتعلّقة به والأُمور التی تتجلّی فی هذا «الاجتماع العظیم» والحقائق والأسرار المکنونة فیه، سواء فی الأعمال المؤدّاة أم الأبعاد الملحوظة فی الحجّ کثیرة ولا تُحصر بما هو ظاهری.

عن بکیر بن أعین، عن أخیه زرارة قال: قلت لأبی عبد اللَّه علیه السـلام: جعلنی اللَّه فداک، أسألک فی الحج منذ أربعین عاماً فتفتینی، فقال: یا زرارة، بیت حُجَ

ص: ۸

إليه قبل آدم بألفى عام تريد أن تفنى مسائله فى أربعين عاماً.

لقد وصف اللَّه الحجّ بأنّه «قياماً للناس»، وأنَّ هذا التجمّع البهىّ يحوى منافع عظيمة للأُمة جمعاء. فكيف يوجد كلّ ذلك فى مراسم وشعائر جليلة كهذه، وما هو سبيل الوصول إليها بالنظر إلى الأبعاد السياسية والثقافية والاجتماعية للحجّ دون الاهتمام الواسع بتلك الأبعاد وبذل قصارى الجهود فى بحثها؟ وكيف الحصول على كلّ تلك المنافع وما زالت الأُمّة الإسلاميّة تحترق بنيران الفرقة، بينما تسعى الأيادى الظاهرة والخفيّة منها جاهدة لزرع بذور الحقد والغضب فى قلوب أبناء القبلة الواحدة؟ لا ريب فى أنّ الحجّ إنّما هو فرصة ثمينة تعطى للمسلمين فى المجتمع الإسلامى لكى يأتوا إلى الوطن الحبيب، تاركين وراءهم العصبية والجاهلية والإقليمية والعنصرية، فيجتمعوا ويبتكروا وسائل وطرقاً لرفع الجهل وسوء التفاهم وإزالة الأحقاد وترك الضغائن للاستفادة من هذه الفريضة ومنافعها وثمارها، وأن يأخذوا على عاتقهم الخَطْوَ الصحيح باتجاه استرجاع «العزّة المسلوبة» لهذه الأُمّة. وهذا على عليه السلام، يقول: «النّاسُ أعداءُ ما جَهِلُوا»

ولا يوجد موضع ولا مناسبة أفضل من الحج حيث تتمكن الأمة الإسلامية من إزالة الظلمة والجهالة عن المجتمع الإسلامى ومناخه، والتعرّف على حقائق الأحداث التى تجرى داخل الأقاليم المسلمة كما هى، والتخلّص من الظنون السيّئة والآراء المنحرفة، وأن يساهموا فى معرفة الوجوه الحقيقية لبعضهم البعض فى ظِلّ الإدراك الصحيح والفضاء الفكرى الحرّ الواضح.

لا جَرَمَ أنَّ المقالات التى ستتضمن فى داخلها كلَّ أبعاد الحجّ تلك، وتبيّن للجميع الحلول القويمة للمسائل المطروحة، ستكون بحقّ مقالات مفيدة وفعّالة

ص: ۹

ومؤثرة.

وکلّنـا أمل فی أن تحوز هـذه البحوث علی فُرص نشـر کبیرة، وأن تُساعـد فی الاطّلاع الصّائب حول الحـج وما یخصّه، ومعرفـة علومه وأسراره.

وفی الختام نشـکر جهود حجـة الإسـلام الشـیخ محمـد علی مقـدادی والأسـتاذ محسن الأسـدی اللـذین بـذلا جهوداً کبیرةً فی إصدار الأعداد الخمسة من مجلة میقات الحج، ونتمنّی لهما الموفقیّة لإصدار الأعداد الآتیة من هذه المجلة المبارکة إن شاء اللّه.

رئیس التحریر

الحجّ فی احادیث الامام الخمینی قدس سره

ص: ۱۰

الحجّ فی أحادیث الإمام الخمینی قدس سره

یا حجاج بیت اللَّه الحرام! انتبهوا إلی أن السفر إلی الحجّ لیس سفراً للتجارة، ولیس سفراً لتحصیل أمور الدنیا، إنما هو سفر إلی اللَّه. أنتم ذاهبون إلی بیت اللَّه الحرام، فأتمّوا کلّ الأمور والأعمال المطلوبة منکم بطریقة إلهیة. إنّ سفرکم الذی یبدأ من حین التهیّؤ هو وفادة إلی اللَّه، سفر إلی اللّه تعالی وکما أن الأنبیاء علیهم السلام والعظماء من دیننا مسافرون إلی اللَّه فی جمیع أحوالهم وأوقات حیاتهم، ولم یتخلّفوا خطوة واحدة عن أی شیء فی برنامج الوصول إلی اللَّه، أنتم- أیضاً- یجب أن یکون سفرکم إلی اللَّه تعالی، ففی المیقات الذی تذهبون إلیه تلبون فیه نداء اللَّه، وتقولون لبّیک اللهم لبّیک، یعنی أنت تدعونا ونحن نجیب الدعوة، معاذ اللَّه أن تقوموا بعمل لا یرضاه اللَّه تبارک وتعالی.

ص: ١١

أنـا لاـ أريـدكم ولا اقبلكم إذ كنتم غير إسـلاميين. معاذ اللَّه أن تجعلوا هـذا السـفر سـفراً للتجارة أو أن يكون ميـداناً تبحثوا فيه الأمور والمسائل التجارية فيما بينكم.

أيها السادة أهل العلم، أيتها القوافل، يا رؤساء القوافل، يا سائر الحجاج، هذا السفر سفر إلى اللَّه وليس سفراً إلى الدنيا، فلا تلوّثوه بها.

*** إن أهم الأـمور فى جميع العبـادات هو الإخلاـص فى العمـل. وإذا قـام شـخص- لاـ سـمح اللَّه- بعمـل مـا لأجـل التظاهر به أمام الآـخرين، وعرض عمله الجيّـد أمـامهم، فـإن عمله يصـبح باطلًا. ولينتبه الحجّـاج المحترمون وليواظبوا على عـدم إشـراك غير اللَّه فى أعمالهم بأن تكون لوجهه الكريم فقط.

إن الجهات المعنويـة للحج كثيرة، والمهم فيها أن يعرف الحاج إلى أين يذهب ودعوة من يلبّى؟ وأنه ضـيف من؟ وما هى آداب هذه الضيافة؟

وليعلم أن الغرور والنظرة الذاتيـة لاـ يجتمعـان مع حب اللَّه وطلبه، بـل يتناقضان مع حبّ اللَّه والهجرة إليه، وبالتالى تكونان سـبباً لنقص معنويات الحـج ونقض أجره وثوابه. وإذا ما اكتسب الإنسان الحاج معنويات الحج وأجره وثوابه وقطف ثمار مناسـكه، وإذا ما تحققت لبّيكصادقـة ومقرونة بنداء الحقّ تعالى، حينها ينتصـر الإنسان فى جميع الميادين السياسـية والاجتماعية والثقافية وحتى العسـكرية، ومثل هذا الإنسان لن يعرف الهزيمة.

ص: ۱۲

إلهی اجعل جزءاً من هذا السیر والسلوک المعنوی واجعل الهجرة الإلهیة من نصیبنا جمیعاً.

*** لیلتفت أولئک الذین یذهبون إلی الحج أن لا یخلطوا- لحظة واحدة- حجّهم بالمعاصی. ینبغی أن یکون کلّ شیء إسلامیاً وکل شیء عبادة، لتکن المظاهرات عبادة، ولتکن الشعارات عبادیة، خالیة من المعصیة، لتکن علی النحو الذی أراده اللّه، وأن لا یفعل کلّ واحد منکم ما یرید، وأن یقول لمن یرید کلاماً سیّئاً. یجب أن یکون کلامنا وفعلنا وکلّ شیء طبق برنامج إسلامیصحیح وأن لا نغفل عنه أبداً.

ص: ۱۳

الحجّ فى أحاديث الإمام الخامنئى

(مد ظله العالى)

قال اللّه الحكيم: «وإذ بوّأنا لإبراهيمَ مكانَ البيتِ أن لا تُشرك بى شيئاً وطهّر بيتى للطائفين والقائمين والرّكّع السجود».

شاءت الإرادة الإلهيـة النافذة أن تجمع المؤمنين مرّة أُخرى فى منبثق التوحيد، ومشـهد رحمة ربّ العالمين وفضـله، وحول محور كعبة القلوب، وفى ساحة قبلة أرواح المسلمين فى العالم ... فتفوّق النداء الملكوتى: «وأذّن فى الناس بالحجّ» على كلّ الفواصل الطبيعية منها والمفتعلة المفروضة بين الإخوة المسلمين، ودفع مجاميع القلوب النابضة بالإيمان والآمال المشتركة نحو مركز التوحّد ووحدة الأمة.

منذ سنوات طوال سعت يد الجهل والعناد إلى أن تفصل الأسرة الإسلامية الكبرى عن حضورها العقائدى، وعن روابطها الإيمانية.

ولكن فريضة الحجّ السنوية تؤدّى دورها فى تغذية الأسرة العريقة

ص: ۱۴

الأصيلة بدرس التوحيد والوحدة ... وفى كلّ سنة تنفتح أزاهير جديدة، تزيد عمّا مضى، مبشّرةً بعودة ربيع الإيمان، والحياة فى ظل الدين، والتآلف والتوادد بين المسلمين ... ومحبطة عمل الأعداء وما كانوا يأفكون.

إنّها لمعجزةُ الحجّ أن نرى الوشائج الفكرية والعاطفية والايمانية بين الشعوب المسلمة لمّا تنقطع أبداً، وأن التفاعل بين هذه الشعوب يزداد باطّراد رغم كلّ النزاعات والصراعات التى تختلقها وتبثها حكوماتها وأعداؤها.

أسرار الحج ورموزه أكثر من أن يحتويها مقال، غير أن بينها ثلاث خصائص بارزة تستطيع كلّ عين مستقصية أن تتعرّفها فى أول نظرة:

الأولى: أن الحج هو الفريضة الوحيدة التى دعا ربّ العالمين الى أدائها جميع المسلمين- من استطاع اليه سبيلًا- ومن أرجاء العالم كافة، وصوب نقطة واحدة، وفى أيام معلومات، ليربط بينهم فى ألوان من السعى والحركة والسكون والقيام والقعود.

«ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا اللّه إن اللّه غفور رحيم».

الثانية: أن الهدف الأسمى فى هذا العمل الجماعى والعلنى والقلبى والنفسى هو ذكر اللّه:

«ويذكروا اسم اللّه فى أيام معلوماتٍ على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير».

ص: ۱۵

الثالثة: أن الحج يعرض على شاشته المضيئة البيّنة تصويراً كاملًا لحياة الإنسان الموحّد. وبعمل رمزى يلقّن المسلمين درس الحياة المتحركة الهادفة. منذ ورود الميقات وحضور ساحة الإحرام والتلبية والتروك حتى الطواف حول الكعبة والسعى بين الصفا والمروة، والوقوف فى محشر عرفات والمشعر وما فيهما من ذكر وتضرّع وتعارف، وحتى وصول منى وأضحيتها ورمى جمارها وحلقها، ثم العودة إلى الطواف والسعى ... يتلقّى المسلم فيها جميعاً دروساً واضحة بيّنة فى الحركة الهادفة والجماعية والعارفة فى ساحة التوحيد، وعلى درب الحياة وحول محور «اللَّه» سبحانه.

الحياة فى منهج الحج سير دائم بلصيرورة مستمرة نحو اللَّه. والحج هو الدرس العملى الحى البنّاء الذى إن وعيناه يرسم لنا طريق حياتنا فيصورة عملية مشرقة.

اسرار الحجّ وأعماله الباطنة من شرح نهج البلاغة

ص: ۱۶

أسرار الحجّ وأعماله الباطنة من شرح نهج البلاغة

لكمال الدين ميثم بن على بن ميثم البحرانى

من أعلام القرن السابع الهجرى

اعداد: فارس تبريزيان

بعدما شرعت بكتابة بحث: الحجّ فى نهج البلاغة، واعتمدت فيه على أقدم الشروح وأكثرها اعتباراً، عثرت على بحث لطيف لكمال الدين ميثم بن على بن ميثم البحرانى، من أعلام القرن السابع الهجرى، حول أسرار الحج وأعماله الباطنة ووجه الحكمة فى الحج، ضمّنه كتابه الشريف شرح نهج البلاغة، ذكره بعد شرحه للمقطع المتضمن لذكر الحج فى آخر الخطبة الأولى من نهج البلاغة.

ورأيتُ بحثه هذا شاملًا لأدقّ المعانى العرفانية فى أسرار الحج وأعماله الباطنة، ذكر فيه الأحاديث المروية عن النبيِّصلى الله عليه و آله و سلم وأهل بيته عليهم السلام، وأشار إلى نكات دقيقة لا توجد فى غيره.

فعزمتُ على إفراد هذا البحث ونشره مستقلًا، ليعمّ به النفع، وإنما سمّيته: أسرار الحج وأعماله الباطنة؛ لأنه قال فى آخر البحث: فهذه هى الإشارة إلى أسرار الحج وأعماله الباطنة.

موجز عن حياة كمال الدين ميثم البحرانى:

ولد ونشأ كمال الدين ميثم بن على بن ميثم البحرانى فى البحرين، فى بيئة

ص: ۱۷

تحيطه بالعلم والتقوى، وبذل والده فى تربيته أقصى الجهد، واستفرغ فى تأديبه وتهذيبه وسعه، وبوّأه من علمه وحكمته مبوّأصدقٍ.

درس على أساتذة الفنّ العلوم العربية وأتقنها، ثمّ العلوم الشرعية العقلية والنقلية، وصار من العلماء الأتقياء المعروفين.

غلبت عليه العزلة واختارها وأحبها.

جرت بينه وبين علماء العراق مكاتبات، مما أدّت إلى خروجه عن العزلة والتوجّه إلى العراق وإيران لأجل زيارة العتبات المقدسة والاجتماع بالعلماء.

استغرقت رحلته هذه عدّة سنين، وكان فى السفر أيضاً لا يفتر عن المطالعة والبحث، حتّى إنه ألّف شروحه الثلاثة لنهج البلاغة فى السفر.

كان رحمه الله كثير العبادة، كثير المطالعة، كثير الإرشاد للناس والموعظة.

وأما مشايخه فلم تذكر لنا المصادر غير ثلاثه منهم، ونقطع بأنهم أكثر من هذا العدد، أهملت ذكرهم مصادر التراجم:

أبو السعادات أسعد بن عبد القاهر بن أسعد الاصفهانى.

جمال الدين على بن سليمان بن يحيى بن محمد بن قائد بنصباح البحرانى.

نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسى.

وروى عن البحرانى بعض الفقهاء والمحدّثين، منهم:

غياث الدين السيد عبد الكريم بن أحمد بن موسى الطاوس الحسنى.

محمد بن على بن محمد بن جهيم الأسدى الحلى، وغيرهما.

وأمّا مؤلفاته:

شروح نهج البلاغة: كبير، ومتوسط، وصغير.

ص: ۱۸

شرح المائة كلمة.

استقصاء النظر فی إمامة الأئمة الاثنی عشر.

البحر الخضیم، فی الإلهیات.

رسالة فی الوحی والإلهام.

شرح الإشارات.

نجاة القیامة فی تحقیق الإمامة، ویحتمل اتحاده مع استقصاء النظر.

القواعد الإلهیة فی الکلام والحکمة.

وألّف الشیخ سلیمان البحرانی فی أحواله رسالة سماها: السلافة البهیة فی الترجمة المیثمیة.

توفی قدس سره فی البحرین فی أواخر القرن السابع الهجری، ودفن بها (۱).

وأمّا هـذا البحث- أسـرار الحـجّ وأعماله الباطنـة- فذكره قدس سـره فی شـرحه علی نهج البلاغة الكبیر، والذی طبع مرّتین فی خمسـة مجلدات، الأولی فی النجف سـنة ۱۳۷۹ ه، والثانیة فی طهران سـنة ۱۴۰۴ ه مطبعـة خدمات چاپی، واعتمدنا فی نقله علی الطبعة الثانیة، والذی یقع فی الجزء الأول منصـفحة ۲۲۳ إلیصفحة ۲۳۲، وقوّمنا نصّه وصـحّحناه بقدر الإمكان، وأضفنا بعض العناوین ووضعناها بین معقوفین.

[بسم اللَّه الرحمن الرحیم]

واعلم، أنّا لمّا بیّنّا وجوب العبادات، وأشـرنا إلی وجه الحكمة فیها، فبالحریّ أن نشـیر إلی وجه الحكمة فی خصوص الحج من جملتها، ونؤخّر تفصیل باقیها إلی مواضعه، إن شاء اللَّه.

۱- ۱ تجـد ترجمته فی: أمـل الآمل ۲/ ۳۳۲، تنقیح المقال ۳/ ۲۶۲، روضات الجنات ۷/ ۲۱۶، الغدیر ۴/ ۱۸۸، بحار الأنوار: المقدمة، أنوار البدرین: ۶۲، خاتمة المستدرک ۳/ ۴۶۱، مجالس المؤمنین ۲/ ۲۱۰، لؤلؤة البحرین: ۲۵۳، ومصادر أخری كثیرة.

ص: ١٩

[مقدّمة]

فأمّا الحجّ، فإنّكَ لمّا عرفت أنّ الغرض الأول من العبادات هو جذب الخلق إلى جناب الحقّ، بالتذكير له ودوام إخطاره بالبال، لتجلّى لكَ الأسرار على طول التذكار، وينتهى فى ذلك من أخذَتِ العنايةُ بيده إلى مقام المخلصين.

فمن جملة أسرار اللَّه سبحانه المنزلَة على لسان رسوله، تعيين موضع من البلاد، أنه أصلح المواضع لعبادة اللَّه، وأنّه خاص له.

ولابدّ أن تُبنى مثل هذه الأوضاع على إشارات ورموز إلى مقاصد حقيقية، يتنبّه لها مَن أخذ التوفيق بزمام عقله إليها.

ولابدّ من تعيين أفعال تفعل فى ذلك المكان، وأنها إنما تفعل فى ذات اللَّه سبحانه.

وأنفع المواضع المعيّنة فى هذا الباب ما كان مأوى (١)الشارع ومسكنه، فإنّ ذلك مستلزم لذكره، وذكره مستلزم لذكر اللَّه سبحانه، وذكر ملائكته واليوم الآخر.

ولمّا لم يكن فى المأوى الواحد أن يكون مشاهداً لكلّ أحدٍ من الأمة، فالواجب إذن أن يفرض إليه مهاجرة وسفراً، وإن كان فيه نوع مشقّة وكلفة:

من تعب الأسفار، وإنفاق المال، ومفارقة الأهل والولد والوطن والبلد.

ونحن نذكر فضيلته من جهة السمع، ثم نشير إلى ما ينبغى أن يوظّف فيه من الآداب الدقيقة، [ثم نشير إلى الوظائف القلبية] والأعمال الباطنة عند كلّ حركة وركن من أركان الحج، مما يجرى من تلك الأركان مجرى الأرواح للأبدان.

فإذن هاهنا أبحاث:

١- ١ المأوى- بفتح الواو- لكلّ حيوان: مسكنه المصباح المنير: ٣٢ أوى.

ص: ۲۰

البحث الأول:

[فضيلة الحج من جهة السمع]

أمّا الفضيلة، فمن وجوه:

الأول: قوله تعالى: «وَأَذِّنْ فِى النّاس بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رجالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» (۱)

، قال قتادة: لمّا أمر اللَّه عزّ وجلّ خليله إبراهيم عليه السلام أن يؤذّن فى الناس، [ف] نادى: «أنّ للَّهبيتاً فحجّوه».

وقال تعالى: «لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ» (۲)

، قيل: التجارة فى المواسم والأجر فى الآخرة، ولمّا سمع بعض السلف هذا قال: غفر لهم وربّ الكعبة.

الثانى: قال عليه السلام: «مَن حجّ ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه» (۳).

وقد عرفتَ كيفيّة نفع العبادات فى الخلاص من الذنوب.

الثالث: قالصلى الله عليه و آله و سلم: «ما رؤى الشيطانُ فى يوم هو أصغر ولا أحقر ولا أغيض منه يوم عرفة» (۴).

وما ذلك إلّالما يرى من نزول الرحمة، وتجاوز اللَّه عن الذنوب العظام، إذ يقال: «من الذنوب مالا يكفّرها إلّاالوقوف بعرفة»، أسنده الصادق عليه السلام إلى الرسولصلى الله عليه و آله و سلم (۵).

وكان سرّ ذلك: ما يحصل من رحمة اللَّه، ويُفاض على أسرار العبادة التى قدصفَتْ بشدّة الاستعداد الحاصل من ذلك الموقف العظيم، الذى يجتمع فيه العالم أشدّ اجتماع، فان الاجتماع سببٌ عظيمٌ فى الانفعال والخشية للَّهوقبول أنواره، كما سنبينه إن شاء اللَّه.

الرابع: قالصلى الله عليه و آله و سلم: «حجّةٌ مبرورةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها، وحجّةٌ مبرورةٌ ليس لها أجرٌ إلّاالجنّة» (۶).

۱- ۱ الحج: ۲۷.

۲- ۲ الحج: ۲۸.

۳- ۳ عوالى اللئالى ۱/ ۴۲۶ ح ۱۱۳، مستدرك الوسائل ۸/ ۴۱ ح ۲۲.

۴- ۴ كنز العمال ۵/ ۷۲- ۷۳ ح ۱۲۱۰۵ و ۱۲۱۰۶، ونقله عن شرح ابن ميثم البحرانى هذا، فى مستدرك الوسائل ۱۰/ ۴۳ ح ۱۱۴۰۷.

۵- ۵ مثله فى المستدرك ۸/ ۳۷ ح ۹۰۱۰، ۱۰/ ۳۰ ح ۱۱۳۸۲.

۶- ۶ مثله فى الوسائل ۱۱/ ۹۶ ح ۱۴۳۳۲، المستدرك ۸/ ۴۱ ح ۹۰۲۲ و ۹۰۲۴، البحار ۹۹/ ۱۱ ح ۳۴.

ص: ۲۱

[الخامس] قالصلى الله عليه و آله و سلم: «الحجّاجُ والعمّارُ وَفْدُ اللَّه وزوّاره، إن سألوه أعطاهم، وإن استغفروه غفر لهم، وإن دعوه استجاب لهم، وإن شفعوا إليه شفّعهم» (۱).

السادس: روى عنهصلى الله عليه و آله و سلم من طرق أهل بيته عليهم السلام: «أعظم الناس ذنباً مَن وقف بعرفة وظنّ أنّ اللَّه لم يغفر له» (۲).

وفى فضل جزئيات الحج أخبار كثيرة تُطلب من مظانّها (۳).

البحث الثاني:

فى الآداب الدقيقة

وهى عشرة:

الأول: أن تكون النفقة حلالًا، ويخلو القلب عن تجارة تشغله سوى اللَّه تعالى.

وفى الخبر من طريق أهل البيت: «إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحج على أربعة أصناف: سلاطينهم للنزهة، وأغنياؤهم للتجارة، وفقراؤهم للمسألة، وقرّاؤهم للسمعة» (۴).

وفى الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا الّتى يتصور أن تتصل بالحج، فكلّ ذلك مانع لفضيلة الحج ومقصود الشارع منه.

الثانى: أن لا يساعد الصادّين عن سبيل اللَّه والمسجد الحرام بتسليم المكوس (۵) إليهم، فإنّ ذلك إعانة على الظلم، وتسهيل لأسبابه، وجرأة على سائر السالكين إلى اللَّه، وَلْيَحْتَلْ فى الخلاص، فإن لم يقدر فالرجوع أولى من إعانة الظالمين على البدعة وجعلها سنة.

الثالث: التوسّع فى الزاد، وطيب النفس فى البذل، والإنفاق بالعدل، دون

۱- ۱ الكافى ۴/ ۲۵۵ ح ۱۴، التهذيب، ۵/ ۲۴ ح ۷۱، الوسائل ۱۱/ ۹۹ ح ۱۴۳۴۰، وفى جميع هـذه المصادر الروايـة عن أبى عبد اللَّه عليه السلام.

۲- ۲ الفقيه ۲/ ۱۳۷ ح ۵۸۷، الوسائل ۱۳/ ۵۴۷ ح ۱۸۴۰۷، مستدرك الوسائل ۱۰/ ۲۹- ۳۰ ح ۱۱۳۷۹- ۱۱۳۸۱.

۳- ۳ راجع: الوسائل ۱۱/ ۹۳ ب ۳۸ وغيره من الأبواب، المستدرك ۸/ ۲۴ ب ۲۴ وغيره من الأبواب.

۴- ۴ موسوعة أطرف الحديث ۱/ ۳۷۴، عن إتحاف السادة المتقين للزبيدى.

۵- ۵ المكس: الجباية، جمع على مكوس، وقد غلب استعمال المكس فيما يأخذه أعوان السلطان ظلماً. المصباح المنير: ۵۷۷ مكس.

ص: ۲۲

البُخل والتبذير، فإنّ بذلَ الزادِ فى طريق مكة إنفاقٌ فى سبيل اللّه.

قالصلى الله عليه و آله و سلم: «الحجّ المبرور ليس له أجرٌ إلّاالجنة»، فقيل: يا رسول اللّه ما برّ الحجّ؟ قال: «طيب الكلام، وإطعام الطعام» (۱).

الرابع: ترک الرَفَثَ والفُسُوق والجدال، كما قال تعالى: «فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِى الْحَجِّ» (۲).

والرفث: كلّ لغوٍ وفحشٍ من الكلام، ويـدخل فى ذلک محادثة النساء بشأن الجماع المحرّم، فإنّها تهيّج داعيته، وهى مقدّمة له، فتحرم، ومن لطف الشارع إقامة مظنّة الشىء مقام الشىء حسماً لمادّته.

والفسوق: الخروج عن طاعة اللّه.

والجدال: هو المماراة والخصومة الموجبة للضغائن والأحقاد وافتراق كلمة الخلق (۳).

وكلّ ذلک ضدّ مقصود الشارع من الحجّ، وشغلٌ عن ذكر اللّه.

الخامس: ٠ ن يحج ماشياً مع القدرة ونشاط النفس، فإنّ ذلک أفضل وأدخل للنفس فى الإذعان لعبودية اللّه.

وقال بعض العلماء: الركوب أفضل، لما فيه من مؤونة الإنفاق، ولأنّه أبعد من الملال، وأقلّ للأذى، وأقرب إلى السلامة وأداء الحجّ.

وهذا التحقيق غير مخالف لما قلناه، والحقّ التفصيل، فيقال: مَن سهل عليه المشى فهو أفضل، فإن أضعف وأدّى إلى سوء خلق وقصور عن العمل فالركوب أفضل، لأنّ المقصود توفّر القوى على ذكر اللّه تعالى، وعدم المشتغلات عنه.

السادس: أن يركب الزاملة، دون المحمل، لاشتماله على زىّ المترفين والمتكبرين، ولأنه أخفّ على البعير، اللهمّ إلّالعذرٍ.

۱- ۱ جامع أحاديث الشيعة ۱۰/ ۱۶۶ ح ۴۸۴ عن عوالى اللئالى.

۲- ۲ البقرة: ۱۹۷.

۳- ۳ فى بعض النسخ: الحق.

ص: ۲۳

حجّ رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم على راحلته، وكان تحته رحل رثّ وقطيفة خلقة، قيمته أربعة دراهم، وطاف على الراحلة لينظر الناس إلى هيأته وشمائله، وقال:

«خذوا عنّى مناسككم».

السابع: أن يخرج رثّ الهيأة، أقرب إلى الشعث، غير مستكثر من الزينة وأسباب التفاخر، فيخرج [فإذا استكثر خرج] بذلك عن حزب السالكين وشعار الصالحين.

روى عنهصلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: «إنّما الحاجّ الشعث التفث (۱)، يقول اللّه تعالى لملائكته: انظروا إلى زوّار بيتى قد جاؤونى، شعثاً غبراً من كلّ فجّ» (۲).

وقال تعالى: «ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» (۳)

، والتفث: الشعث والإغبرار، وقضاؤه: بالحلق وتقليم الأظفار.

الثامن: أن يرفق بالدابة، ولا يحملها ما لا تطيق.

كان أهل الورع لا ينامون على الدابة إلّاغفوة من قعود.

قالصلى الله عليه و آله و سلم: «لا تتخذوا ظهور دوابّكم كرسىّ» (۴).

ويستحب أن ينزل عن دابته غدوّة وعشيّة، يروّحها بذلك، فهو سنّة.

وسرّ ذلك: مراعاة الرقّة والرحمة، والتخلّى عن القسوة والظلم، ولأنّه يخرج بالعسف عن قانون العدل ومراعاة عناية اللّه وشمولها، فإنها كما لحقت الإنسان لحقت سائر الحيوان.

التاسع: أن يتقرب بإراقة دم، ويجتهد أن يكون سميناً ثميناً.

روى: أن عمر أهدى نجيبة، فطُلبت منه بثلاثمائة دينار، فسأل رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بُدُناً، فنهاه رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم وقال: «بل اهدها» (۵)، وذلك لأنّ المقصود ليس تكثير اللحم، وإنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن رذيلة البُخل وتزيينها بجمال التعظيم للّه، «لَن ينالَ اللَّهَ لحُومُها وَلا

۱- ۱ تَفِثَ تَفَثاً فهو تفِثٌ: إذا ترك الإدّهان والاستحداد فعلاه الوسخ. المصباح المنير: ۷۵ تفث.

۲- ۲ عوالى اللئالى ۴/ ۳۶ ح ۱۲۳، المستدرك ۸/ ۴۱ ح ۹۰۲۳.

۳- ۳ الحج: ۲۹.

۴- ۴ مسند أحمد ۳/ ۴۴۱، باختلاف، وفى الوسائل ۱۱/ ۴۸۱ ح ۱۵۳۱۳: «لا تتخذوا ظهورها مجالس».

۵- ۵ كنز العمال ۵/ ۲۳۳ ح ۱۲۷۲۲، باختلاف.

ص: ۲۴

دِمَاؤُها وَلِكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُم» (۱).

قالصلى الله عليه و آله و سلم: «ما عمل آدميّ من عملٍ يوم النحر أحبّ إلى اللَّه عزّ وجلّ من إهراق الدم إنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها، وإن الدم ليقع من اللَّه بمكانٍ قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفساً» (۲).

العاشر: أن يكون طيّب النفس بما أنفقه من هدى وغيره، وبما أصابه من خسران ونقيصة مال، إن أصابه ذلك فإنّه بذلك يكون مكتفياً إلى اللَّه سبحانه عن كلّ ما أنفقه، متعوّضاً عنه ما عند اللَّه، وذلك علامة لقبول حجّه.

البحث الثالث:

فى الوظائف القلبية عند كلّ عمل من أعمال الحجّ

اعلم، أنّ أول الحج فهم موقع الحجّ فى الدين، ثمّ الشوق إليه، ثمّ العزم عليه، ثمّ قطع العلائق المانعة عنه، ثمّ تهيئة أسباب الوصول إليه من الزاد والراحلة، ثمّ السير، ثمّ الإحرام من الميقات بالتلبية، ثمّ دخول مكة، ثمّ استتمام الأفعال المشهورة.

وفى كلّ حالة من هذه الحالات تذكرةٌ للمتذكّر، وعبرة للمعتبر، ونيّةٌ للمريد الصادق، وإشارةٌ للفطن الحاذق، إلى أسرار يقف عليها بصفاء قلبه وطهارة باطنه إن ساعده التوفيق.

أمّا الفهم:

فاعلم، أنه لا ـ وصول إلى اللَّه إلّابتنحية ما عداه عن القصد من المشتهيات البدنية واللذات الدنيوية، والتجريد فى جميع الحالات، والاقتصار على الضروريات، ولهذا انفرد الرهبان فى الأعصار السالفة عن الخلق فى قلل

۱- ۱ الحج: ۳۷.

۲- ۲ كنز العمال ۵/ ۸۴ ح ۱۲۱۵۳.

ص: ۲۵

الجبال، توحّشاً من الخلق، وطلباً للأُنس بالخالق، وأعرضوا عن جميع ما سواه، ولذلک مدحهم بقوله: «ذَلِکَ بِأَنّ مِنْهُمْ قِسّیسِینَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لَا یَسْتَکْبِرُونَ» (۱).

فلمّا اندرس ذلک، وأقبل الخلق علی اتّباع الشهوات، والإقبال علی الدنیا، والالتفات عن اللَّه، بعث نبیّهصلی الله علیه و آله و سلم، لإحیاء طریق الآخرة، وتجدید سنة المرسلین فی سلوکها، فسأله أهل الملل عن الرهبانیّة والسیاحة فی دینه، فقال:

«أبدلنا بها الجهاد والتکبیر علی کلّ شرف» یعنی: الحج، وسئل عن السائحین، فقال: «هم الصائمون»، فجعل سبحانه الحجّ رهبانیة لهذه الأمّة.

فشرّف البیت العتیق بإضافته إلی نفسه، ونصبه مقصداً لعباده، وجعل ما حوله حرماً لبیته، تفخیماً لأمره، وتعظیماً لشأنه، وجعل عرفات کالمیدان علی باب حرمه، وأکّد حرمة الموضع بتحریمصیده وشجره، ووضعه علی مثال حضرة الملوک، یقصده الزوّار من کلّ فجّ عمیق، شعثاً غبراً، متواضعین لربّ البیت، مستکینین له خضوعاً بجلاله واستکانةً لعزّته، مع الاعتراف بتنزیهه عن أن یحومه مکان، لیکون ذلک أبلغ فی رقّهم وعبودیّتهم.

ولذلک وظّف علیهم فیها أعمالًا لا تأنس بها النفوس، ولا تهتدی إلی معانیها العقول، کرمی الجمار بالأحجار، والتردّد بین الصفا والمروة علی سبیل التکرار.

وبمثل هذه الأعمال یظهر کمال الرقّ والعبودیة، بخلاف سائر العبادات، کالزکاة التی هی إنفاق فی وجه معلوم وللعقل إلیه میل، والصوم الذی هو کسر للشهوة التی هی عدوّ للَّهوتفرغ للعبادة بالکفّ عن الشواغل، وکالرکوع والسجود فی الصلاة الّذی هو تواضع للَّهسبحانه بأفعال علی هیئات التواضع وللنفوس أنسٌ بتعظیم اللَّه تعالی.

۱- ۱ المائدة: ۸۲.

ص: ۲۶

وأمّا أمثال هـذه الأعمال، فإنه لا اهتـداء للعقل إلى أسـرارها، فلا يكون للإقـدام عليها باعث إلّاالأمر المجرد وقصد امتثاله من حيث هو واجب الاتبـاع فقـط، وفيه عزل للعقـل عن تصـرّفه، وصـرف النفس والطبع عن محـلّ أنسه المعين على الفعل من حيث هو، فإنّ كلّ ما أدرك العقـل وجه الحكمـة فى فعله مال الطبع إليه ميلًا تاماً، فيكون ذلك الميل معيناً للأمر وباعثاً على الفعل، فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد، ولذلك قالصلى الله عليه و آله و سلم فى الحج على الخصوص:

«لبّيك بحجّة حقّاً تعبّداً ورقّاً» (۱)، ولم يقل ذلك فى الصلاة وغيرها.

وإذا اقتضت حكمـة اللَّه سـبحانه ربط نجاة الخلق بكون أعمالهم على خلاف أهويـة طباعهم، وأن تكون أزمتها بيـد الشارع، فيتردّدون فى أعمالهم على سـنن الانقياد ومقتضـى الاسـتعباد، كان ما لا يهتـدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات، وصـرفها عن مقتضـى الطبع إلى مقتضى الاسترقاق، ولهذا كان مصدر تعجب النفوس من الأفعال العجيبة هو الذهول عن أسرار التعبدات.

وأما الشوق:

فبـاعثه الفهم أنّ البيت بيت اللَّه، وأنه وضع على مثـال حضـرة الملوك، فقاصـده قاصـدٌ للَّه‌تعالى، ومَن قصـد حضـرة اللَّه تعالى بالمثال المحسوس، فجدير أن يترقى منه بحسب سوق شوقه إلى الحضرة العلوية والكعبة الحقيقية التى هى فى السماء، وقد بنى هذا البيت على قصدها، فيشاهد وجه ربّه الأعلى بحكم وعده الكريم.

وأمّا العزم:

فليستحضر فى ذهنه أنه لعزمه مفارقٌ للأهل والولد، هاجر للشهوات

۱- ۱ كنز العمال ۵/ ۳۲ ح ۱۱۹۲۱، وص ۱۴۹ ح ۱۲۴۱۶، مع اختلاف.

ص: ۲۷

واللذات، مهاجرٌ إلى ربّه، متوجّهٌ إلى زيارة بيته.

وليعظّم قـدر البيت لقـدر ربّ البيت، وليخلص عزمه للّه، ويبعـده عن شوائب الريـاء والسـمعة، فـإن ذلك شـركٌ خفىٌّ، وليتحقّق أنه لا يقبل من عمله وقصـده إلّاالخالص، وأنّ من أقبـح المقابح أن يقصد بيت الملك وحَرَمَهُ مع اطلاع ذلك الملك على خائنة الأعين وما تخفى الصدور ويكون قصده غيره، فإنّ ذلك استبدال للذى هو أدنى بالّذى هو خير.

أمّا قطع العلائق:

فحـذف جميع الخواطر عن قلبه، غير قصـد عبادة اللّه، والتوبـة الخالصـة له عن الظلم وأنواع المعاصـى، فكلّ مظلمة علاقةٌ، وكلّ علاقة خصمٌ حاضرٌ متعلّقٌ به ينادى عليه ويقول:

أتقصـد بيت الملوك وهو مطّلع على تضـييع أمره لك فى منزلك هـذا، وتسـتهين به، ولا تلتفت إلى نواهيه وزواجره، ولا تسـتحى أن تقدم عليه قدوم العبد العاصـى فيغلق دونك أبواب رحمته، ويلقيك فى مهاوى نقمته، فإن كنت راغباً فى قبول زيارتك فأبرز إليه من جميع معاصيك، واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك، لتتوجّه إليه بوجه قلبك، كما أنتَ متوجّهٌ إلى بيته بوجه ظاهرك.

وليذكر عند قطعه العلائق لسفر الحجّ قطع العلائق لسفر الآخرة، فإنّ كلّ هذه أمثلة قريبة يترقّى منها إلى أسرارها.

وأمّا الزاد:

فليطلبه من موضع حلالٍ، فإذا أحسّ من نفسه بالحرص على استكثاره

ص: ۲۸

وطيبه وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغيّر قبل بلوغ المقصد، فليذكر أنّ سفر الآخرة أطول من هذا السفر، وأنّ زاده التقوى، وأما ما عداه لا يصلح زاداً، ولا يبقى معه إلّاريثما هو فى هذا المنزل.

وليحذر أن يفسد أعماله التى هى زاده إلى الآخرة بشوائب الرياء، وكدورات التقصير، فيدخل فى قوله تعالى: «هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فى اَلْحَيَاةِ الدُّنْيا وهُمْ يَحْسبونَ أَنَّهم يُحْسِنُونَصُنْعاً» (۱).

وكذلك فليلاحظ عند ركوب دابّته تسخير الحيوان له، وحمله عنه الأذى، ويتذكّر منّتهِ تعالى لشمول عنايته ورأفته، حيث يقول: «وَتَحمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيه إِلّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ» (۲)

، فيشكره سبحانه على جزيل هذه النعمة وعظيم هذه المنّة.

ويستحضر نقلته من مركبه إلى منازل الآخرة، التى لا شك فيه، ولعلّه أقرب من ركوبه الحاضر، فيحتاط فى أمره.

وليعلم أنّ هذه أمثلة محسوسة، يترقّى منها إلى مراكب النجاة من الشقّة الكبرى، وهى عذاب اللّه سبحانه.

وأما ثوب الإحرام وشراؤه ولبسه:

فليتذكّر معه الكفن، ودرجه فيه، ولعلّه أقرب إليه.

وليتذكّر منها التسربل بأنوار اللّه الّتى لا مخلص من عذابه إلّابها، فيجهد فى تحصيلها بقدر إمكانه.

وأمّا الخروج من البلد:

فليستحضر عنده أنّه يفارق الأهل والولد، متوجّهاً إلى اللّه سبحانه فى

۱- ۱ الكهف: ۱۰۳- ۱۰۴.

۲- ۲ النحل: ۷.

ص: ۲۹

سفر غير أسفار الدنيا.

ويستحضر أيضاً غايته من ذلك السفر، وأنه متوجّه إلى ملك الملوك وجبّار الجبابرة، في جملة الزائرين الذين نودوا فأجابوا، وشوّقوا ما اشتاقوا، وقطعوا العلائق، وفارقوا الخلائق، وأقبلوا على بيت اللّه طلباً لرضى اللّه وطمعاً في النظر إلى وجهه الكريم.

وليحضر أيضاً في قلبه رجاء الوصول إلى الملك، والقبول له بسعة فضله، وليعتقد أنّه إن مات دون الوصول إلى البيت لقى اللّه وافداً عليه، لقوله تعالى: «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيتِهِ مهاجراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّه» (۱).

وليتذكر في أثناء طريقه من مشاهدة عقبات الطريق عقبات الآخرة، ومن السباع والحيّات حشرات القبر، ومن وحشة البراري وحشة القبر وانفراده عن الأنس، فإنّ كلّ هذه الأمور جاذبة إلى اللّه سبحانه ومذكّرة له أمر معاده.

وأمّا الإحرام والتلبية من الميقات:

فليستحضر أنه إجابة نداء اللّه تعالى، وليكن في قبول إجابته بين خوف ورجاء، مفوّضاً أمره إلى اللّه، متوكّلا على فضله.

قال سفيان بن عيينة: حجّ زين العابدين على بن الحسين عليه السلام، فلمّا أحرم واستوت به راحلته، اصفرّ لونه، ووقعت عليه الرعدة، ولم يستطع أن يلبّي، فقيل له: ألا تلبّي، فقال: «أخشى أن يقول: لا لبّيك ولا سعديك!»، فلمّا لبّى غشى عليه وسقط عن راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتّى قضى حجّه (۲).

فانظر رحمك اللّه إلى هذه النفس الطاهرة، حيث بلغ بها الاستعداد

۱- ۱ النساء: ۱۰۰.

۲- ۲ راجع: نهاية الارب ۲۱: ۳۲۶، تهذيب التهذيب ۷: ۳۰۶.

ص: ۳۰

لإفاضة أنوار اللَّه، لم تزل الغواشى الإلهية والنفحات الربّانيّة تغشاها، فيغيب عن كلّ شىء سوى جلال اللَّه وعظمته.

وليتذكّر عند إجابته نداء اللَّه سبحانه، إجابة ندائه بالنفخ فى الصور، وحشر الخلق من القبور، وازدحامهم فى عرصات القيامة، مجيبين لندائه، منقسمين إلى: مقرّبين، وممقوتين، ومقبولين، ومردودين، ومردّدين فى أول الأمر بين الخوف والرجاء، تردّد الحاج فى الميقات: حيث لا يدرون أيتيسّر لهم إتمام الحجّ أم لا.

أما دخول مكة:

فليستحضر عنده أنه قد انتهى إلى حرم اللَّه الآمن، وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب اللَّه، وليخش أن لا يكون من أهل القرب، وليكن رجاؤه أغلب، فإنّ الكريم عميم، وشرف البيت عظيم، وحقّ الزائر مرعى، وذمام اللائذ المستجير غير مضيّع، خصوصاً عند أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

ويستحضر أنّ هذا الحرم مثال للحرم الحقيقى، لترقى من الشوق إلى دخول هذا الحرم والأمن بدخوله من العقاب، إلى الشوق إلى دخول ذلك الحرم والمقام الأمين.

وإذا وقع بعده على البيت فليستحضر عظمته فى قلبه، وليترقّ بفكره إلى مشاهدة حضرة ربّ البيت فى جوار الملائكة المقرّبين، وليتشوّق أن يرزقه النظر إلى وجهه الكريم، كما رزقه الوصول إلى بيته العظيم، وليتكثّر من الذكر والشكر على تبليغ اللَّه إيّاه هذه المرتبة.

وبالجملة، فلا يغفل عن تذكير أحوال الآخرة فى كلّ ما يراه، فإنّ كلّ

ص: ۳۱

أحوال الحجّ ومنازله دليل يترقّى منه إلى مشاهدة أحوال الآخرة.

وأمّا الطواف بالبيت:

فليستحضر فى قلبه التعظيم والخوف والخشية والمحبّة، وليعلم أنّه بذلك متشبّه بالملائكة المقرّبين الحافين حول العرش الطائفين حوله.

ولاـ تظنّن أنّ المقصود طواف جسمك بالبيت، بل طواف قلبك بذكر ربّ البيت، حتّى لا تبتدئ بالذكر إلّامنه، ولا تختم إلّابه، كما تبدأ بالبيت وتختم به.

واعلم أنّ الطواف المطلوب هو طواف القلب بحضرة الربوبية، وأنّ البيت مثال ظاهر فى عالم الشهادة لتلك الحضرة التى هى عالم الغيب، كما أنّ الإنسان الظاهر مثال الظاهر فى عالم الشهادة للإنسان الباطن الذى لا يشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب، وأن عالم الملك والشهادة مرقاة ومدرج إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له باب الرحمة، وأخذت العناية الإلهية بيده لسلوك الصراط المستقيم.

وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة الإلهية: بأنّ البيت المعمور فى السماء بإزاء الكعبة، وأنّ طواف الملائكة به كطواف الإنس بهذا البيت (۱).

ولمّا قصرت مرتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أُمروا بالتشبّه بهم بحسب الإمكان، ووعدوا بأنّ مَن تشبّه بقومٍ فهو منهم، ثمّ كثيراً ما يزداد ذلك التشبيه إلى أن يصير فى قوّة المشبّه به، والّذى يبلغ تلك المرتبة فهو الّذى يقال:

إنّ الكعبة تزوره وتطوف به، على ماروآه بعض المكاشفين لبعض أولياء اللَّه.

وأمّا الاستلام:

فليستحضر عنده أنّه مبايع للَّهعلى طاعته، ومصمّم عزيمته على الوفاء

۱- ۱ الوسائل ۱۳: ۲۹۶ ح ۱۷۷۸۸، وغيره.

ص: ۳۲

ببيعته، «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنكُثُ عَلَى نَفْسِه وَمَنْ أَوْفَى بِما عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً» (۱).

ولذلک قال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم: «الحجر الأسود يمين اللَّه فی الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه» (۲).

ولمّا قبّله عمر قال: إنی لأعلم أنک حجر لاتضر ولا تنفع، ولولا أنّی رأيت رسول اللَّه يقبّلک لَما قبّلتکَ!! فقال له علیّ عليه السلام: «مه يا عمر، بل يضرّ وينفع، فإنّ اللَّه سبحانه لمّا أخذ الميثاق على بنی آدم حيث يقول: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَتَهُمْ وَأَشْهَدَهُم عَلَى أَنْفُسِهِم» الآية (۳)، ألقمه هذا الحجر ليكون شاهداً عليهم بأداء أمانتهم، وذلک معنى قول الإنسان عند استلامه: أمانتی أدّيتها وميثاقی تعاهدته لتشهد لی عند رّبک بالموافاة» (۴).

وأمّا التعلّق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم:

فليستحضر فيه طلب القرب، حّباً للَّهوشوقاً إلى لقائه، تبركاً بالمماسة ورجاءً للتحصن من النار، فی كلّ جزءٍ من البيت.

ولتكن النيـة فی التعلّق بـالستر الإلحـاح فی طلب الرحمـة (۵)، وتوجيه الـذهن إلى الواحـد الحقّ، وسؤال الأمان من عـذابه، كالمـذنب المتعلّق بأذيـال من عصـاه، المتضـرع إليه فی عفوه عنه، المعترف له بأنه لا ملجأ إلّاإليه، ولا مفزع له إلّاعفوه وكرمه، وأنه لا يفارق ذيله إلّابالعفو وبذل الطاعة فی المستقبل.

وأمّا السعی بين الصفا والمروة فی فناء البيت:

فمثال لتردّد العبـد بفناء دار الملک، جائياً وذاهباً، مرّةً بعـد أخرى، إظهاراً للخلوص فی الخدمة، ورجاءً لملاحظته بعين الرحمة، كالّذی دخل على الملک

۱- ۱ الفتح: ۱۰.

۲- ۲ المحاسن: ۶۵، البحار ۹۹: ۲۲۵ ح ۲۲، مع أختلاف يسير.

۳- ۳ الأعراف: ۱۷۲.

۴- ۴ الوسائل ۱۳: ۳۱۳ ب ۱۲ من أبواب الطواف، وغيره.

۵- ۵ فی بعض النسخ: الراحة.

ص: ۳۳

وخرج وهو لا يـدرى ما الّذى يقضـى الملك فى حقّه من قبول أو ردّ، فيكون تردّده رجاء أن يرحمه فى الثانيـة إن لم يكن رحمه فى الأولى.

وليتذكّر عند تردّده بين الصفا والمروة تردّده بين كفتى الميزان فى عرصة القيامة، وليمثل الصفا بكفّة الحسنات والمروة بكفّة السيّئات، وليتذكّر تردّده بين الكفتين، ملاحظاً للرجحان والنقصان، متردّداً بين العذاب والغفران.

وأمّا الوقوف بعرفة:

فليتـذكر بمـا يرى من ازدحام الناس، وارتفاع الأصوات، واختلاف اللغات، واتباع الفرق أئمّتهم فى التردّدات على المشاعر- اقتفاءً لهم وسـيراً بسـيرتهم- عرصات القيامـة، واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمـة، واقتفاء كلّ أمّـة أثر نبيّها، وطمعهم فى شـفاعتهم، وتجرّدهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الردّ والقبول.

وإذا تـذكّر ذلـك فيلزم قلبه الضـراعة والابتهـال إلى اللَّه أن يحشـره فى زمرة الفـائزين المرحومين، ولكن رجـاؤه أغلب، فـإنّ الموقف شريف، والرحمـة إنّمـا تصـل من حضـرة الجلال إلى كافّة الخلائق بواسـطة النفوس الكاملـة من أوتاد الأرض، ولا يخلو الموقف عن طائفة من الأبدال والأوتاد وطوائف من الصالحين وأرباب القلوب.

فإن اجتمعت هممهم، وتجردت للضـراعة نفوسـهم، وارتفعت إلى اللَّه أيـديهم، وامتدّت إليه أعناقهم، يرمقون بأبصارهم جهة الرحمة، طالبين لها، فلا تظنّن أنه يخيب سعيهم من رحمةٍ تغمرهم.

ويلوح لك من اجتماعهم الأمم بعرفات، والاسـتظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد، وهو السرّ الأعظم من الحج ومقاصده،

ص: ۳۴

فلا طريق إلى استنزال رحمة اللّه واستدرارها أعظم من اجتماع الهمم وتعاون القلوب فی وقت واحد عليصعيد واحد.

وأمّا رمی الجمار:

فليقصد به الانقياد لأمر اللّه، وإظهار الرقّ والعبودية.

ثمّ ليقصد به التشبّه بإبراهيم عليه السلام، حيث عرض له إبليس فی ذلک الموضع، ليدخل على حجّه شبهة، أو يفتنه بمعصية، فأمره اللّه تعالى أن يرميه بالحجارة، طرداً له وقطعاً لأمله (۱).

فإن خطر له أنّ الشيطان عرض لإبراهيم عليه السلام ولم يعرض له، فليعلم أن هذا الخاطر من الشيطان، وهو الذی ألقاه على قلبه، ليخيّل إليه أنه لا فائدة فی الرمی، وأنه يشبه اللعب. وليطرده عن نفسه بالجدّ والتشمير فی الرمی فيه، يرغم فيه أنف الشيطان، فإنه وإن كان فی الظاهر رمياً للعقبة بالحصی، فهو فی الحقيقة رمی لوجه إبليس وقصم لظهره، إذ لا ـ يحصل إرغام أنفه إلّابامتثال أمر اللّه، تعظيماً لمجرّد الأمر.

وأمّا ذبح الهدی:

فليعلم أنّه تقرّب إلى اللّه تعالى بحكم الامتثال، فليكمل الهدی وأجزاءه، وليرج أن يعتق اللّه بكلّ جزءٍ منه جزءاً من النار، هكذا ورد الوعد، فكلّما كان الهدی أكثر وأوفر كان الفداء به من النار أتمّ وأعمّ، وهو يشبه التقرب إلى الملک بالذبح له وإتمام الضيافة والقرى، والغاية منه تذكّر المعبود الأول سبحانه عند النية فی الذبح، واعتقاد أنه متقرب به بأجزائه إلى اللّه.

فهذه هی الإشارة إلى أسرار الحج وأعماله الباطنة.

۱- ۱ الوسائل ۱۴: ۲۶۳ ح ۱۹۱۵۳، ۱۹۱۵۴، ۱۹۱۵۶، ۱۹۱۵۷.

ص: ۳۵

الهوامش:

مناسک الحجّ والعمرهٔ

ص:۳۶

ص: ۳۷

مناسک الحجّ والعمرة (۱) تألیف: الشهید الثانی قدس سره

تحقیق: أبو الحسن المطلبی ورضا المختاری

نَحْمَدکَ اللهمّ یا مَنْ شَرَعَ لنا مسالکَ الأحکام، وشَرَحَ لنا مَناسکَ حجِّ بیتهِ الحرام، ونَشْکُرکَ علی ما فَضَّلتَنا به مِن فضائلِ الإکرام، وغَمَرْتَنا به مِن جلائِل الإنعامَ، ونُصلِّی ونُسَلِّمُ علی نبیِّک محمَّدٍ الداعی إلی دار السلام: أشْرَفِ مَنْ طافَ بالبیت الحرام، وسَعی بینَ الرُکنِ والمَقام، وعلی آله المخصوصینَ بالتطهیر مِن بینِ الأنام،صلاةً وسلاماً دائمَیْنِ بَدوام اللَیالی والأیّام.

وبعدُ، فهذه جملةٌ کافِلةٌ ببیان واجبات الحجِّ والعمرة، ونَبْذَةٌ مِن سُنَنِهما الفِعلیة، وأذکارِهما اللفظیة، ووظائِفِهما القلبیة، حاوَلْتُ فیها بَسْطَ اللفظِ وسُهولةَ المعنی، طلباً للتسهیل، ورَجاءً للثواب الجزیل.

وَرَتَّبْتُها علی مقدِّمةٍ ومقالتینِ وخاتمةٍ.

أما المقدِّمةُ: فاعْلَمْ أنّ الحجَّ رکنٌ عظیم مِن أرکان الإسلام، ومفهومه مشتهرٌ بینَ ذَوی الأفهام، وتعریفُه الصِناعی مع عِزَّة سلامتِهِ لا یَلیقُ بحثُه بهذا

۱- ۱ للشهید الثانی قدس سره ثلاث رسائل فی مناسک الحج تمّ نشرها فی مجلتنا هذه وهی: نیات الحج والعمرة، العدد الثانی أقل ما یجب معرفته من أحکام الحج والعمرة، العدد الثالث مناسک الحج والعمرة، العدد الخامس، مخطوط غیر مطبوع.

ص: ۳۸

المَقام، والحَثُّ علیه فی الکتاب والسُنَّة أوْضَحُ دلیلٍ لمَنْ فَکَّرَ فی ذلک مِن العالَمین، وناهیک بقوله تعالی: «وَلِلّهِ عَلی الناسِ حِجُّ البَیْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَیْهِ سَبیلًا وَمَنْ کَفَرَ فإنّ اللّهَ غَنیٌّ عَنِ العالَمینَ» (۱)

. وفی الآیة ضُروبٌ من التأکید علیه جَلیةُ المبانی تُعْلَمُ مِنصِناعة المَعانی. ونحوها من السُنَّةِ المُطَهَّرةِ قولهصلی الله علیه و آله و سلم:

مَنْ وَجَبَ علیه الحَجُّ ولم یَحُجَّ فَلْیَمُتْ إنْ شاء یهودیاً وإنْ شاء نصرانیاً (۲).

ویَکْفِیکَ فی فضله مِن جِهة الاعتبار أنّه جَمَعَ ضُروباً مِن العبادات کالصلاة، وبَذْلِ المال المضاهِئ لِلزَکَواتِ والأخْماسِ والکفّاراتِ، والصَوْم- علی بعض الوجوه- والتعرُّضِ للجهاد کذلک، مع اشتماله علی أنواعِ المَشاقِّ والأهوالِ، والتَغْریر بالنفس والمال، ومفارَقَةِ الأهل والولد والوطن والبلد، إلی غیر ذلک مِن المزایا، ومِن هنا وَرَدَ فیه مِن الثواب الجَزیلِ ما قد تَضافَرَتْ به الأخبارُ عن النبیِّ وآله الأطهارِصَلَواتُ اللّه علیهم: فعن النبیّصلی الله علیه و آله و سلم:

مَنْ حَجَّ ولم یَرْفُثْ ولم یَفْسُقْ خَرَجَ مِن ذُنوبه کیومِ وَلَدَتْه أُمُّه (۳).

وعنهصلی الله علیه و آله و سلم:

الحُجّاج والعُمّار وَفْدُ اللّهِ وزُوّارُهُ، إنْ سألوه أعْطاهم وإنِ اسْتَغْفَروه غَفَرَ لهم، وإنْ دَعَوه اسْتَجابَ لهم، وإنْ شَفَعوا إلیه شَفَّعَهم (۴).

وعنهصلی الله علیه و آله و سلم:

حجّة مبرورة خیرٌ من الدنیا وما فیها، وحجّةٌ مَبرورةٌ لیس لها أجْرٌ إلّا الجَنّة (۵).

وعنهصلی الله علیه و آله و سلم:

مارُئیَ الشیطان فی یومٍ هو [فیه] أصْغرُ ولا أدْحَرُ ولا أحْقرُ ولا أغْیَظُ منه یومَ عَرَفةَ، وذلک لِما یَری فیه مِن نُزول الرحمة وتجاوُزِ اللّهِ

۱- ۱ آل عمران ۳: ۹۷.

۲- ۲ إحیاء علوم الدین ۱: ۲۸۵؛ لبّ اللباب کما رواه فی مستدرک الوسائل ۸: ۱۸- ۱۹ ح ۸۹۵۶ باب ثبوت الکفر والارتداد بترک الحجِّ وتسویفه استخفافاً أو جحوداً ح ۵؛ عوالی اللآلی ۱: ۸۷ ح ۱۸ مع اختلافٍ.

۳- ۳ احیاء علوم الدین ۱: ۲۸۶.

۴- ۴ إحیاء علوم الدین ۱: ۲۸۷.

۵- ۵ إحیاء علوم الدین ۱: ۲۸۷ وفیها «جزاء» بدل «أجر».

ص: ۳۹

عن الذنوب العظام (۱).

وعنهصلی الله علیه و آله و سلم:

إذا تَوَجَّهْتَ إلی سبیل الحجِّ ثُمَّ رَکِبتَ راحِلتَیک وقلتَ: بسم اللَّه الرحمن الرحیم، ومَضَتْ بک راحِلتُک لم تَضَعْ راحِلتُک خُفّاً وتَرْفَعْ خُفّاً إلّاکَتَبَ اللَّهُ لک حسنةً، ومَحا عنک سیّئةً، فإذا أحْرَمْتَ ولبّیتَ کتب اللَّه لک بکلِّ تلبیة عَشْرَ حَسناتٍ، ومحا عنک عَشْرَ سیّئاتٍ. فإذا طُفْتَ بالبیت أُسبوعاً کان لک بذلک عند اللَّه عَهْدٌ وذِکْرٌ یَسْتَحْیی أنْ یُعذِّبَک بعدَه. فإذاصَلَّیْتَ عند المَقام رکعتینِ کَتَبَ اللَّهُ لک بهما ألفی رکعةٍ مقبولةٍ. فإذا سَعَیتَ بینَ الصفا والمَروة سبعةَ أشواطٍ، کان لک بذلک عند اللَّه عزَّ وجلَّ مثلُ أجرِ مَنْ حجَّ ماشیاً من بلاده، ومثلُ أجرِ مَنْ أعْتَقَ سبعینَ رقبةً مؤمنةً. فإذا وَقَفْتَ بعرفات إلی غروب الشمس فلو کان علیک مِن الذنوب مثلُ رَمْلِ عالج وزبدِ البحر لَغَفَرها لک. فإذا رَمیْتَ الجِمارَ کَتَبَ اللَّه لک بکلِّ حَصاة عَشَرَ حسنات. فإذا ذَبَحت هَدْیَک کَتَبَ اللَّه لک بکلِّ قطرةٍ مِن دمها حَسَنةً. فإذا طُفْتَ بالبیتِ للزیارة أُسبوعاً وصَلَّیْتَ عندَ المقام رکعتینِ ضَرَبَ مَلَکٌ کریمٌ بینَ کَتفَیْک، وقال: «أما وامضِ فقد غَفَرَ اللَّه لک» (۲).

وعن مولانا الصادق علیه السلام:

مَنْ حَجَّ هذا البیتَ بنیّةٍصادقةٍ جَعَله اللَّهُ فی الرفیق الأعلی مع النبیّین والصدّیقینَ والشهداء والصالحینَ وحَسُنَ أُولئک رفیقاً (۳).

وغیر ذلک مِن الأحادیثِ (۴).

ویُستحبُّ لمنْ أرادَ الحجَّ قَطْعُ العلائقِ بینَه وبینَ مُعامِلیه، وإیصالُ کلِّ ذی

۱- ۱ موطّأ مالک ۱: ۴۲۲ کتاب الحجّ ح ۲۴۵ باب جامع الحجّ؛ إحیاء علوم الدین ۱: ۲۸۶.

۲- ۲ الفقیه ۲: ۱۳۰- ۱۳۲ ح ۵۵۱ وباب فضائل الحجّ ح ۱؛ تهذیب الأحکام ۵: ۲۰- ۲۱ ح ۵۷ باب ثواب الحج ح ۳ مع اختلاف فی الألفاظ، والجملة الأخیرة فی الفقیه هکذا: «أمّا ما مضی فقد غُفِرَ لک، فاستأنف العملَ فیما بینک وبین عشرین ومائة یوم». وما أثبتناه مطابق للنسخ.

۳- ۳ الفقیه ۲: ۱۵۲- ۱۵۳ ح ۶۶۴ باب نکت فی حج الأنبیاء والمرسلینصلوات اللَّه علیهم أجمعین، ح ۱۴ والقسم الأخیر من الحدیث الشریف اقتباس من الآیة ۶۹ من النساء ۴.

۴- ۴ انظر وسائل الشیعة ۱۱: ۷- ۱۶ أبواب وجوب الحجّ وشرائطه الباب ۱؛ بحار الأنوار ۹۹: ۲- ۲۶ باب وجوب الحجّ وفضله وعقاب ترکه.

ص: ۴۰

حقٍّ حقَّه، واختیارُ یومِصالحِ للسفر کالسَّبْتِ والثُّلاثاء ورفیقٍصالحٍ، وتحسینُ الخُلُقِ زیادةً علی الحَضَر، والتَوَسُّعُ فی الزاد، وطِیبُ النَّفْسِ فی البَذل، والإنفاقُ بالعَدلِ دونَ البُخْل والتقتیر والتبذیر؛ فإنّ بَذْلَ الزادِ فی طریق مکّةَ إنفاقٌ فی سبیل اللَّه. قالصلی الله علیه و آله و سلم:

الحجُّ المبرورُ لیس له أجرٌ إلّا الجنّةَ. فقیل: یا رسولَ اللَّه ما بِرُّ الحجِّ؟

قال: طِیبُ الکلام وإطعامُ الطعام (۱).

وعن الصادق علیه السلام:

درهمٌ واحدٌ فی الحجِّ أفضلُ مِن ألفی ألفِ درهم فیما سِواه فی سبیل اللَّه، والهدیّةُ مِن نفقة الحج (۲).

فإذا عَزَمَ علی الخروجصَلّی فی منزله رکعتین؛ فإنّهما أفضلُ ما اسْتَخْلَفَه

الرجلُ علی أهله، ویقول بعدهما: «اللهُمَّ إنّی أسْتَوْدِعُکَ نَفْسی وأهلی ومالی وذُرِّیتی ودنیای وآخرتی وأمانتی وخاتمةَ عملی»، فیُعطیه اللَّهُ ما یَسْألُ، کما ورد فی الخبر (۳).

ویَفتَتِحُ سفرَه بالصدقة، ثمّ یَقومُ علی باب داره ویَقرأ فاتحةَ الکتاب وآیةَ الکرسیِّ أمامَه الذی یتوجّه نحوَه وعن یمینه وشماله، ویَدْعو بکلمات الفرج مُضیفاً إلیها:

اللهمَّ احْفَظْنی واحْفَظْ ما معی، وسَلِّمْنی وسلِّمْ ما معی، وبَلِّغْنی وبلِّغْ ما معی ببلاغِکَ الحَسَنِ الجمیلِ (۴)، الحمد للَّهربِّ العالمین- ثم یقول:-

اللهمَّ کُنْ لی جاراً مِنْ کُلِّ جبّارٍ عنیدٍ، ومِنْ کُلِّ شیطانٍ مریدٍ- ثم یقول:- بِسم اللَّه دَخَلْتُ، وبسم اللَّه خَرَجْتُ، وفی سبیل اللَّه تَوَجَّهتُ، اللهُمّ إنّی أُقَدِّمُ بین یدی نِسْیانی وعَجَلتی، بسم اللَّه وما شاء اللَّه فی سفری هذا، ذکرتُه أو نَسِیتُهُ، اللهمَّ أنت المُسْتعان علی الأُمور کُلِّها، وأنتَ الصاحب

۱- ۱ إحیاء علوم الدین ۱: ۳۱۱.

۲- ۲ مجموعة الجباعی الورقة ۷۱ ب؛ بحار الأنوار ۹۹: ۱۵ باب وجوب الحجِّ وفضله وعقاب ترکه ح ۴۷ وفیهما: «وروی: درهماً فی الحجّ أفضل من ألفی درهم فیما سواه فی سبیل اللَّه، والحاجّ علی نور الحجّ ما لم یلمّ بذنبٍ، وهدّیة الحجّ مِن نفقة الحجّ».

۳- ۳ الکافی ۴: ۲۸۳ باب القول عند الخروج من بیته وفضل الصدقة ح ۱؛ الفقیه ۲: ۱۷۷ ح ۷۸۹: باب ما یستحبّ للمسافر من الصلاة إذا أراد الخروج؛ تهذیب الأحکام ۵: ۴۹ ح ۱۵۲ باب العمل والقول عند الخروج ح ۱۵.

۴- ۴ الکافی ۴: ۲۸۴ باب القول إذا خرج الرجل من بیته ح ۱؛ الفقیه ۲: ۱۷۷ ح ۷۹۰ باب ما یستحبّ للمسافرمن الدعاء عند خروجه فی السفر؛ تهذیب الأحکام ۵: ۴۹- ۵۰ ح ۱۵۳ باب العمل والقول عند الخروج ح ۱۶.

ص: ۴۱

فی السفر والخلیفة فی الأهل، اللهمّ هَوِّنْ علینا سَفَرنا، واطوِ لنا الأرضَ، وسَیِّرْنا فیها بطاعتک وطاعةِ رسولک، اللهمّ أصْلِحْ لنا ظَهْرَنا، وبارِکْ لنا فیما رَزَقْتَنا، وقِنا عذابَ النار، اللهمَّ إنیِّ أعوذُ بک مِنْ وَعْثاءِ السفر وکَآبةِ المنْقَلَب وسوءِ المنْظَر فی الأهل والمال والولد، اللهمَّ أنت عَضُدی وناصِری، بک أحُلُّ وبک أسِیرُ، اللهُمّ إنّی أسألک فی سفری هذا السرورَ والعملَ بما یُرْضِیک عنّی، اللهمَّ اقْطَعْ عنی بُعدَه ومَشَقَّتَه، واصْحَبْنی فیه، واخْلُفنِی فی أهلی بخیرٍ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلّاباللّه، اللهمَّ إنیِّ عبدُک، وهذا حُمْلانُک (۱)، والوجهُ وجُهک، والسفرُ إلیک، وقد اطَّلَعْتَ علی ما لم

یَطَّلِعْ علیه أحدٌ غیرُک، فاجْعَلِ سَفَری هذا کفّارةً لِما قَبْلَهَ مِنْ ذنوبی، وکُنْ عوناً لی علیه، واکفنی وَعْثَه ومَشَقَّتَه، ولَقِّنی مِنَ القول والعملِ رضاک؛ فإنّما أنا عبدُک وبک ولَک (۲).

ثمّ ینوی: أتوجَّه إلی البیت الحرام والمشاعِرِ العظامِ لأعْتَمِرَ عمرةَ الإسلام عمرةَ التمتُّع وأحُجَّ حجَّ الإسلام حجَّ التمتُّعِ لوجوبه قربةً إلی اللّه.

ولیَخْرُجِ مُتَحَنِّکاً لِیَرْجِعَ إلی أهله سالِماً، متطهِّراً لِتُقضی حاجتُه، فإذا وَضَعَ رِجلَه فی الرکاب فلیَقُلْ:

«بسم اللّه الرحمن الرحیم، بسم اللّه واللّه أکبرُ».

فإذا اسْتَوی علی راحلته فلیَقُلْ

: الحمد للّهالذی هدانا للإسلام، ومَنَّ علینا بمحمَّدٍصلی الله علیه و آله و سلم، سُبْحانَ اللّه، سُبحانَ الذی سَخَّرَ لنا هذا وما کُنّا له مُقْرِنینَ وإنّا إلی ربِّنا لَمُنقَلِبون (۳). والحمدُ للّهربِّ العالمین، اللهمَّ أنت الحاملُ علی الظَهْر،

والمُسْتعانُ علی الأمر، اللهمَّ بَلغِّنا بَلاغاً یُبلِّغ إلی خیرٍ، بلاغاً یُبَلِّغُ به إلی مَغْفِرَتِک ورضوانِک، اللهمَّ لا طیرَ إلّاطیرُکَ ولا خیرَ إلّاخیرُک، ولا حافِظَ غیرُک (۴).

۱- ۱ «الحُمْلان: ما تُحمَل علیه الهدایا من الدواب» المعجم الوسیط ۱: ۱۹۹ حمل.

۲- ۲ الکافی ۴: ۲۸۴- ۲۸۵ باب القول إذا خرج الرجل من بیته ح ۱؛ تهذیب الأحکام ۵: ۵۰- ۵۱ ح ۱۵۴ باب العمل والقول عند الخروج ح ۱۷ وفیه: «فی سبیل اللّه جاهدت» بدل «فی سبیل اللّه توجَّهتُ». قال الفیض الکاشانی رحمه الله فی الوافی ۱۲: ۲۶۵ فی توضیح الدعاء «الجار الذی یؤمن مَن أخافه ... المرید المبالغ فی العصیان والعُتوّ. دخلت أی فی السفر أو هذه العبارة. خرجت أی مِن بیتی، أو مّما کنت فیه. وفی سبیل اللّه أی توجَّهت أو دخلت وخرجت وهو عطف علی بسم اللّه. انّی اقدّم أی أقول هاتین الکلمتین فی أوّل أمری وابتداء سفری لکلِّ أمرٍ عَرَضَ لی فی تمام هذا السفر مّما ینبغی أنْ أقولَهما عنده ... بین یدی نسیانی وعجلتی أی قبل أنْ أنساهما أو أعجل عنهما، أو أنسی شیئاً أو أعجل عن شیء. أنت الصاحب فی السفر والخلیفة فی الأهل هاتان الصفتان مّما لا یجتمعان فی واحد سِوی اللّه جَلَّتْ کبریاؤه ... واطوْ: اقطع وقرِّبْ، ظهرنا: ما نرکبه من البعیر وغیره، والظهر یقال لما غلظ من الأرض أیضاً. وعثاء السفر: مشقَّته. کآبة المنقلب: الرجوع من السفر بالغم والحزن الانکسار، بک أحُلُّ بضم الحاء من الحلول أی أحُلُّ بالمنزل وهو فی مقابلة أسیر. والحُملان بالضمّ: ما یُحْمَلُ علیه من الدوابّ. والوجه وجهک أی الجهة التی أتوجّه إلیها إنّما هی جهتک، وفی معناه: والسفر إلیک. والوعث: الطریق العسر ...».

۳- ۳ اقتباس من الآیتین ۱۳- ۱۴ من الزخرف ۴۳.

۴- ۴ الکافی ۴: ۲۸۴- ۲۸۵ باب القول إذا خرج الرجل من بیته ح ۲؛ تهذیب الأحکام ۵: ۵۰- ۵۱ ح ۱۵۴ باب العمل والقول عند

الخروج ح ۱۷.

ص: ۴۲

وینبغی أنْ یَخْرُج رَثَّ (۱) الهیئةِ أقْرَبَ إلی الشَعَث، مُلازِماً ذلک فی السفر، فخیرُ الحاجِّ الشَعِثُ التَفِثُ (۲). یقُول اللّهُ لملائکته: «انظُروا إلی زُوّار بیتی قد جاؤونی شُعْثاً غُبْراً مِنْ کُلِّ فَجٍ عَمیقٍ (۳) أُشْهِدُکم أنّی قد غَفَرتُ لهم» (۴).

وأنْ یَرْکبَ الراحِلةَ دونَ المَحْمِلِ إلّالِعذرٍ، تأسِّیاً بالنبیّصلی الله علیه و آله و سلم، فإنّه حَجَ علی راحِلته وکان تحتَه رَحْلٌ رَثٌّ وقَطِیفةٌ خَلِقَةٌ قیمته أربعةُ دراهمَ، وطافَ علی الراحلةِ لِیَنْظُرَ الناسَ، وقال: «خُذوا عنّی مناسِکَکم» (۵).

وأنْ یَمْشِیَ مع القدرة، فإنّ ذلک أفْضَلُ وأدْخَلُ فی الإذعانِ لعبودیة اللّه تعالی، اللهُمَّ إلّاأنْ یُنافِیَ ما هو أفضلُ منه.

وأنْ یَرْفُقَ بالدابَّة ولا یُحَمِّلَها ما لا تَطِیقُ، وأنْ یَنْزِلَ عنها غُدْوَةً وعَشِیَّةً.

وأنْ یُصَلِّیَ فی کلِّ منزلٍ رکعتینِ عند النُزول والارتحالِ.

وأنْ یَقولَ عند مشاهَدة المنازلِ والقُری:

اللهُمَّ ربَّ السماء وما أظَلَّتْ، وربَّ الأرضِ وما أقَلَّتْ، وربَّ الریاح وما ذَرَتْ، وربَّ الأنهار وما جَرَتْ، عَرِّفْنا خیرَ هذه القریةِ وخیرَ أهلها، وأعِذْنا مِن شرِّها وشرِّ أهلها، إنّک علی کُلِّ شیءٍ قدیر (۶).

وأنْ یکونَ طَیِّبَ النفس بما یُنْفِقُه وبما یُصِیبه مُتَعَوِّضاً عنه بما عند اللّه، فإنّ ذلک مِن علامة قبول الحجّ.

وأنْ یُحْضِرَ قلبَه فی حرکاته وسکناته؛ فإنّه روح العبادة فیَتَبَیَّنُ له بذلک أنّ هذا السفر مثالٌ لسفر الآخرة؛ فیَتَذَکَّرُ بوصیّته قبلَ السفر وجَمْعِ أهلِهِ اجتماعَهم علی وصیّته عند إشرافه علی لقاء اللّه تعالی؛ بتهیئته الزادَ والراحلةَ وملاحَظَةِ الاحتیاجِ إلیهما والتعرُّضِ للهلاک عند التقصیرِ فیهما- مع قِصَرِ هذا السفرِ- شدَّةَ احتیاجه إلی ذلک فی سفر الآخرة، وتَعَرُّضَه- بل وقُوعَه فی الهلاک- عند التقصیر فی زاده مِن الأعمال الصالحة والتوجُّهات الْمُخْلِصة الناجِحة؛ وبذِلَّتِهِ وانکساره

۱- ۱ «فلان رثُّ الهیئة، وفی هیئته رثاثة، أی بَذادة» الصحاح ۱: ۲۸۲- ۲۸۳، رثث

۲- ۲ إشارةٌ إلی حدیث مرویّ فی أحیاء علوم الدین ۱: ۲۱۲. و «رجلٌ شَعِث» أی وسخ الجسد. وفی المعجمالوسیط ۱: ۸۵ تفث: «تَفِثَ یَتْفَثُ تَفَثاً: تَرَک الادّهانَ والحلقَ فَعَلاه الوَسَخُ والغُبارُ، فهو تَفِث. التَفَث: ما یصیبُ المحرِمِ بالحجّ من ترک الادّهان والغَسل والحَلْق؛ وإزالته من مناسک الحجّ».

۳- ۳ کما ذُکر فی الآیة ۲۷ من سورة الحج.

۴- ۴ إحیاء علوم الدین ۱: ۲۱۲، ولیس فیه قوله: «اشهدکم أنّی قد غفرتُ لهم».

۵- ۵ إحیاء علوم الدین ۱: ۲۱۲.

۶- ۶ المحاسن: ۲۷۴؛ بحار الأنوار ۷۶: ۲۴۸- ۲۴۹ باب حمل العصا وإدارة الحنک و ... ح ۴۲.

ص: ۴۳

– عنـدَ مشاهَـدَةِ ذَوَى الأخطار العظیمـة والثَروة الجسیمة مع نُفودِ زاده ونِفاقِ راحِلته– ما یَلْقاه المُقَصِّرُ مِن الذُلِّ والانکسار حین تجتمع الخلائقُ ببضائع (۱) الآخرة والمتاجِرِ الفاخرةِ، وهو مُفْلِسٌ مِن الأعمال مُضَیِّعٌ نفسَه بسابق الإهمال، إلی غیر ذلک من التنبیهات إلی آخر الأفعال، وسیأتی جملةٌ منها فی الخاتمة إنْ شاء اللَّهُ تعالی.

وقاعدةُ ذلک کُلِّهِ ومرجِعُه إلی ما روی عن مولانا الصادق علیه السلام أنّه قال:

إذا أردتَ الحجَّ فجرِّد قلبَک للّهتعالی مِن کلِّ شاغِلٍ وحجابِ کلِّ حاجب؛ وفَوِّضْ أُمورَک کلَّها إلی خالقک؛ وتوکَّلْ علیه فی جمیع ما یظهر مِن حرکاتک وسکناتک؛ وسَلِّمْ لقضائه وحُکْمه وقَدَرِه؛ وودِّع الدنیا والراحةَ والخَلْقَ؛ واخْرُجْ مِن حقوقٍ تَلْزَمُک مِن جهة المخلوقین؛ ولا تَعْتَمِدْ علی زادک وراحلتک وأصحابک وقُوَّتِک وشَبابک ومالک، مخافةَ أنْ یَصیرَ ذلک (۲) عَدُوّاً ووَبالًا، فإنّ مَنْ ادَّعی رِضا اللَّهِ واعْتَمَدَ علی ما سِواهصَیّره علیه وَبالًا وعدُوّاً، لیعلَمَ أنّه لیس له قُوّةٌ ولا حیلةٌ ولا لأحدٍ إلّابعصمة اللَّه تعالی وتوفیقه؛ واسْتَعِدَّ استعدادَ مَنْ لا یَرجو الرجوعَ؛ وأحْسِنِ الصُحْبةَ؛ وراعِ أوقاتَ فرائضِ اللَّه وسُنَنِ نبیِّهصلی الله علیه و آله و سلم، وما یجبُ علیک مِن الأدب والاحتمالِ والصبرِ والشکر والشَفَقَةِ والسخاءِ وإیثارِ الزادِ علی دوام الأوقاتِ؛ ثمّ اغْسِلْ بماء التوبة الخالصة ذُنوبَک؛ والْبَسْ کُسْوةَ (۳) الصدقِ والصفاء والخضوع والخشوع؛ وأحْرِم من کُلِّ شیءٍ یَمْنَعُک عن ذکر اللَّه تعالی ویَحْجُبُک عن طاعته؛ ولَبِّ بمعنی إجابةٍصافیة خالصة زاکیة للَّهعزّ وجلّ فی دعوتک مُتَمَسِّکاً بالعروة الوثقی؛ وطُفْ بقلبک مع الملائکة حولَ العرش کطوافک مع المسلمین

۱– ۱ «البِضاعة: ما یُتَّجَرُ فیه. الجمع: بضائع» المعجم الوسیط ۱: ۶۰ بضع.

۲– ۲ فی المصدر: «أنْ یَصیروا لک عدّواً».

۳– ۳ «الکُسْوَة: الثوب یُسْتَتَرُ به ویُتَحَلّی. الجمع: کُساً» المعجم الوسیط ۲: ۷۸۸ کسو.

ص: ۴۴

بنفسک حولَ البیت؛ وهَرْوِلَ هَرْولةً مِن هَواک وتبرّؤاً مِن حولک وقوّتک، واخْرُجْ مِنْ غَفْلَتِک وزَلّاتِک بخروجک إلی مِنیً، ولا تَتَمَنَّ ما لا یَحِلُّ لک ولا تَسْتَحِقُّه؛ واعترِفْ بالخطایا بعَرَفاتٍ؛ وجَدِّدْ عهدَک عند اللَّه تعالی بوحدانیته، وتقرَّبْ إلیه واتَّقِه بمُزْدَلَفَةَ؛ واصْعَدْ بروحک إلی الملإ الأعلی بصعودک إلی جبل؛ واذْبَحِ الهوی والطمع عندَ الذبیحة؛ وَارم الشهواتِ والخَساسة والدَناءة والذمیمة عندَ رَمْی الجَمَراتِ؛ واحْلَقِ العیوبَ الظاهرةَ والباطنةَ بِحَلْقِ شَعْرِک؛ وادخُلْ فی أمان اللَّه تعالی وکَنَفِهِ وَسِتْرِه وکَلاءته مِن متابعة مرادک بدخولک الحرمَ؛ ودُرْ حولَ البیت مُتَحقِّقاً لتعظیمصاحبه ومعرفةِ جلاله وسلطانه؛ واسْتَلِم الحَجَرَ رضاً بقسمته وخضوعاً لعزَّته؛ وودِّعْ ما سِواه بطَواف الوَداع، وأصْفِ روحَک وسِرَّک للقائه یومَ تَلْقاه بوقُوفک علی الصفا؛ وکُنْ بِمَرأی من اللَّه عند المَروة؛ واسْتَقِمْ علی شرط حجِّک هذا ووفاء عهدک الذی عاهَدتَ مع ربِّک، وأوْجَبْتَه له إلی یوم القیامة.

واعلم بأنّ اللَّه تعالی لم یَفترضِ الحجَّ ولم یَخُصَّه مِن جمیع الطاعات بالإضافة إلی نفسه بقوله عَزَّ وجلَّ: «وللَّه علی الناسِ حِجُّ البَیتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلیه سبیلًا» (۱)

إلّاللاستعانة علی الموت والقبر والبَعْثِ والقیامة والجنّة والنار بمشاهَدَةَ (۲) مناسِکِ الحجِّ مِن أوَّلها إلی آخرها، وفی ذلک عِبرةٌ لأُولی الألباب والنُّهی (۳) انتهی.

ولْنَشْرَعِ الآنَ فی الأحکام الشرعیة:

فاعلم أنّ الحجَّ ثلاثةُ أنواعٍ: تمتُّعٍ وقِرانٍ وإفرادٍ، فالتَمتُّعُ فَرْضُ مَنْ نأی عن مکَّةَ بثمانیةٍ وأربعین مِیلًا، والآخرانِ فَرْضُ حاضریها ومَن فی حکمهم. والفرقُ

۱- ۱ آل عمران ۳: ۹۷.

۲- ۲ فی بعض النسخ: «بشاهد»، وفی بعضها: «لشاهد»، وفی بعضها «بشهادة».

۳- ۳ مصباح الشریعة ۱۴۲- ۱۵۰؛ بحار الأنوار ۹۹: ۱۲۴- ۱۲۵ باب جوامع آداب الحجّ ح ۱.

ص: ۴۵

بینَهما أنّ التمتُّعَ تُقَـدَّمُ فیه العمرةُ علی الحـجِّ، ولیس فی عُمرته طوافُ النساء بخلافهما، ویَخْتَصّانِ عنه أیضاً بجَواز تقـدیم طواف الحجِّ علی الخروج إلی عرفـةَ لغیر عـذرٍ. الفرقُ بینَهمـا- مع اشتراکهما فی تلک الأحکام- انحصارُ عقـدِ إحْرام الإفراد فی التلبیـة، والتخییرُ فی القِران بینهما وبَیْنَ سیاق الهَدْی.

إذا تقرَّرَ ذلک فأفعالُ عُمْرة التمتُّعِ سبعةٌ: الإحرامُ والتلبیةُ ولُبس ثوبی الإحرام والطوافُ ورَکعتاه والسعیُ والتقصیرُ.

وأفعالُ عُمرة الإفراد جمیعُ ذلک مع طواف النساء بعد التقصیر ورَکْعَتَیْه.

وأفعالُ الحجِّ بأنواعه سِتّةَ عَشَرَ: الإحرامُ والتلبیةُ واللُبْسُ والوقوفُ بعرفةَ والمَبیتُ بالمشعر والوقوفُ به ورَمْیُ جَمْرة العَقَبَةِ والذَبْحُ والحَلْقُ والتقصیرُ وطَوافُ الحجِّ ورکعتاه والسعیُ وطوافُ النساء ورکعتاه والمَبیتُ بِمنًی لیالیَ التشریق ورَمْیُ الجَمَراتِ الثلاث.

والأرکـانُ من ذلـک أحَـدَ عَشَـرَ: الإحرامـان والتلبیتانِ والطوافانِ والسـعیانِ والوقوفانِ والترتیبُ بین الأفعال. والمرادُ بالرکن هنا ما یَبْطُلُ الحجُّ بترکه عَمداً لا سَهواً، إلّاأنْ یکونَ الفائتُ الوقوفینِ فیَبْطُل وإنْ کان سهواً، ولا یَبْطُلُ بفَواتِ باقی الأفعال وإنْ کان عمداً.

المقالةُ الأُولی فی أفعال عمرة التمتُّع وفیها فصولٌ:

الأوَّلُ: الإحرامُ وتوابعهُ، وهو توطین النفس علی تَرْکِ أُمورٍ مخصوصةٍ إلی أنْ یأتیَ بالُمحَلِّلِ، وسَـیأتی تفصـیلهُ. وتلک التُروک منها ما یَشْتَرِکُ بینَ الذَکَر وغیره وهو سِـتّةَ عَشَرَ:صَیْدُ البَرِّ الُمحَلَّل المُمْتَنِع بالأصالة وسِتّةٍ من الُمحرَّم: الأسدِ والثَعْلَبِ والأرْنَبِ والضَبِّ والیَربوعِ والقُنْفُذِ، اصطیاداً وأکْلًا وذَبْحاً ودلالةً وإغْلاقاً، مباشَرَةً وتسبیباً ولو بإعارة الآلة، والاستمتاعُ بالجِماع ومقدِّماته حتّی

ص: ۴۶

العقـد، والطِیبُ بأنواعه شـمّاً وسُـعُوطاً وإطلاءً وکَحْلًا وصَـبْغاً وغیرَها، والاکتحالُ بالسَواد، والادّهانُ مطلقاً، وإخْراجُ الـدم، وقَلْمُ الأظافِر، وإزالةُ الشَعْرِ وقَطْعُ الحشـیشِ والشـجرِ النابِتَیْن فی الحرمِ إلّاالإذْخِرَ والَمحالةَ وعُودَیْها وشجرَ الفواکِهِ والنابتَ فی ملکه، والکَذِبُ مطلقاً، والجِدالُ وهو الحَلْف مطلقاً، ولُبْسُ الخاتَمِ، والحِنّاءُ للزینة لا للسـنَّة- فیهما- والفارقُ القصدُ ولُبْسُ السِـلاح اختیاراً، وقتلُ هوامِّ الجَسَـدِ کالقَمْل، والنظرُ فی المرآة.

ومنهـا ما یَخْتَصُّ بالرجل، وهو لُبْسُ الَمخِیطِ وإنْ قَلَّت [الخیاطةُ] عـدا المِنْطَقـةِ والهِمْیانِ، ویَلْحَقُ به الزَرُّ والخَلالُ وما أحاطَ بالبـدن من اللِبـد والـدِرْع الَمنسوجِ وغیرهمـا مّمـا أشْبَهَ المخیـطَ، والتظلیلُ سائراً اختیاراً ولا یَحْرُمُ المشـیُ فی ظِلِّ الَمحْمِلِ ولا المرورُ تحتَ الظِلِّ، وتَغْطِیةُ الرأس ولو بالارتماسِ. وفی اختصاصه بتحریم سَتْرِ ظَهْرِ القَدَمِ بالخُفِّ ونحوِه أو عموم التحریم قولانِ (۱)، أقربُهما الأوّلُ.

ومنها ما یَخْتَصُّ بالمرأة، وهو تغطیـةُ الوجه إلّاالقـدرَ الـذی یَتَوقَّفُ علیه تغطیـةُ الرأس فیَحْرمُ علیها النِقابُ ونحوهُ، ویجوزُ لها أنْ تَسـدُلَ قِناعَهـا بحیثُ لاـ یُصـیبُ وجَهها، ولُبْسُ مـا لم تَعْتَـِدْه مِن الحَلْی ومـا اعْتادَتْه بقصـد الزینـة لا بـدونها، لکنْ یُحْرُمُ علیها إظهارُه للزوج.

والخُنثی المُشکِلُ فی ذلک کالرَجُل إلّافی کَشفِ الرأسِ فیَتَخَیَّرُ بینَه وبینَ کشفِ الوجه.

ویُشْتَرَطُ فی الإحرام إیقاعُه فی أحد المواقیت التی وَقَّتَها رسولُ اللّهصـلی الله علیه و آله و سلم وهی: مسجد الشجرة لأهل المدینة ومَن اجتازبها والجُحْفَةُ لأهل المصـر والشام إنْ مَرّوا بها، ویَلَمْلَمُ لأهل الیمنِ، وقَرْنُ المنازِلِ لأهل الطائف، والعَقِیقُ لأهل العراق وهو المَسْلَخُ وذاتُ عِرْقٍ ومـا بینَهمـا، وأفضـلُه أوّلُهُ، ومَنْ کان منزلُه دونَ المِیقات فمیقاتُه منزلهُ. ولو سَـلَکَ طریقاً لا یَمُرُّ بمیقاتٍ أحْرَمَ عنـد مُحاذاة المیقاتِ ولو ظنّاً، ولا فرقَ فی ذلک بینَ البَرِّ والبحر.

۱- ۱ مختلف الشیعة ۴: ۱۰۵- ۱۰۷ المسألة ۶۷.

ص: ۴۷

وهذه المواقیتُ لحجِّ القِرانِ والإفراد ولعمرة التمتُّع وللمفرَدة إذا مَرَّ علیها.

ولو کان بمکّةَ خرج لها إلی أدنی الحِلّ. ومِیقاتُ حجِّ التمتُّع اختیاراً مکّةُ، وأفضلها المسجدُ وأفضلُه المَقامُ أو تحتَ المِیزابِ.

ویُشتَرطُ أیضاً فی غیر عمرة الإفراد وقوعُه فی أشْهُرِ الحجِّ وهی شوّالٌ وذو القَعْدةِ وذو الحِجَّةِ.

ویُسْتَحَبُّ قبلَ الإحرام تَوْفیرُ شَعْرِ الرأس من أوَّل ذی القِعْدة، ویَتَأکَّدُ عند هِلال ذی الحِجّةِ واستکمالُ التنظیفِ عندَه بإزالة شَعْرِ الإبطِ (۱) والعانةِ بالحَلْق- وأفَضْلُ منه الاطّلاءُ (۲) وإنْ کان مُطَّلِیاً قبلَ ذلک، ما لم یَقْصُرْ وقتُه عن خَمْسةَ عَشَرَ یوماً فلا یتأکَّد الاستحباب- وقَصِّ الأظفارِ وإزالة الشَعَثِ. والغُسْلُ علی الأقوی، ویُجزِئُ غُسلُ النهارِ لیومه واللیلِ للیلته ما لم یَنَمْ أو یُحْدِثْ أو یَأکُلْ أو یَتَطیَّبْ أو یَلْبِسْ ما یَحْرُم علی الُمحْرِمِ فیُعیدُه. ولو تَعَذَّرَ الغُسلُ یَتَیمَّم. ولو خافَ عَوْزَ الماء فی المیقات قَدَّمَه فی أقربِ أوقات الإمکان إلیه، ثمَ یَلْبَسُ ثوبی الإحرام، وسیأتی بیانُهما. ثمّ یُصلِّی سُنّةَ الإحرام وهی سِتُّ رکعاتٍ أو أربعُ أو رکعتان، ثمّ یصِّلی الفریضةَ الحاضرةَ إن کانَتْ وأفضلُها الظهرُ، وإلّا قَضی فریضةً. ونیّةُ الغُسل: «أغْتَسِلُ غُسلَ الإحرامِ لندبه قربةً إلی اللَّه». ونیَّةُ السُنّة: «أُصلِّی رکعتین مِنْ سُنْة الإحرامِ لنَدْبهما قربةً إلی اللَّه».

وینبغی النیَّة عندَ نَزْعِ المخیط ولُبْس الثوبین، ولیستْ شرطاً فی الصحّة وإنْ توقَّفَ علیها الثوابُ، فیَنْوی: «أنْزِعُ الَمخیطَ لوجوبه قربةً إلی اللَّه، ألْبسُ ثَوْبَی الإحرام لوجوبه قربةً إلی اللَّه».

ونیَّةُ الإحرام بالعُمرة: «أُحْرِمُ بالعمرة الُمتَمَتَّعِ بهما إلی حَجِّ الإسلام حَجِّ التمتُّع، وأُلَبِّی التلبیاتِ الأربعَ لعقد هذا الإحرامِ لوجوب الجمیعِ قربةً إلی اللَّه».

ویُقارِنُ بهما التلبیةَ وهی «لَبَّیْک اللهُمَّ لَبَّیک، لَبَّیْک، إنّ الحمدَ والنِعمةَ والمُلک لک،

۱- ۱ «الإبْطُ باطن المَنْکِب» لسان العرب ۷: ۲۵۳، أبط

۲- ۲ «إطَّلی بکذا: ادَّهَنَ به» المعجم الوسیط ۲: ۵۶۵، طلی

ص: ۴۸

لا شریک لک لَبَّیک». ولَمّا کانتِ النیّة هی القصد إلی الفعل المعیَّن المتَّصِفِ بالأوصاف المذکورة فلا بُدَّ مِنْ معرفة المکلف بمعانیها لیَتَحَقَّقَ القصدُ إلیها. فمعنی أُحْرِمُ أی أُوطِّنُ نفسی علی ترک الأُمور المذکورة سابقاً. والعُمرة لغةً: الزیارة، وشرعاً: زیارةُ البیت مع أداء مناسِـکَ مخصوصـةٍ، وتُطْلَقُ علی مجموع تلک المناسک. وخَرَجَ ب «العمرة» (۱)(۲)(۳) الحـجُّ والمتمتَّع بها إلی الحجِّ أی التی یَتَخَلَّلُ بینها وبین الحجِّ راحةٌ وتحلُّلٌ مُسْتَمِرٌّ من الفَراغ منها إلی أنْ یَشْتَغِلَ بالحجِّ، وبهذا القید تَتَمیَّز عن العمرة المفرَدة؛ فإنّها تقع بعدَ الحجِّ أو (۴) غیرَ مُرْتَبِطـةٍ به، وبقیـد «الإسـلام» تَخرج العمرةُ المتمتَّعُ بها إلی حـجِّ النـذر وشـبهه، و «لوجوب الجمیع» إشارةٌ إلی الوجه الذی یقع علیه الفعلُ وبه یَمْتازُ عن المندوب و «قربةً إلی اللَّه» إشارة إلی غایة الفعلِ المتعبَّدِ به. والمرادُ بالقربة إلیه سبحانه موافقةُ إرادته والتقرُّبُ إلی رضاه تعالی لا القربُ المکانی والزمانی، لتنزُّهِه تعالی عنهما. وآثَرَ هذه الصـیغةَ لورودها کثیراً فی الکتاب والسُّـنَّة، ولو اقْتَصَرَ علی جَعْلها للَّه‌تعالی کفی.

ویُعتبر فی التلبیة مقارَنَتُها للنیّة کتکبیرة الإحرام بالنسبة إلی نیّة الصلاة، وترتیبُها علی الوجه المذکور، وموالاتُها، وإعرابُها.

ومعنی لَبَّیْـک: «إجابـةً بعـدَ إجابـةٍ لـک یا ربِّ» أو «إخلاصاً بعـدَ إخلاصٍ» أو «إقامـةً علی طاعتک بعـدَ إقامـةٍ». ومعنی اللهـمَّ: «یا اللَّه». ویجوز کسر «إنّ» فی قوله:

«إنّ الحمـدَ» وفتحهـا، والأوَّل أجودُ (۵). وقـد ورد فی الخبر أنّ هـذه التلبیـة جوابٌ للنـداء المـذکور فی قوله تعـالی: «وأذِّنْ فی النـاس بالحجِّ» (۶)

حیثُصَعِدَ إبراهیمُ علیه السلام أبا قُبَیسٍ ونادی بالحجِّ (۷). وفی «لا شـریَک لک» إرغامٌ لأُنوف الجاهلیة الذین کانوا یُشْـرِکون الأصنامَ والأوثانَ بالتلبیة، وفی تَکرارها بَعْثٌ للقلب علی الإقبال علی خالص الأعمال وتلافٍ لِما لعلّه وقع من الإخلال

۱- ۲ «إطَّلی بکذا: ادَّهَنَ به» المعجم الوسیط ۲: ۵۶۵، طلی

۲- ۲ «إطَّلی بکذا: ادَّهَنَ به» المعجم الوسیط ۲: ۵۶۵، طلی

۳- ۱ فی نّیة الإحرام بالعمرة.

۴- ۲ فی بعض النسخ: «إذ» بدل «أو».

۵- ۳ انظر حاشیة الإرشاد ۱: ۳۹۰؛ الروضة البهیة ۲: ۲۳۱؛ مسالک الأفهام ۲: ۲۳۶؛ المنسک الکبیر للشهیدالأول، وهو لم یطبع بَعدُ.

۶- ۴ الحج ۲۲: ۲۷.

۷- ۵ بحار الأنوار ۹۹: ۱۸۸ کتاب الحـج باب علّة التلبیة وآدابها وأحکامها ۲۳ نقلًا عن تفسیر العیاشی، ولم‌یوجد فیه؛ وانظر: الفقیه ۲: ۱۴۹- ۱۵۱ ح ۶۵۸ باب نکت فی حج الأنبیاء والمرسلینصلوات اللَّه علیهم أجمعین ح ۸.

ص: ۴۹

بوظائف عبودیة المَلِک المتعالِ، کتَکرار الرکعات والتسبیحاتِ والتکبیراتِ وغیرها من الأفعال.

ویُسْتَحبُّ الإکثارُ منها ومن باقی التلبیاتِ المستحبَّةِ خصوصاً «لَبَّیْک ذا المعارِج، لَبَّیْک» فقد کان النبیصلی الله علیه و آله و سلم یُکْثِرُ منها، ومِنَ المستحبّةِ:

لَبَّیک ذا المعارجِ إلی دار السلام، لَبَّیْک لَبَّیْک غفّار الذنوبِ، لَبَّیْک لَبَّیْک أهلَ التلبیة، لَبَّیک لَبَّیْک ذا الجلال والإکرام، لَبَّیْک لَبَّیْک تُبْدِئُ والمعادُ إلیک، لَبَّیْک لَبَّیْک تَسْتَغْنی ویُفْتَقَرُ إلیک، لَبَّیْک لَبَّیْک مَرهوباً ومَرغوباً إلیک، لَبَّیْک لَبَّیْک إلهَ الحقِّ، لَبَّیْک لَبَّیْک ذا النَعْماء وذا الفَضْلِ الحَسَنِ الجَمیل، لَبَّیْک لَبَّیْک کَشّافَ الکُرَبِ العِظام، لَبَّیْک لَبَّیْک عبدُک وابنُ عبدیْک، لَبَّیْک لَبَّیْک أتَقَرَّبُ إلیک بمحمّدٍ وآل محمّدصَلّی اللّه علیهم، لَبَّیْک لَبَّیْک یا کریمُ لَبَّیْک، لَبَّیْک بالعمرة المتمتَّع بها إلی الحجِّ لَبَّیْک (۱).

ولو کان لإحرام الحجّ قال بَدَلَ «بالعمرة»: «بالحجّ» إلی آخر ممّیزاته.

ویُشْتَرطُ فی الثوبینصِحّةُ الصلاة فیهما اختیاراً، فلا یُجْزِئ النَجِسُ ولا الحریرُ المَحْضُ ولا جِلدُ غیرِ المأکول، ولا الرقیقُ الذی یَحْکی العورةَ. ولْیَأتَزِرْ بأحدهما ویرتدی بالآخر- بأنْ یُغَطّیَ به مِنْکَبَیْه- أو یَتَوشَّحُ به بأنْ یُغَطِّیَ [به] أحدَهما (ولو تَأدّتِ الوظیفتان بثوبٍ طویلٍ أجْزأ عنهما) (۲) ویَجوزُ عَقدُ الإزارِ دونَ الرِداء، والزیادةُ علیهما للحاجةِ وإبدالُهُما.

ویُسْتَحَبُّ الطوافُ فی الأوّلیْن، وأنْ یکونا مِن القُطن الأبیضِ، ویُکْرَهُ غَسْلُهما- وإنْ تَوَسَّخا- وکونُهما غیرَ أبیضَیْن.

تذنیبٌ: الحَیْضُ لا یَمْنَعُ الإحرامَ، فلو اتَّفَقَ حالةَ الإحرام أحْرَمَتْ کذلک مِنْ غیر غُسلٍ (۳) ولاصَلاةٍ. ولو کان مِیقاتُها مسجدَ الشجرة أحْرَمَتْ مِنْ خارجه مُجْتازةً به مع أمْنِ التلویثِ.

۱- ۱ الکافی ۴: ۳۳۵ باب التلبیة ح ۳ باختلاف یسیر.

۲- ۲ ما بین الهلالین لیس فی أکثر النسخ.

۳- ۳ قال السیّد العاملی سبط المصنِّف رحمهما اللّه فی مدارک الأحکام ۷: ۳۸۶ فی مبحث إحرام الحائض: «وذکر جدّی قدس سره فی مناسک الحجّ أنّها تترک غُسل الإحرام أیضاً. وهو غیر جیّد؛ لورود الأمر به فی الأخبار الکثیرة».

ص: ۵۰

ویُسْتَحَبُّ لها أنْ تَلْبِسَ ثیاباً طاهرةً حالةَ النیّة- فإذا أحْرَمَت نَزَعَتْها إنْ شاءت- وأنْ تَسْتَثْفِرَ (۱) بَعدَ الحَشْوِ وتَتَنَظّفَ ثمَّ تُحْرِمَ.

ولو تَرَکتِ الإحرامَ لظنّها فَسادَه رَجَعَتْ إلی المیقاتِ مع الإمکان، فإنْ تعذَّر فمِنْ حیثُ أمْکَنَ ولو مِنْ أدنی الحِلِّ. ثمّ إنْ طَهُرَتْ قبلَ وقتِ الطَوافِ فطاهرةٌ وإلّا أخَّرتْه وما بعدَه مِن الأفعال إلی أنْ تَطْهُرَ أو یَضِیقَ الوقتُ بالتلبُّسِ بالحجِّ، فإنْ ضاقَ ولمّا تَطْهُرَ عَدَلَتْ إلی حجِّ الإفراد، وخَرَجَتْ إلی عَرَفَةَ بإحرامِها الأوّلِ، ثمّ اعْتَمَرتْ بعدَ الحجِّ عمرةً مفردةً وأجْزأها عن فرضها. وکذا لو عَرَضَ الحَیضُ بعدَ الإحرام وقبلَ أنْ تطوفَ أربعةَ أشواطٍ ولو عَرَضَ بعدَ أنْ طافَتِ الأربعةَ سَعَتْ وأکْمَلَتِ العمرةَ، وأخَّرتْ بقیّةَ الطوافِ والصلاةَ إلی أنْ تَطْهُرَ.

الثانی فی الطواف، وهی الحرکةُ الدَوْریةُ حولَ البیتِ علی الوجه المخصوصِ للقربة، وله مقدّماتٌ مَسْنونةٌ وفُروضٌ وسُنَنٌ:

فالمقدّمات: الغسلُ عندَ دخول الحرم، ودخولُه ماشیاً حافیاً ونعلُه بیده، فمَنْ فَعَلَ ذلک تواضعاً للّهتعالی مَحا اللّهُ عنه مائةَ ألفِ سیِّئةٍ، وکَتَبَ له مائةَ ألفِ حسنةٍ، وبَنی له مائةَ ألفِ درجةٍ، وقضی له مائةَ ألفِ حاجةٍ. رواه أبانُ بنُ تَغْلِبَ عن الصادق علیه السلام (۲).

والدعاءُ عند دخوله، فإذا أرادَ دخولَ مکّةَ اغْتَسَلَ أیضاً بالأبْطحِ مِنْ بئرِ مَیْمونٍ أو غیره، ولا یُحْدِثَ بعدَه حتّی یدخُلَها.

ویُسْتَحَبُّ الغُسلُ ثالثاً لدخول المسجد الحرامِ، ثمّ یَدخلُه حافِیاً خاضِعاً خاشِعاً مِنْ باب بنی شَیْبَةَ، وهو بإزاء باب السلام أدْخَلُ منه نحوَ المسجد، ویَقِفُ عندَه ویقول:

السلام علیک أیُّها النبیُّ ورحمة اللّه وبرکاته، بسم اللّه وباللّه

[ومن اللّه] (۳)

وما شاء اللّه، والسلام علی أنبیاء اللّه ورُسُله، والسلام علی رسول اللّه،

۱- ۱ «استَثْفَرَ الحائضُ: اتّخَذَتْ خِرْقَةً عریضةً بینَ فَخْذَیْها تشدُّدها فی حِزامها. وفی الحدیث: أنّه أمَرَ المستحاضةَ أنْ تَسْتَثْفِرَ» المعجم الوسیط ۱: ۹۷ ثفر.

۲- ۲ الکافی ۴: ۳۹۸ باب دخول الحرم ح ۱؛ والفقیه ۲: ۱۳۲ ح ۵۵۳ باب فضائل الحجّ ح ۳؛ تهذیب الأحکام ۵: ۹۷ ح ۳۱۷ باب دخول مکّة ح ۱.

۳- ۳ وما فی المعقوفین أضفناه من المصدر.

ص: ۵۱

والسلام على إبراهیمَ خلیلِ اللَّه، والحمد للَّهربِّ العالمینَ (۱).

ثمَّ یَرفَعُ یدَیْه ویَسْتَقْبِلُ البیتَ ویقول:

اللهُمَّ إنّی أسألک فی مقامی هـذا فی أوَّلِ مناسکی أنْ تَقْبَلَ تَوْبتی، وأنْ تُجاوِزَ عَنْ خطیئتی وتَضَعَ عنّی وِزْری، الحمـد للَّهالذی بَلَّغَنی بیتَه الحرامَ.

اللهُمَّ إنّی أُشـهِدُک أنّ هذا بیتُک الحرامُ الذی جَعَلْتَه مثابةً للناسِ وأمناً (۲) ومُبارَکاً وهُدًى للعالمین. اللهُمَّ إنّی عبدُک، والبلدُ بلدُک، والبیتُ بیتُک، جئتُ أطْلُبُ رحمتَک وأؤمُّ طاعتَک، مُطیعاً لأمرِک، راضـیاً بقَدَرِک، أسألُک مسألةَ الفقیرِ إلیک الخائفِ مِنْ عُقوبتک. اللهُمَّ افْتَحْ لی أبوابَ رحمتِک، واسْتَعْمِلْنی بطاعتک ومَرْضاتِک، واحفَظْنی بحفظِ الإیمان أبداً ما أبْقَیْتَنی، جَلَّ ثناءُ وجهِک. الحمدُ للَّهِ الـذی جَعَلَنی مِن وَفْدِه وزُوّارِه، وجَعَلَنی مِمَّنْ یَعْمُرُ مساجِدَه، وجَعَلَنی مِمَّن یُناجیه. اللهُمّ إنّی عبـدُک وزائرُک وفی بیتک، وعلى کُلِّ مأتیٍّ حقٌّ لِمَنْ أتاه وزارَه وأنت خیرُ مأتیٍّ وأکرمُ مَزُورٍ، فأسألُکَ یا اللَّهُ یا رحمنُ بأنّک أنتَ اللَّهُ لا إلهَ إلّاأنت وحدَک لا شریک لک، وبأنّک واحِدٌ أحَدٌصَـمَدٌ لم تلِدْ ولم تُولَدْ ولم یکن لک کُفواً أحدٌ، وأنّ محمَّداً عبدُک ورسولکصلى الله علیه و آله و سلم. یا جوادُ یا ماجِدُ یـا حَنّانُ یـا مَنّانُ یا کریمُ أسألُک أنْ تَجْعَلَ تُحْفَتَکَ إیّای مِن زیارتی إیّاکَ فَکاکَ رَقَبتی مِن النار، اللهُمّ فُکَّ رَقَبتی مِن النار- ثلاثاً- وأوْسِعْ علیَّ مِن رِزقک الحلالِ، وادْرأْ عنّی شرَّ شیاطینِ الجنِّ والإنسِ وشَرَّ فَسَقَةِ العربِ والعجمِ (۳).

ثمّ یمشی نحوَ البیتِ، فإذا دَنا مِن الحَجَرِ الأسودِ رَفَعَ یَدیْه وحَمِدَ اللَّهَ وأثْنى علیه وقال:

«الحمدُ للَّهِ الذی هَدانا لهذا وما کُنّا لِنَهْتدیَ لولا أنْ هدانا اللَّه» (۴).

سبحان اللَّه والحمد للَّهولا إلهَ إلّااللَّهُ واللَّه أکبرُ (۵).

۱- ۱ الکافی ۴: ۴۰۱ باب دخول المسجد الحرام ح ۱؛ تهذیب الأحکام ۵: ۹۹- ۱۰۰ ح ۳۲۷ بـاب دخول مکّةَ ح ۱۱ وکلمة «خَلیل اللَّه» لیست فی المصدرین.

۲- ۲ اقتباس من الآیة ۱۲۵ من البقرة ۲.

۳- ۳ الکافی ۴: ۴۰۱- ۴۰۲ باب دخول المسجد الحرام ح ۱- ۲؛ تهذیب الأحکام ۵: ۹۹- ۱۰۱ ح ۳۲۷- ۳۲۸ باب دخول مکَة ح ۱۱- ۱۲ وفی المصـدرین «الخائف لعقوبتک» بـدل «الخائف من عقوبتک» وفی تهذیب الأحکام وبعض النُسَخ: «لم یلد ولم یولد» بدل «لم تلد ولم تولد». وفی المصدرین: «لم یکن له» مکان «لم یکن لک».

۴- ۴ اقتباس من الآیة ۴۳ من الأعراف ۷.

۵- ۵ الکافی ۴: ۴۰۳ باب الدعاء عند اسـتقبال الحجر واستلامه ح ۲؛ تهـذیب الأحکام ۵: ۱۰۲ ح ۳۳۰ بـاب الطواف ح ۲ ولم ینقل الشهید رحمه الله تمامَ الدعاء.

ص: ۵۲

وصلّی علی النبیِّصلی الله علیه و آله و سلم، ثمّ یَسْتَلِمُ الحَجَرَ الأسود ویُقَبِّلُه، فإنَ لم یَسْتطِعْ أشارَ إلیه ویقول:

اللهُمَّ إنِّی أُؤمِن بوعدک، وأُوفِی بعهدک. اللهُمَّ أمانتی أدَّیتُها ومیثاقی تعاهَدْتُه لِتَشْـهَدَ لی بالموافاة. اللهُمّ تصدیقاً بکتابک وعلی سنَّةِ نبیِّکصلی الله علیه و آله و سلم، أشـهدُ أنْ لا ـ إلهَ إلّااللَّهُ وحـدَه لا شـریکَ له، وأنّ محمَّداً عبـدُه ورسولُه، آمَنْتُ باللَّه وکَفَرْتُ بالجِبْتِ والطاغوتِ وباللاتِ والعُزّی وعبادةِ الشَیطانِ وعبادةِ کُلِّ نِّدٍ یُدْعی مِن دونِ اللَّه.

فإنْ لم یَقْدِرْ علی جمیع ذلک قال بعضه: (۱)

اللهُمّ إلیک بَسطْتُ یدی،

وفیما عندک عَظُمَتْ رَغْبَتی، فَاقْبَل سُبْحَتی (۲) واغفِر لی وارْحَمْنی.

اللهُمّ إنِّی أعوذُ بک مِن الکُفرِ والفقرِ ومواقِفِ الخِزْی فی الدنیا والآخرة (۳).

وأمّا الفروضُ فعلی ضربین: شروطٌ متقدِّمة ومقارِنَةٌ:

فالشـروط أربعـةٌ: الطهارةُ مِن الحَـدَث ولو بالتیمُّم مع تعـذُّر المائیـة، ولا یُشْتَرَطُ ذلک فی الطواف المنـدوبِ علی الأقوی وإنْ کان مِنْ کمـاله، نَعَم هی شـرطٌ فیصـلاة الطوافِ مطلقاً؛ وإزالـةُ النَجاسـة عن الثوب والبـدن علی حـدٍّ ما یُعتبر فی الصـلاة؛ وسَتْرُ العورةِ الواجبِ سَتْرُها فی الصلاة بحسب حال الطائف؛ والخِتانُ فی الرجل مع المُکْنة.

والمقارِنـةُ سَبْعَةٌ: النیّـةُ مقارِنـةً لأوّل جزءٍ مِن الحجر الأسود، بحیث یکونُ أوَّلُ بدنِه مُحاذیاً لأوَّلِ جزءٍ مِن الحجر عِلْماً أو ظنّاً، لِیَمُرَّ علیه بجمیع بـدنه، ولا ـ یُشْتَرَطُ اسـتقبالُ البیتِ أوّلًا ثمّ الا ـنحرافُ بل یَکفی جَعْلُه علی الیَسار ابتـداءً، وإنْ کان الأوَّلُ أولی وصـفتها: «أطوفُ بالبیتِ سبعةَ أشواطٍ لعمرةِ الإسلامِ عمرةِ التمتُّع لوجوبه قربةً إلی اللَّه» مُسْتَدامةَ الحکم إلی آخره، مقارِنَةً للحرکة عقیبها

۱- ۱ فی المصدرین: «فإنْ لم تستطع أنْ تقولَ هذا کلَّه فبعضه وقل». ومن قوله: «فإنْ لم یقدر» إلی آخر الدعاءلا یوجد فی أکثر النسخ.

۲- ۲ قـال الفیض فی الوافی ۱۳: ۸۱۶: «السُبْحَة تقال للذِکر والصـلاة النفل، وهی مِن التسبیح کالسخرة مِنالتسخیر، وفی بعض النسخ: «مسیحتی» أی مسیری».

۳- ۳ الکافی ۴: ۴۰۲- ۴۰۳ باب الدعاء عند اسـتقبال الحجر واسـتلامه ح ۱- ۲؛ تهـذیب الأحکام ۵: ۱۰۱- ۱۰۲ ح ۳۲۹- ۳۳۰ باب الطواف ح ۱- ۲.

ص: ۵۳

بنفسه أو حامله؛ وجعلُ البيتِ على اليَسار؛ والمَقام على اليمين ولو تقديراً، بمعنى مراعاةِ النسبة فى جميع الجِهات؛ والخروجُ بجميع البدن عن البيت، فلا يَمَسَّ الحائطَ ماشياً بل يَقِفُ إنْ أرادَه لِئلّا تَدْخُلَ يدُه على الشاذروانِ؛ وموالاةُ أربعة أشواطٍ مِنَ السبعِة، ويجوزُ تفريقُ الباقى منها لضرورةٍ أو قضاءِ حاجةٍ أوصلاةِ فريضةٍ أو نافلةٍ يُخاف فوتُها أو لدخول البيت؛ وإدخالُ الحِجْرِ فى الطواف، فلو طافَ فيه أو مَشى على حائطه لم يُجْزِئْ، ولا يجب الخروجُ عن شىءٍ آخَرَ أو خارِجه إجماعاً؛ والختمُ فى الشَوْط السابعِ بما بَدَأ به؛ بمعنى جَعْلِ أوّل جزءٍ مِن الحَجَرِ مُحاذياً لأوّلِ بدنه حَذَراً مِن الزيادة والنقيصة المُبْطِلتَين ولو بخُطْوةٍ؛ حتّى لو لم يَحْصُلِ العددُ أو شَكَّ- فى النقيصة مطلقاً وفى الزيادة قبلَ بُلوغِ الركنِ- بَطَلَ، ولو بَلَغَه قَطَعَ وصَحَّ طَوافُه. ولو شَكَّ بعدَ الفَراغِ لم يَلْتَفِتْ مطلقاً. ولو كان الطوافُ نَفْلًا بَنى على الأقلِّ.

وسُنَنُه: المبادَرَةُ إليه حينَ يَدْخُلُ المسجدَ؛ لأنّه تَحيّتُه إلّاأنْ يَخافَ فَوْتَ الجماعةِ فيُقَدِّمها؛ وتقبيلُ الحجَر واسْتِلامُه ببطنه وما أمْكَنَ مِن بدنه فى ابتداء الطواف وفى كُلِّ شوط، فإنْ تَعَذَّرَ فبيده، فإنْ تَعَذَّرَ أوْمَأ إليه كما مَرَّ؛ واستلامُ الأركانِ كلِّها وتقبيلُها خصوصاً العراقيَ واليمانىَ، بل قيل بوجوب استلام اليمانى (۱)؛ والاقتصادُ فى المشى؛ والتَدانى مِن البيت وإنْ قلَّتِ الخِطاءُ؛ والتزامُ المُسْتَجارِ فى الشوط السابع، وهو مقابِلُ الباب قريباً مِن الركن اليمانى؛ وبَسْطُ اليدينِ على حائطه؛ وإلصاقُ البطنِ والخَدَّيْن به؛ وتَعدادُ الذُنوبِ مُفَصَّلةً والاستغفارُ منها؛ والدعاءُ عنده بقوله: «اللهُمّ البيتُ بيتُك والعبدُ عبدُك، وهذا مكانُ العائِذ بك مِن النار» (۲).

ومتى الْتَزَمَ أو اسْتَلَمَ حَفِظَ موضعَ قيامه وعادَ إلى طوافه منه حَذَراً مِن التقدُّم والتأخُّر؛ وأنْ يقولَ فى حال الطواف:

۱- ۱ القائل هو سلار فى المراسم: ۱۱۷ وانظر مختلف الشيعة ۴: ۲۱۰ المسألة ۱۶۴ ومدارك الأحكام ۸: ۱۶۵.

۲- ۲ الكافى ۴: ۴۱۱ باب الملتزم والدعاء عنده ح ۵؛ تهذيب الأحكام ۵: ۱۰۷ ح ۳۴۷ باب الطواف ح ۱۹.

ص: ۵۴

اللهُمَّ إنِّی أسْألُک بِاسـمکَ الذی یُمْشـی به علی طَلَلِ الماء کما یُمْشی به علی جُدَدِ الأرضِ، وأسألُکَ باسمکَ الذی یَهْتَزُّ له عرشُک، وأسألُکَ باسـمکَ الذی تَهْتَزُّ له أقدامُ ملائکتک، وأسألُکَ باسـمکَ الذی دعاکَ به موسـی بنُ عِمران، مِن جانب الطورِ فَاسْتَجَبْتَ له وألْقَیْتَ علیه مَحَبَّةً منک، وأسألُکَ باسـمک الـذی غَفْرتَ به لمحمَّدٍصـلی الله علیه و آله و سـلم ما تَقَـدَّمَ مِنْ ذنبه وما تَأخَّر، وأتْمَمْتَ علیهِ نِعْمتَک (۱) أنْ تَفْعَلَ بی کذا وکذا

- ویقول أیضاً:-

اللهُمَّ إنِّی إلیک فقیر، وإنِّی خائفٌ مُسْتَجِیرٌ، فلا تُبَدِّلْ اسمی ولا تُغَیِّرْ جسمی (۲).

فـإذا فَرَغَ مِن الطواف أتی مقـامَ أبراهیمَ علیه السـلام فصـلّی رکعـتیه خلفَه أو عن أحـدِ جـانبیه، ونیّتهمـا: «أُصـلّی رکعـتی طوافِ عمرةِ الإسلام عمرةِ التمتُّع أداء لوجوبه (۳) قربةً إلی اللّه» وهی کالیومیة فی الشرائط والأفعال. ویَتَخَیَّرُ فیها بین الجهر والإخفات. ویُسْتَحَبُّ أنْ یَقْرأ فی الرکعةِ الأُولی بعدَ الحمدِ التوحیدَ وفی الثانیةِ الجحدَ أو بالعکس. ویَدْعو بعدَهما بالمأثور أو بما سَنَحَ.

الثالث: السعْی، وهی الحرکاتُ المعهودةُ بینَ الصفا والمَروة للقربة، وله مقدِّماتٌ مَسْنونةٌ وفروضٌ وسُنَنٌ مقارِنَةٌ:

فمقـدِّماته: التعجیلُ إلیه عقیبَصـلاة الطواف والطهارة مِن الحِـدَثِ والخَبَث علی أشـهر القولین (۴)، واسـتلامُ الحَجَرِ، والشربُ مِنْ زَمْزَمَ وَصبُّ الماء علیه مِن الدَلْو المقابلِ للحَجَر وإلّا فمِنْ غیره، والأفضلُ استقاؤه بنفسه قائلًا عند الشرب:

«اللهُمَّ اجْعَلْه عِلْماً نافعاً ورِزقاً واسعاً وشفاءً مِن کلِّ داءٍ وسُقْم» (۵)

، والخروج إلی الصـفا مِن البـاب المقابِـل للحَجَرِ، وهو الآـن فی داخـل المسـجد بـإزاء البـاب المعروف بباب الصـفا مُعَلَّمٌ بأُسْـطُوانتین معروفتین، فلیَخْرُجْ مِن بینهما إلی الباب، والصعودُ علی الصفا بحیث یری البیتَ مِن بابه، واستقبالُ الرُکْنِ العِراقی، وإطالةُ

۱- ۱ إشارة إلی الآیة ۲ من الفتح ۴۸.

۲- ۲ الکافی ۴: ۴۰۶- ۴۰۷ باب الطواف واستلام الأرکان ح ۱؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۰۴ ح ۳۹۹ باب الطواف ح ۱۱.

۳- ۳ هکذا فی النسخ، والظاهر أنّ الصواب «لوجوبهما» لعود الضمیر إلی رکعتی الطواف، وهکذا الکلام فیأمثالها من سائر النیّات.

۴- ۴ ذهب إلی استحباب الطهارة، المشهور من الأصحاب ومنهم المحقق فی شرائع الإسلام ۱: ۲۴۷ وذهبإلی وجوبها ابن عقیل کما حکاه عنه العلامة فی مختلف الشیعة ۴: ۲۲۵ المسألة ۱۸۱.

۵- ۵ الکافی ۴: ۴۳۰ باب استلام الحجر بعد الرکعتین وشرب ماء زمزم قبل الخروج إلی الصفا والمروةح ۱- ۲؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۴۴ ح ۴۷۶- ۴۷۷؛ باب الخروج إلی الصفا ح ۱- ۲.

ص: ۵۵

الوقوفِ علیه، وقِراءةُ سورة البقرة، وحمـدُ اللّه وتکبیرُه وتسبیحُه وتهلیلُه والصـلاةُ علی النبی وآلهصـلی الله علیه و آله و سـلم مائـة مائة، وأقلُّه التکبیرُ والتهلیلُ سَبْعاً سَبْعاً، ثمّ یقولُ:

لا إلهَ إلّااللّهُ وحـدَه لا شـریکَ له، له المُلکُ وله الحمـدُ، یُحْیی ویُمِیتُ وهو حیٌ لا یَموتُ، بیـده الخَیرُ وهو علی کُلِّ شـیءٍ قدیر (۱).-

ویقول:- لا إلهَ

إلّا اللّهُ وحـدَه وحـدَه، أنْجَزَ وعدَه، ونَصَـرَ عبدَه، وهَزَمَ الأحزابَ وحدَه، فله الملکُ، وله الحمدُ وحده. اللهُمَّ بارِکْ لی فی الموت وفیما بعدَ الموت.

اللهُمَّ إنِّی أعوذُ بـک مِنْ ظلمـةِ القبر ووحشَـتِه. اللهُمَّ أظلَّنی تحتَ عرشِـک یومَ لا ظِلَّ إلّاظِلُّک- ویقول- أسْـتَودِعُ اللّهَ الرحْمنَ الرحیمَ، الذی لا یُضیع وَدائِعَه، ودینی ونَفَسی وأهلی (۲).

وفروضه: النیّةُ: «أسْـعی سبعةَ أشواطٍ لعُمْرَة الإسـلام عمرةِ التمتُّع لوجوبه قربةً إلی اللّه» مقارِنةً للصـفا بأنْ یُلصِقَ عَقِبه به أو یَصْـعَدَ علیه، والحرکـةُ بعـدَها فی الطریق المعهود بوجهه مسـتدامةَ الحکم إلیآخره، ویَخْتِمُ بالمروة ولو بأصابع قدمیهِ إنْ لم یَدْخُلْ، فإذا عاد ألْصَـقَ عَقَبَه بها وأصابِعَه بالصـفا آخِراً إنْ لم یَصْـعَدْ کذلک، وإتمامُ السـبعةِ، مِنَ الصفاإلیه شوطانِ، منغیر زیادةٍ ولانُقصانٍ، فلو زادَ عمداً بَطَلَ وناسیاً یَقْطَعُ. ولو نَقَصَ عـادَ للإکمـال وجوبـاً. ویَسـتَنِیبُ مع التعـذُّر، ولا- یَتَحَلَّلُ بـدونه، وإیقـاعُه یومَ الطواف، فـإنْ أخَّرَه أثِمَ وأجْزَأ، والأحوطُ موالاتُه کالطوافِ.

وسُـنَنُه: السَـعْیُ ماشـیاً مع القدرة والسَـکینة والوَقار، وأنْ لا یَقْطَعَه لغیر ضـرورة، والهَرْوَلَةُ للرجل بینَ المَنارة وزُقاقِ العطّارین، ولو نَسِیَها رَجَعَ القَهْقَری وتَدارَکَها ما لم یَشْرَعْ فی الشوط الثانی، والراکِبُ یُحَرِّکُ دابَّتَه ما لم یُؤذِ أحداً، وأنْ یقولَ:

بِسم اللّه واللّه أکبرُ، وصلّی اللّه علی محمَّدٍ وآله، اللهُمَّ اغْفِرْ وَارْحَمْ، وتجاوَزْ عمّا تَعْلَم، إنّک أنتَ الأعزُّ الأکْرَمُ (۳).

۱- ۱ الکـافی ۴: ۴۳۱- ۴۳۲ بـاب الوقوف علی الصـفا والـدعاء ح ۱؛ تهـذیب الأحکام ۵: ۱۴۵- ۱۴۶ بـابالخروج إلی الصـفا ح ۶. ولیست فی المصدرین جملة «بیده الخیر».

۲- ۲ الکافی ۴: ۴۳۱- ۴۳۲ باب الوقوف علی الصفا والدعاء ح ۱؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۴۵- ۱۴۶ ح ۴۸۱ باب الخروج إلی الصفا ح ۶. وللدعاء تتمة وهی: «اللهمَّ استعملنی علی کتابک وسنّة نبیّک، وتَوَفَّنِی علی ملّته ثمّ أعِذنی من الفتنة».

۳- ۳ الکافی ۴: ۴۳۴- ۴۳۵ باب السعی بین الصفا والمروة وما یقال فیه ح ۶؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۴۸ ح ۴۸۷ باب الخروج إلی الصفا ح ۱۲.

ص: ۵۶

الرابع: التقصیر، وهو إبانةُ مُسَمَّی الشَعرِ أو الظُفُرِ، وبه یُحِلُّ مِن إحرام العمرة المُتَمتِّع بها. أمّا المُفْرَدَةُ فلا یَتِمُّ الإحلالُ منها إلّابطوافِ النساء بعدَه وصلاةِ رکعتیهِ.

وفروضه: النیّةُ مقارِنَةً للفعل: «أُقصِّرُ للإحلال مِن إحرام العمرة المتمتَّع بها إلی حَجّ الإسلام حجِّ التمتّع لوجوبه قربةً إلی اللّه» مستدامةَ الحکم إلی آخره، ولا یَتَعَیَّنُ له آلةٌ مخصوصةٌ، فیُجْزِئُ الحدیدُ والنُورةُ والنَتْفُ والقَرْضُ بالسِنِّ وغیرُها، ولا فرقَ بینَ شَعْرِ الرأسِ وغیره، ولا یُجْزِئُ الحَلْقُ هنا، نَعَمْ یُجْزِئُ فی المفرَدة، ومکانُه مکّةُ.

ویُسْتَحَبُّ کونُه علی المروة، والبدأةُ بالناصیةِ، والأخذُ مِن جمیعِ جوانبِ شَعْره علی المُشْطِ، وتقلیمُ الأظافر مع أخْذِ الشَعْر، والتَشَبُّهُ بالمُحْرِمین بعدَه فی ترک لُبْسِ المَخِیط إلی أنْ یَتَلَبَّسَ بالحجّ، وکذا لأهلِ مکّةَ طُول المُوْسِمِ.

المقالةُ الثانیةُ فی أفعال الحجِّ وفیها فصول

الأوّلُ: الإحرامُ، وتحقیقه کما مرَّ فی الواجبات والمحرَّمات إلّاأنّه یَنْوِی هنا إحرامَ الحجِّ، وصفةُ النیةِ: أُحْرِمُ بحجِّ الإسلام حجِّ التمتُّع، وأُلَبِّی التلبیات الأربعَ لِعقد هذا الإحرام لوجوب الجمیع قربةً إلی اللّه، لَبَّیْک اللهُمَّ لَبَّیْک إلخ». وقد تَقَدَّمَ أنّ محلَّه مکّةُ، وأفضلُها المسجدُ وخاصّةً المقامَ أو تحتَ المِیزابِ، وأفضلُ زمانه یومَ الثامنِ بعدَ الزَوال عقیبَ الظُهرین المُتَعَقِّبَیْن لِسُنّة الإحرام المتقدِّمة.

ویُسْتَحَبُّ رفعُ الصوتِ بالتلبیة فی موضع الإحرام إنْ کان ماشیاً، وإنْ کان راکباً إذا نَهَضَ به بَعیُره، مُتَوَجِّهاً إلی عرفاتٍ خصوصاً إذا أشْرَفَ علی الأبطحِ، وأنْ یقولَ عند توجّبه: «اللهُمَّ إیّاکَ أرجو وإیّاک أدعو، فبَلِّغْنی أمَلی وأصْلِحْ لی عملی» (۱). فإذا وَصَلَ إلی منیً قال:

۱- ۱ الکافی ۴: ۴۶۰ باب الخروج إلی مِنیً ح ۴؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۷۷ ح ۵۹۵ باب نزول مِنیً ح ۹.

ص: ۵۷

اللهُمَّ هـذه منی وهی مّما مَنَنْتَ به علینا مِن المناسِکِ، فأسْألُکَ أنْ تَمُنَّ علیَّ بما مَنَنْتَ به علی أنبیائک، فإنّما أنا عبدُک وفی قَبْضَ تِکَ (۱).

ویُسْتَحَبُّ المَبیتُ بها لیلةَ التاسع، وأنْ لا یَجُوزَها حتّی تَطْلُعَ الشمسُ، فإذا تَوَجَّهَ إلی عرفاتٍ قال:

اللهمَّ إلیک قَصَدْتُ، وإیّاک اعْتَمَدْتُ، ووَجْهَک أردتُ، أسألُک أنْ تُبارِکَ لی فی رِحْلتی، وأنْ تَقْضَی لی حاجتی، وأنْ تَجْعَلَنِی مّمن تُباهی به الیومَ مَنْ هو أفضلُ منّی (۲).

ولْیَسْتَمِرَّ علی التلبیة استحباباً إلی أنْ یَصِلَ إلیْ عَرَفَةَ.

الثانی: الوقوفُ بعرفَةَ، وهو الکَوْنُ بها مِن زَوال الشمس إلی غروبها مِن یَوْم التاسعِ مقارِناً أوّلَه بالنیّة- عندَ تحقُّقِ الزَوال مُسْتَدامةَ الحکم إلی آخره-:

«أقِفُ بعَرفَةَ فی حجِّ الإسلام حجِّ التمتُّع لوجوبه قربةً إلی اللّه». والرکنُ منه مسمّی الکَوْنِ بعدَ النیَّة وإنْ کان عابرَ سبیلٍ، وباقیه موصوفٌ بالوجوب لا غیرُ. وحدُّ عَرَفَةَ ما بین ثَوِیَّةَ وعُرَنَةَ وذی المَجاز وذی الأراک.

وسُنَنُه: الغسلُ قبلَ الزوال، وجَمْعُ الرَحلِ، وقَطْعُ العلائقِ المانعةِ مِن الإقبال علی اللّه تعالی فی ذلک الوقت، والجمعُ بینَ الظهرین فی أوّل الوقت بأذانٍ وإقامتین، والوقوفُ بالسَفْحِ فی مَیْسَرَةِ الجبلِ والقُرْبُ منه، والقیامُ بعدَ الصلاة مع الاختیار، واستقبالُ القبلة، وإحضارُ القلب، والإکثارُ مِن التکبیر والتحمید والتهلیل والتمجید، والتسبیحُ والثناءُ علی اللّه تعالی بما هو أهلُه، والاستعاذةُ باللّه مِن الشیطان الرجیم- فإنّه حریصٌ علی أنْ یُذْهِلَ المؤمنَ فی ذلک المَوْطنِ الشریفِ- والاستغفارُ بالقلب واللسانِ، وتَعدادُ الذنوبِ، والبُکاءُ أو التباکی، والدعاءُ للإخوانِ وأقلُّهم أربعونَ، والبروزُ تحتَ السماء إلّالضرورةٍ، وصرفُ الزمانِ کلِّه فی الدعاء والاستغفار والذکرِ، بل قیل بوجوبه (۳)، والدعاء المأثور (۴) وهو

۱- ۱ الکافی ۴: ۴۶۱ باب نزول مِنیً وحدودها ح ۱؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۷۷- ۱۷۸ ح ۵۹۶ باب نزول مِنیً ح ۱۰.

۲- ۲ الکافی ۴: ۴۶۱ باب الغُدُوّ إلی عرفاتٍ وحدودها، ح ۳؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۷۹ ح ۶۰۰ باب الغُدُوّ إلی عرفاتٍ ح ۴. قال السلطان فی حاشیة الوافی ۱۳: ۱۰۲۰: «قوله: «من هو أفضل منّی» لعلّ المراد بالأفضل الملائکة علی ما ورد فی بعض الروایات ...» وفی المصدرین «صَمَدْت» مکان «قصدت».

۳- ۳ کلام أبی الصلاح فی الکافی فی الفقه: ۱۹۷ یوهم الوجوب حیث قال: «ویلزم افتتاحه بالنیة وقطع زمانهبالدعاء، والتوبة والاستغفار»، وانظر: مختلف الشیعة ۴: ۲۴۹ المسألة ۲۰۲.

۴- ۴ الکافی ۴: ۴۶۳- ۴۶۴ باب الوقوف بعرفةَ وحدّ الموقفِ ح ۴؛ الفقیه ۲: ۵۴۱ ح ۳۱۳۴؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۸۲- ۱۸۳ ح ۶۱۱- ۶۱۲ باب الغُدُوِّ إلی عرفاتٍ ح ۱۵- ۱۶.

ص: ۵۸

کثیرٌ لا یَقْتَضِی الحالُ ذِکرَه هنا وأعظَمُهُ دعاءُ الحسینِ ووَلَدِه زینِ العابدینَ علیهما السلام، وقِراءةُ عَشْرٍ مِن أوَّلِ البقرةِ ثمّ التوحیدِ ثلاثاً وآیةِ الکرسیِّ والسُخْرةِ (۱) والمُعَوِّذَتَینِ ثمّ حمدُ اللّهِ تعالی علی نِعَمِه مُفَصَّلةً، وفِعْلُ الخیرِ ما اسْتَطاعَ، وتَرْکُ الهَذَرِ.

الثالثُ: الوقوفُ بالمشعرِ الحَرام إذا غَربَتِ الشمسُ مِن یوم عرفَةَ، فَلْیُفِضْ إلیه وجوباً بالسکینة والوَقار مُستغفِراً داعیاً بالمأثور وهو:

اللهمّ لا تَجْعَلْه آخِرَ العهدِ مِنْ هذا المَوْقِفِ، وارْزُقْنِیه أبَداً ما أبْقَیْتَنی، واقْلِبْنی الیومَ مُفْلِحاً مُنْجِحاً مُسْتجاباً لی مَرحوماً مَغفوراً لی بأفضلِ ما یَنْقَلِبُ به الیومَ أحدٌ مِن وَفدِک علیک، وأعْطِنی أفْضَلَ ما أعْطَیْتَ أحداً مِنهم مِن الخیرِ والبَرَکةِ والرِضوان والمغفرةِ، وبارِکْ لی فیما أرْجِعُ إلیه مِنْ أهلٍ أو مالٍ أو قلیلٍ أو کثیرٍ، وبارِکْ لَهم فیَّ (۲).

ولْیُکْثِرْ مِن قوله: «اللهمّ أعْتِقْ رَقَبَتی مِن النار» (۳)فإذابَلَغَ المَشْعَرَ- وحَدُّهُ ما بینَ المأْزِمَیْنِ إلی الحِیاض إلی وادی مُحَسِّرٍ- وجب علیه الکَوْنُ به إلی الفجر ناویاً: «أبِیتُ هذه اللیلةَ بالمشعرِ فی حجِّ الإسلام حجِّ التمتُّع لوجوبه قربةً إلی اللّه».

ویُسْتَحَبُّ إحیاءُ تلک اللیلةِ بالعبادة فإنّ أبوابَ السماءِ لا تُغْلَقُ تلک اللیلة لأصوات المؤمنین (۴). فإذا أصْبَحَ وجبَ علیه الکَوْنُ به إلی طُلوعِ الشمسِ ناویاً- عندَ تحقُّقِ الفجر-: «أقِفُ بالمَشْعَرِ فی حجِّ الإسلام حَجِّ التمتُّعِ لوجوبه قربةً إلی اللّه» مُسْتَدامَةَ الحکمِ إلی آخره.

هذا کُلُّه مع الاختیار، أمّا مع الاضطرار فیُجْزِئُ مُسَمّی الوقوفِ بعرفَةَ لیلةَ العاشر، وبالمشعرِ مُسمّاه أیضاً فی تلک اللیلةِ وفیما بینَ طلوع الشمسِ وزوالِها مِنْ یَوْمِ النَحْرِ. ویُدْرَکُ الحَجُّ بإدراکِ الاختیاریَّیْنِ وأحدِهما، والاضطراریَّیْنِ وأحدهما مع اختیاریِّ الآخَرِ لا مُنْفَرِداً، وفی اضطراریِّ المشعرِ وحدَه قولٌ قویٌّ

۱- ۱ آیة السُخْرة هی الآیة ۵۴ من الأعراف ۷: «إنّ ربّکم اللّه الذی خَلَقَ ... مُسَخَّراتٍ بأمره ألا له الخلقُوالأمرُ تبارک اللّه ربُّ العالمین».

۲- ۲ الفقیه ۲: ۳۲۵ ح ۱۵۴۸ باب الإفاضة من عرفات ح ۴؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۸۷ ح ۶۲۲ باب الإفاضة من عرفات ح ۵.

۳- ۳ الکافی ۴: ۴۶۹ باب لیلة المزدلفة والوقوف بالمشعر والافاضة منه وحدوده ح ۴ وفیه: «ولیکن منقولک: «اللهم ربَّ المشعر الحرام فکَّ رقبتی من النار ...»؛ الفقیه ۲: ۱۸۷- ۱۸۸ ح ۶۲۳ باب الافاضة من عرفات ح ۶ «... معاویة بن عمّار: سمعت ابا عبد اللّه علیه السلام یقول: اللهم أعتقنی زمن الذل یکررها حتی أفاض الناس ... الفقیه ۲: ۱۹۱ ح ۶۲۵ باب نزول المزدلفة ح ۱۶.

۴- ۴ الکافی ۴: ۴۶۸- ۴۶۹ باب لیلة المزدلفة والوقوف بالمشعر والافاضة منه وحدوده ح ۱؛ الفقیه ۲: ۵۴۴ ح ۳۱۳۷ باب الإفاضة من عرفات ح؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۸۸- ۱۸۹ ح ۶۲۶ باب نزول المزدلفة ح ۳.

ص: ۵۹

بالإجزاء (۱)؛ هذا إذا لم یَکنِ الفَواتُ عمداً کما مَرَّ.

ویُسْتَحَبُّ الدعاءُ فی المَشْعَرِ بقوله:

اللهمّ هـذه جمعٌ فاجْمَعْ فیها جوامِعَ الخیر. اللهمّ لا تُؤْیِسْنی مِن الخیر الـذی سألتُک أنْ تجمعَه لی فی قلبی، ثمّ أطلبُ إلیک أنْ تُعَرِّفنی ما عَرَّفْتَ أولیاءَک فی منزلی هذا، وأنْ تَقِیَنی جوامِعَ الشَرِّ (۲).

- ویَقول أیضاً:-

اللهمّ ربَّ المشعرِ الحرام فُکَّ رَقَبَتی مِن النـار، وأوْسِعْ علیَّ مِن رزقـک الحلالِ، وادْرأْ عنّی شَرَّ فَسَقَةِ الجنِّ والإنسِ. اللهمّ أنت خیرُ مطلوبٍ إلیه وخیرُ مدعوٍّ وخیرُ مسؤولٍ، ولکُلِّ وافِدٍ جائزةٌ، فاجْعَلْ جائزتی فی مَوطِنی هذا أنْ تُقِیلَنی عَثْرَتی وتَقْبَلَ مَعْذِرتی، وأنْ تُجاوِزَ عَنْ خَطیئتی، ثمَّ اجْعَلِ التقوی مِن الدنیا زادی (۳).

فإذا طَلَعَتِ الشمسُ أفاضَ إلی مِنی بالسکینةِ والوَقارِ والذکرِ للّه‌تعالی والاستغفارِ والدعاءِ (۴).

والهَرْوَلَةُ بوادی مُحَسِّرٍ للماشـی والراکِب، ولو نَسِیَها رَجَعَ لِتَدارکِها ولو مِن مکَّةَ، کما ورد فی الخبر (۵). ویقول فیها (۶): «اللهمَّ سَلِّمْ عَهْدی، واقْبَلْ تَوْبَتی، وأجِبْ دَعوتی، واخْلُفْنِی فیمَنْ تَرَکْتُ بَعدی» (۷).

ویُسْتَحَبُّ التقاطُ الحَصی للرَمْی مِنَ المشعر وهی سبعونَ حَصاةً، ولو احتاط بالزائد فلا بأسَ. ویُسْتَحَبُّ کونُها بُرْشاً کُحْلِیّةً مُلْتَقَطةً مُنَقَّطَةً رِخْوَةً بِقَدْرِ الأنمُلَةِ طاهرةً مغسولةً.

الرابع: نزولُ مِنی یومَ النَحْرِ لرَمْی جَمْرة العَقَبةِ والذَبحِ والحَلْقِ مُرَتَّباً کما ذُکِرَ، ولو عَکَسَ أثِمَ وأجْزأ، فإذا وَصَلَ مِنی فلیَبْدأ أوّلًا برَمْی جَمْرةِ العَقَبةِ- وهی علی حدِّ مِنی إلی جِهةِ مکّة کما أنّ حدَّها الآخَرَ وادی مُحَسِّرٍ- بِسَبْعِ حَصَیاتٍ حَرَمیةٍ غیرِ مسجدیةٍ أبکارٍ بما یُسَمّی رَمْیاً مُصِیبةً بفعله مباشرةً بیده. وتجب فیه

۱- ۱ الإجزاءصریح الصـدوق فی علل الشـرائع: ۴۵۱ وظـاهره فی الفقیـه ۲: ۲۴۳ وهو ظـاهر ابن الجنیـد- کمـا حکاه عنه العلامـة فی مختلف الشیعة ۴: ۲۶۴- ۲۶۵ المسألة ۲۱۸ وولده فی إیضاح الفوائد ۱: ۳۰۹- والمرتضی رضی اللَّه عنهم فی الانتصار: ۹۰. وانظر غایة المراد ۱: ۴۴۲- ۴۴۳.

۲- ۲ الکافی ۴: ۴۶۸- ۴۶۹ باب لیلـة المزدلفة والوقوف بالمشـعر والإفاضة منه وحدوده ح ۱؛ تهذیب‌الأحکام ۵: ۱۸۸- ۱۸۹ ح ۶۲۶ باب نزول المزدلفة ح ۳.

۳- ۳ الکافی ۴: ۴۶۹ باب لیلـة المزدلفـة والوقوف بالمشـعر والإضافة منه وحدوده ح ۴؛ تهـذیب الأحکام ۵: ۱۹۱ ح ۶۳۵ باب نزول المزدلفة ح ۱۲.

۴- ۴ عطف علی «الدعاء» فی قوله: «یستحبّ الدعاء».

۵- ۵ الکافی ۴: ۴۷۰ باب السعی فی وادی محسِّر ح ۱، ۲؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۹۵ ح ۶۴۹ باب نزول‌المزدلفة ح ۲۶.

۶- ۶ یعنی فی حال الهرولة.

۷- ۷ الکافی ۴: ۴۷۰- ۴۷۱ بـاب السـعی فی وادی محسِّر ح ۳؛ الفقیه ۲: ۲۸۲ ح ۱۳۸۴ بـاب السـعی فی وادی محسِّر ح ۱؛ تهذیب الأحکام ۵: ۱۹۲ ح ۶۳۷ باب نزول المزدلفة ح ۱۴ وفی الفقیه: «واخلفنی بخیرٍ فیمن ...».

ص: ۶۰

النيَّةُ– مقارِناً بها لأوّله–: «أرْمی هذه الجَمْرةَ بِسَبْع حَصَياتٍ فی حجِّ الإسلام حجِّ التمتُّع أداءً لوجوبه قربةً إلى اللَّه». مُسْتَدامةَ الحكمِ إلى آخره. والظاهر أنّ الأداء والتَعَرُّضَ للعددِ مِنْ كَمال النيَّة لا واجبٌ فيها. ووَقْتُهُ ما بينَ طلوعِ الشـمْسِ إلى غروبها، ويُقْضـى لو فات مقدَّماً على الحاضر، ويَخْرُجُ وقتهُ بخروج الثالثَ عَشَرَ إلى القابل.

ويُسْتَحَبُّ الطهارةُ، والمَشْی إليه، ورَمْیُ جَمْرةِ العقبةِ مُسْتَدبِراً للقبلة مُقابِلًا لها، والتباعدُ عنها بِعَشْرِ أذْرُعٍ إلى خَمْسَ عَشْرَةَ، والرَمْیُ خَذْفاً بأنْ يَضَعَ الحَصاةَ على إبهامِ يـدِه الُيمْنی ويَدْفَعَها بظُفُر السبّابة، ولو تَعارَضَ الخَذْفُ والتباعُدُ قُدِّمَ الخَذْفُ تَخَلُّصاً مِنْ خلافِ مَنْ أوْجَبَه (۱). ويَدْعو مع رَمْیِ كُلِّ حَصاةٍ بالمنقول وهو:

اللهمّ ادْحَرْ عنّی الشيطانَ. اللهمّ تصديقاً بكتابِك وعلی سُنَّةِ نبيِّكصلی الله عليه و آله و سلم.

اللهُمّ اجْعَلْه حَجّاً مَبْروراً، وعملًا مقبولًا وسَعْياً مشكوراً وذَنْباً مغفوراً (۲).

والهَدْیُ بعدَ الرَمیِ واجبٌ على المُتَمَتِّعِ وإنْ كان مَكيّاً. ويَجِبُ كونُه مِنَ النَعَمِ، وأفضلُه البُدْنُ ثمّ البَقَرُ ثمّ الغَنَمُ، أقلُّه الثَنیُّ وهو مِنَ الإبلِ مـا دَخـلَ فی السَنَةِ السادسـةِ ومِن الأخِيريْنِ ما دَخَلَ فی الثانيـة. ويَكفی فی الضَأْن إكمالُ الشـهرِ السابعِ؛ وكونُه تامّاً، فلا يُجْزِئُ الأعْوَرُ والمريضُ والأعرجُ والأجربُ ومَكسورُ القَرْنِ الـداخلِ ومقطوعُ الأُذُنِ أو بعضِها والخَصِیُّ، ويُجزئ فاقـدُ القَرْنِ والأذُنِ خِلْقَـةً؛ وكونُه سَميناً بأنْ يكونَ على كُلْيَتيْه شَحْمٌ. ويَكْفِی الظَنُّ الْمُسْتَنِدُ إلى التجربة أو إخبار عارفٍ، وإنْ أخْطَأَ بعدَ الذَبْحِ لا قَبلَه.

ولو تَبَيَّنَ النُقْصانُ لم يُجْزِئ مطلقاً، وكذا لو ظَهَرَ السِمَنَ مع عدمِ الظنِّ به ابتداءً.

۱- ۱ أوجبه السيد المرتضی فی الانتصار، ۲۶۰ وانظر: مختلف الشيعة ۴: ۲۷۱– ۲۷۲ المسألة ۲۲۳.

۲- ۲ الكافی ۴: ۴۷۸– ۴۷۹ باب يوم النحر ومبتدإ الرمی وفضله ح ۱؛ تهذيب الأحكام ۵: ۱۹۸ ح ۶۶۱ باب نزول المزدلفة ح ۳۸.

ص: ۶۱

ولو لم يُوجَدْ إلّافاقِدُ الشرائط أجزأ، فإنْ فُقِدَ خَلَّفَ ثَمَنَه عندَ ثقةٍ لِيَذْبَحَ عنه فی ذی الحجّة، فإنْ تَعَذَّرَ فمِنَ القابِلِ. ولو عَجَزَ عن الثَمَنِصامَ بدلَه ثلاثةَ أيّامٍ فی الحجِّ- أی فی ذی الحِجّة- متواليةً وسبعةً إذا رَجَعَ إلی أهله، أو مَضی للمجاور مقدارُ وصوله أو شَهْرٌ.

ويُسْتَحَبُّ كونهُ أُنثی مِنَ الإبل والبقرِ ذكراً مِن غيرهما قد حَضَرَ عَرَفَةَ- ويَكفی قولُ المالك سميناً زيادةً علی ما شُرِطَ، والمباشَرَةُ إنْ أحْسَنَ وإلّا جَعَلَ يدَه مع يدِ الفاعل، والدعاءُ عندَ ذَبْحِه أو نَحْرِه، بقوله:

وَجَّهْتُ وَجْهی لِلذی فَطَرَ السَمواتِ والأرضَ حَنيفاً (۱) وما أنا مِنَ

المُشْركين (۲) إنّصَلاتی ونَسُكی ومَحْيایَ ومَماتی للّهربِّ العالمين.

لا شريكَ له وبذلك أُمِرتُ وأنا مِن المسلمين (۳). اللهمَّ مِنكَ ولَكَ، بسم

اللّه واللّهُ أكبرُ، اللهمّ تَقَبَّلْ مِنّی (۴).

وتجب النيَّةُ- مُقارِنَةً للفعل مُسْتدامةَ الحكمِ-: «أذْبَحُ أو أنْحَرُ هذا الهَدْیَ فی حجِّ الإسلام حجِّ التمتُّع لوجوبه قربةً إلی اللّه»؛ وقسمتُه ثلاثةَ أقسامٍ: ثُلْثاً يأكُلُه أو بعضَه، وثُلْثاً يُهْدِيه لإخوانه مِن المؤمنين، وثُلْثاً يَتَصَدَّقُ به علی فُقَرائهم، ولا ترتيبَ بينها؛ والنيَّةُ مقارنةٌ لها: «آكُلُ مِنْ هَدْيِ حَجِّ الإسلام حَجِّ التمتُّع لوجوبه قربةً إلی اللّه، وأُهْدِی ثُلْثَ هَدْيِ حَجِّ الإسلامِ حجِّ التمتُّع لوجوبه قربةً إلی اللّه، أتَصَدَّقُ بثُلْثِ هَدْی حجِّ الإسلام حجِّ التمتُّع لوجوبه قربةً إلی اللّه».

ثمّ يَحْلِقُ رأسه أو يُقصِّرُ مِنْ شَعْره أو ظُفره كما مَرَّ. ويتعيَّن علی المرأة والخنثی التقصيرُ، والنيَّة- مقارنةً مُسْتَدامةَ الحكمِ-: «أحْلِقُ- أو أُقصِّرُ- للإحلال مِن إحرام حجِّ الإسلام حجِّ التمتُّع لوجوبه قربةً إلی اللّه».

ويُسْتَحَبُّ استقبالُ القبلة، والبدأةُ بالقَرْنِ الأيمنِ مِنْ ناصيته، وتسميةُ المَحلوقِ والدعاءُ بقوله: «اللهمّ أعْطِنی بكُلِّ شَعْرةٍ نوراً يومَ القيامة» (۵).

۱- ۱ فی جميع النسخ: «حنيفاً مسلماً». وأسقطنا لفظة «مسلماً» لعدم وجودها فی المصحف الشريفوالمصادر.

۲- ۲ اقتباس من الآية ۷۹ من الأنعام ۶.

۳- ۳ اقتباس من الآيتين ۱۶۲- ۱۶۳ من الأنعام ۶.

۴- ۴ الكافی ۴: ۴۹۸ باب الذبح ح ۶؛ الفقيه ۲: ۵۰۴ ح ۳۰۸۴ باب الذبح والنحر وما يقال عند الذبيحة ح؛ تهذيب الأحكام ۵: ۲۲۱ ح ۷۴۶ باب الذبح ح ۸۵؛ بحار الأنوار ۹۹: ۲۷۹- ۲۸۰ باب الهدی ووجوبه علی المتمتع وسائر الدماء وحكمها ح ۹.

۵- ۵ تهذيب الأحكام ۵: ۲۴۴ ح ۸۲۶ باب الحلق ح ۱۹؛ بحار الأنوار ۹۹: ۳۰۴ باب الحلق والتقصير وأحكامهما ح ۹.

ص: ۶۲

ولا يَخْرُج مِن مِنىً حتّى يأتيَ بالثلاثة في ذي الحِجّة، ويَرْجِعُ للذَبحِ والحَلْقِ لو خَرَجَ بدونه طولَه. فإنْ تَعَذَّرَ خَلَّفَ ثَمَنَ الهَدْى كما مرَّ، وحَلَقَ مكانَه وجوباً، وبَعَثَ بالشَعْرِ لِيُدْفَنَ بها ندباً. أمّا الرميُ فيَخْرُجُ وقتُهُ بخروج الثالثَ عَشَرَ، فيُقْضى في القابل.

وبالحَلْقِ أو التقصير يَتَحلَّلُ مِنْ جميع المحرَّمات المتقدِّمة إلّاالطيبَ والنِساء والصَيْدَ، ثمّ يَتَحلَّلُ مِن الطِيب بالسَعْيِ بعدَ الطواف، ومِن النساء بطوافِهنَّ بعدَهما، والأولى تَوَقُّفُ حِلِّ الصَيْدِ الإحرامي على طوافِ النساء.

الخامسُ: العَوْدُ إلى مكّةَ للطوافَيْنِ والسعي، ومقدِّماتُها وكيفيتُها وواجباتُها مندوباتها كما مَرَّ.

والنيَّةُ: «أطوفُ بالبيتِ سبعةَ أشواطٍ طوافَ حجِّ الإسلام حجِّ التَمَتُّعِ لوجوبه قربةً إلى اللّه، أُصَلِّي ركعتي طوافِ حجِّ الإسلام حَجِّ التمتّع أداءً لوجوبها [كذا، والصواب: «لوجوبهما»] قربةً إلى اللّهِ، أسْعى سبعةَ أشْواطٍ سَعْيَ حَجِّ الإسلام حَجِّ التمتُّع لوجوبه قربةً إلى اللّه، أطُوفُ طوافَ النساءِ في حجِّ الإسلام حَجِّ التَمَتُّعِ لوجوبه قربةً إلى اللّه، أُصَلِّي ركعتي طوافِ النساء في حجِّ الإسلام حجِّ التَمَتُّعِ أداءً لوجوبه [كذا] قربةً إلى اللّه».

ويُسْتَحَبُّ كونُ ذلك يومَ النَحْر، فإنْ أخَّرَه فمِنْ غَدِه، وفي جواز تأخيره عن غَدِهِ اختياراً قولانِ أقربُهما الجواز (۱). وتَظْهَرُ الفائدةُ في الإثم وعدمه لا في الصحّة والبُطلان.

ويَخْرُجُ وقتُها بخروج ذي الحِجَّة إجماعاً، وهي مرتَّبة كما ذكرناه، وليس طوافُ النساء مخصوصاً بمَنْ يَغْشاهنَّ، بل يجب على الخَصيِّ والهِمِّ والمرأةِ وغيرهم، ويَسْتَمِرُّ بتركه ما كان قد حَرَّمَه الإحرامُ مِنهنَّ.

السادسُ: العَوْدُ إلى مِنىً للمَبِيتِ بها لَيالِيَ التشريق والرَمْيِ أيّامَها.

۱- ۱ ذهب إلى عدم الجواز المفيد في المقنعة: ۴۲۰ والمرتضى في جُمَل العلم والعمل: ۱۱۶ وسلار فيالمراسم: ۱۱۴ والمحقِّقُ في شرائع الإسلام ۱: ۲۴۰ وإلى الجواز ابنُ إدريسَ في السرائر ۱: ۶۰۲ والعلامةُ في مختلف الشيعة ۴: ۳۰۹- ۳۱۱ المسألة ۲۶۱. وانظر مدارك الأحكام ۸: ۱۱۰.

ص: ۶۳

ویجوزُ لِمَنْ اتَّقَى الصَیْدَ والنساءَ فی إحرامه ترکُ مَبیتِ الثالثةِ، إلّاأنْ تَغْرُبَ الشمسُ وهو بمِنیً فَیَتَعَیَّنُ، والأفضلُ مَبیتُ الثالثةِ لغیرهما، والواجبُ الکَوْنُ بها لَیلًا إلی نِصف اللیلِ. ولو باتَ بغیرها فعَنْ کُلِّ لیلةٍ شاةٌ، إلّاأنْ یَبیتَ بمکَّةَ مُشْتغِلًا بالعبادة الواجبةِ أو المُسْتَحَبَةِ طولَ اللیلِ إلّاما یَضْطَرُّ إلیه مِنْ غِذاءٍ أو شَرابٍ أو نوم یَغْلِبُ علیه.

وتجبُ فی المَبیتِ النیَّةُ- عندَ تحقُّق الغروب مُسْتَدامةً الحکمِ إلی آخره:- «أبیتُ هذه اللیلةَ بمِنیً فی حَجِّ الإسلامِ حَجِّ التَمَتُّعِ لوجوبه قربةً إلی اللّه».

ویجبُ أنْ یَرْمی الجَمَراتِ الثلاثَ فی کُلِّ یوم بَحَسبِ مَبیت لیلتِهِ کُلَّ واحدٍ بِسَبْعِ حَصَیاتٍ مُرَتَّباً، یَبْدأ بالأُولی ثمّ الُوسْطی ثمّ جَمْرةِ العَقَبةِ، فلو نَکَسَ أعاد علی ما یَحْصُلُ معه التَرتیبُ، وهو یَحْصُلُ بأربع حَصَیاتٍ مع النِسیان أو الجَهل لا مع التعمُّدِ، فیُعیدُ الأخیرتینِ ویَبْنی علی الأربعِ فی الأُولی، وکذا لو رَمَی الثانیةَ بأربعٍ ورَمَی الثالثةَ بعدها، ولو نَقَصَ عن الأربعِ بَطَلَ ما بعدَه مطلقاً وهو أیضاً علی الأقوی.

وکَیْفِیةُ الرَمْی وواجباتُه وسُنَنُه کما مرَّ، إلّاأنّه یُسْتَحَبُّ استقبالُ القبلةِ فی الأُولَیَینِ؛ ورَمْیُهما عن یَسارِهما ویَمینِه، وقد تَقَدَّمَ أنّه یَسْتَدْبِرُ القبلةَ فی جَمْرةِ العَقَبةِ. وأفْضَلُ أوقاتِ الرَمْی عندَ الزَوالِ. ویُسْتَحَبُّ الإقامةُ بمِنیً بقیّةَ أیّام التشریقِ بل قد رُوی: أنّ المُقامَ بها أفْضلُ مِن الطوافِ تَطَوُّعاً (۱).

ووقتُ النَفْر الأوّلِ بعدَ الزَوال إلّالضرورةِ، أمّا النَفْرُ الثانی فیجوز قبلَه إذا رَمَی الجِمارَ، والأفضلُ فیه التأخیرُ إلیه لِیوقِعَ الرمیَ عندَه.

ویُسْتَحَبُّ للمُقِیم أنْ یَجْعَلَصلاتَه فَرْضاً ونفلًا فی مسجِد الخَیْفِ، وأفضلُه مَسْجِدُ رسولِ اللّهصلی الله علیه و آله و سلم، وهو مِن المَنارة إلی نحوٍ مِن ثلاثین ذِراعاً إلی جِهةِ القبلةِ وعن یَمینِها ویَسارِها (۲) کذلک، فقدصَلّی فیه ألفُ نَبیٍّ (۳)، ورُوی:

۱- ۱ الکافی ۴: ۵۱۵ باب إتیان مکّة بعدَ الزیارة للطواف ح ۱؛ الفقیه ۲: ۲۸۷ ح ۱۴۱۳ باب إتیان مکّة بعد الزیارة للطواف ح ۲؛ تهذیب الأحکام ۵: ۲۶۰- ۲۶۱ ح ۸۸۷ باب زیارة البیت ح ۴۷؛: ۴۹۰ ح ۱۷۵۵ باب الزیادات فی فقه الحجّ ح ۴۰۱؛ الاستبصار ۲: ۲۹۵ ح ۱۰۵۳ باب إتیان مکّةَ أیّام التشریق لطواف الفاصلة ۴۸۸.

۲- ۲ أضاف المصنِّف فی الروضة البهیّة ۲: ۳۳۲: «وخلفّها» وکذلک المروی فی الکافی ۴: ۵۱۹ باب الصلاة فی مِنیً ح ۴. ۰ وانظر هذا الکلام ۲: ۷۵.

۳- ۳ الکافی ۴: ۵۱۹ باب الصلاة فی مسجد مِنیً و .... ح ۴.

ص: ۶۴

أنّ مَنْصَلّی فی مسجدِ مِنیً مائةَ رَکْعةٍ عَدَلَتْ عِبادةَ سبعینَ عاماً، ومَنْ سَبَّحَ اللّهَ فیه مائةَ تَسبیحةٍ کَتَبَ اللّهُ له أجرَ عِتْقِ رَقَبةٍ، ومَنْ هَلَّلَ اللّهَ فیه مائةً عَدَلَتْ احیاءَ نَسمةٍ، ومَنْ حَمِدَ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ فیه مائةً عَدَلَتْ خَراجَ العِراقیْنِ یُنْفَقُ فی سبیلِ اللّه (۱).

ویُسْتَحَبُّصلاةُ ستِّ رَکَعاتٍ به فی أصل الصَوْمَعةِ إذا نَفَرَ.

فإذا قَضی مَناسِکَه بمِنیً استُحِبَّ العودُ إلی مکّةَ لطوَافِ الوَداعِ ودخولِ البیتِ خصوصاً الصَرورةَ بعدَ الغُسْل والتحفّی مُصاحِباً للسَکینة والوَقار آخِذاً بحَلْقَتَی البابِ عندَ الدخول، ثمّ یَقْصِدُ الرُخامةَ الحَمْراءَ بینَ الأُسْطُوانتَیْنِ اللتینِ تَلِیانِ البابَ ویُصَلّی علیها رکعتین، وفی کُلِّ واحدةٍ مِن الزَوایا الأربعِ رکعتین، ثمّ یَعودُ إلی الرخامةِ الحمراءِ فیَقِفُ علیها، ویَرْفَعُ رأسَه إلی السماء، ویُطیلُ الدعاءَ مُبالِغاً فی حضور القلب والخُشوعِ والخُضوعِ وقَصْرِ النظر عمّا یَشْغَلُ القَلب، فإذا خَرَجَ منهصلّی رَکعتینِ عنْ یَمینِ البابِ، وهو مَوْضِعُ المَقام فی عَهْدِ رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم وهو الآنَ مُنْخَفِضٌ عن المَطافِ.

ویُسْتَحَبّ إتیانُ المساجِدِ والمواضِعِ المشرَّفَة بمکَّةَ، وزیارةُ النبیِّصلی الله علیه و آله و سلم والأئَمةِ وفاطمةَ علیهم السلام بالمدینة، وإتیانُ قبورِ الشهداء والصحابةِ والصالحین.

قالصلی الله علیه و آله و سلم:

مَنْ حجَّ ولم یَزُرْنی فقد جَفانی، ومَنْ جَفانی جَفَوْتُهُ یومَ القیامة (۲). ومَنْ

أتانی زائراً کنتُ شفیعَهُ یومَ القیامة (۳) وعن فاطمة علیها السلامُ أنّها قالت:

أخْبَرَنی أبی أنّه مَنْ سَلَّمَ علیه وعلیَّ ثلاثةَ أیّامٍ أوْجَبَ اللّهُ له الجنَّةَ، فقیل لها: فی حیاتکما؟ قالت: نعم وبعدَ موتنا (۴).

وَلْتُزَرْ ببیتِها والروضةِ والبقیعِ. وقال الباقر علیه السلام: «ابدؤوا بمکّة واخْتِموا

۱- ۱ الفقیه ۱: ۱۴۹ ح ۶۹۰ باب فضل المساجد «حقها وثواب مَنصلّی فیها ح ۱۲.

۲- ۲ الکافی ۴: ۵۴۸ باب زیارة النبیصلی الله علیه و آله و سلم ح ۵؛ الفقیه ۲: ۳۳۸ ح ۱۵۷۱ باب ما جاء فیمن حج ولم یزرالنبیصلی الله علیه و آله و سلم وفیمن مات بمکّة أو المدینة ح ۱؛ تهذیب الأحکام ۶: ۴ ح ۵ فضل زیارتهصلی الله علیه و آله و سلم ح ۵. باب فضل زیارتهصلی الله علیه و آله و سلم ح ۵. ولیست فی المصادر جملة «فقد جَفانی ومَنْ جفانی».

۳- ۳ الکافی ۴: ۵۴۸ باب زیارة النبیصلی الله علیه و آله و سلم ح ۳؛ تهذیب الأحکام ۶: ۴ ح ۴ باب فضل زیارتهصلی الله علیه و آله و سلم ح ۴.

۴- ۴ تهذیب الأحکام ۶: ۹ ح ۱۸ باب زیارة سیّدنا رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم ح ۱۱.

ص: ۶۵

بنا» (۱).

وعن الصادق علیه السلام: «مَنْ زار إماماً مفترضَ الطاعة له ثوابُ حَجةٍ مبرورةٍ» (۲). وعن الرضا علیه السلام:

إنّ لکلِّ إمامٍ عهداً فی أعناق أولیائه وشیعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحُسْنِ الأداء زیارةَ قبورهم، فَمنْ زَراهم رغبةً فی زیارتهم وتصدیقاً بما رَغِبوا فیه کانتْ أئمّتهم شُفَعاءَهم یومَ القیامة (۳).

والأخبار فی ذلک خارجة عن حدِّ الحصر (۴).

وسُنَنُ الزیارة الغسلُ قبلَ دخول المشهدِ، والکونُ حالتها علی طهارةٍ، وإتیانُه بالخضوع والخشوع فی ثیابٍ طاهرةٍ جُدَدٍ، والوقوفُ علی بابه والدعاء والاستیذان بالمأثور. فإنْ وَجَدَ خشوعاً ورِقّةً دخل وإلّا تَحرّی زمانَ الرقّة، فإذا دخل قَدَّمَ رجلَه الیمنی، ووقف علی الضریحِ مُلاصِقاً له أو غیرَ ملاصِقٍ، وقَبّل الضریحَ الشریفَ، واستقبل وجهَ المَزور واسْتَدْبَرَ القبلةَ، ویَزُوره بالمأثور، وأقلُّها الحضور والسلام. ثمّ یَضَعُ خدَّه الأیمنَ علیه عند الفَراغ، ویَدْعو متضرِّعاً، ثم خدَّه الأیسَر سائلًا مِن اللّه تعالی بحقّه وحقِّصاحب القبر أنْ یَجْعَلَه من أهل شفاعته ثمّ یُصلِّی رکعتَی الزیارة عند الفَراغ، فإنْ کان زائراً للنبیّصلی الله علیه و آله و سلم ففی الروضة، وإنْ کان لأحد الأئمّة علیهم السلام فعند رأسه، ورُوِیتْ رخصةٌ فیصلاتهما إلی القبر (۵) بمعنی جعل القبر فی قبلة المصلِّی، ویجوز استدبارُه وإنْ کان غیرَ مستحسنٍ، ویُهْدی الصلاة للمَزور، ویدعو بعدَها بالمأثور، وإلّا فیما سَنَحَ، وَلْیُعَمِّم الدعاءَ؛ فإنّه أقربُ إلی الإجابة، ویَتْلوا بعد ذلک شیئاً من القرآن ویُهْدِیه للمَزورِ تعظیماً له، والمنتفِعُ بذلک کلِّه الزائرُ. ویَخْتِمِ ذلک کلَّه بالصدقة علی السَدَنَةِ (۶) والمَحاویجِ بتلک البُقْعة. ولَیَکُنْ بعدَ الحجِّ والزیارة خیراً منه قبلَهما؛ فإنّ ذلک علامةُ القبول وبلوغُ المأمول.

۱- ۱ الکافی ۴: ۵۵۰ باب فضل الرجوع إلی المدینة ح ۱؛ الفقیه ۲: ۳۳۴ ح ۱۵۵۲ باب الابتداء بمکّة والختم بالمدینة ح ۱.

۲- ۲ المقنعة: ۴۷۴ مع اختلاف.

۳- ۳ الکافی ۴: ۵۶۷ باب بدون العنوان من کتاب الحجّ ح ۲؛ الفقیه ۲: ۳۴۵ ح ۱۵۷۷ باب زیارة النبی والائمةصلوات اللّه علیهم ح ۲؛ تهذیب الأحکام ۶: ۷۸- ۷۹ ح ۱۵۵ باب فضل زیارة علی بن الحسین و ... ح ۳.

۴- ۴ راجع وسائل الشیعة ۱۴: ۳۲۰- ۳۳۲ ابواب المزار وما یناسبه الباب ۲ ح ۱- ۲۵.

۵- ۵ تهذیب الأحکام ۲: ۲۲۸ ح ۸۹۸ باب ما یجوز الصلاة فیه من اللباس والمکان و .... ح ۱۰۶.

۶- ۶ السدن: خادم کلّ مرقد أو مشهد وفی المعجم الوسیط ۱: ۴۲۴ سدن. «سَدَنَ یَسْدُنُ سَدْناً و ...: خَدَمَالکعبة. السادِن: خادم الکعبة ... الجمع سَدَنَه».

ص: ۶۶

وأما الخاتمة:

فتشتمل علی جملةٍ موجزَةٍ فی وظائف الحجِّ القلبیَّةِ یَحْسُنُ فَهْمُها وتَذکرُها لمَنْ أرادَ الحجَّ مِن العالَمین قد أخرجها الحقُّ سبحانَه علی لسان بعضِ الکاملین (۱):

اعلم أنّ أوّل الحجِّ فهمُ موقع الحجِّ فی الدین، ثمّ العزمُ علیه، ثمّ قطعُ العلائق المانعة عنه، ثمّ تهیئةُ أسباب الوصول إلیه من الزاد والراحلة، ثمّ السیرُ، ثمّ الإحرامُ من المیقات بالتلبیة، ثمّ دخولُ مکّةَ، ثمّ استتمامُ الأفعال المشهورة. وفی کلِّ حالةٍ من هذه الحالات تذکرةٌ للمتذکِّر، وعِبرةٌ للمعتبرِ، وتنبیهٌ للمرید الصادق، وإشارةٌ للفَطِن الحاذِقِ إلی أسرارٍ یَقِفُ علیها بصفاء قلبه وطهارة باطنه إنْ ساعَدَه التوفیق.

فاعلم أنّه لا وصولَ إلی اللَّه سبحانه وتعالی إلّابتنحیة ما عداه عن القصد مِن المشتَهیاتِ البدنیةِ واللَذّات الدنیویةِ، والتجرید فی جمیع الحالات والاقتصارِ علی الضرورات. ولهذا انْفَرَد الرُهبانُ فی الأعصار السالفة عن الخلق فی قُلَل الجبال؛ توحُّشاً مِن الخلق وطلباً للانُس بالخالق، وأعرضوا عن جمیع ما سِواه، ولذلک مَدَحهم اللَّه تعالی بقوله: «بأنّ مِنْهُم قِسّیسینَ ورُهباناً وَأَنَّهُمْ لا یَسْتَکبِرون» (۲)

. فلمّا انْدَرَس ذلک وأقبل الخلقُ علی اتّباع الشَهوات والإقبال علی الدنیا والالتفات عن اللَّه تعالی بَعَثَ اللَّه نبیّاً محمداًصلی الله علیه و آله و سلم لإحیاء طریق الآخرة وتجدیدِ سُنَّةِ المرسلین فی سلوکها، فسَألَه أهلُ الملل عن الرُهبانیّة والسِیاحة فی دینه فقال:

أبْدَلَنا [اللَّه] (۳) بها الجهادَ والتکبیرَ علی کلِّ شَرَفٍ» یعنی الحجَّ.

۱- ۱ لاحظ إحیاء علوم الدین ۱: ۳۱۴- ۳۱۹. لاحظ أیضاً أسرار الحج وأعماله الباطنة لابن میثم البحرانیص ۱۸ من هذا العدد التحریر

۲- ۲ المائدة ۵: ۸۲.

۳- ۳ ما بین المعقوفین أضفناه من المصدر.

ص: ۶۷

وسُئِل علیه السلام عن السائحین، فقال: «هم الصائمون» فجعلصلی الله علیه و آله و سلم الحجَّ رهبانیةً لهذه الأُمّة، فشَرَّفَ البیتَ العتیقَ باضافته إلی نفسه، ونَصَبه مَقْصداً لعبادة، وجَعَلَ ما حولَه حرماً لبیته؛ تفخیماً وتعظیماً لشأنه، وجَعَلَ عرفاتٍ کالمیدان علی باب حَرَمه، وأکَّدَ حرمةَ الموضعِ بتحریمصَیْده وشَجَره، ووَضَعه علی مثال حَضرة الملوک یَقْصِدُه الزُوَّار مِن کلِّ فَجٍ عمیق (۱) شُعْثاً غُبْراً متواضِعینَ لربِّ البیت، مُسْتَکینینَ له؛ لجلاله واسْتِکانةً لعزَّته- مع الاعتراف بتنزیهه سبحانه عن أنْ یَحْوِیه مکانٌ- لیکون ذلک أبلغَ فی رَقّهم وعُبودیّتهم.

ولذلک وَظَّفَ علیهم فیها أعمالًا لا تَأنَسُ بها النفوسُ ولا تَهْتَدی لمعانیها العقولُ، کرَمْی الجِمار بالأحجار، والتردُّدِ بینَ الصفا والمروة علی سبیل التَکرار، وبمثل هذه الأعمالِ یَظْهر کمالُ الرَقّ والعبودیَّةِ بخلاف سائر العبادات کالزکاة التی هی إرفاقٌ من وجه معلوم، وللعقل إلیه میل، والصَوْمِ الذی هو کَسْرٌ للشهوة- التی هی [آلة] (۲) عدوّ اللَّه وتفرّغٌ للعبادة بالکفِّ عن الشواغلِ، وکالرکوع والسجود فی الصلاة التی هی تواضعٌ للَّهسبحانَه.

وأمّا أمثال هذه الأعمال فإنّه لا اهتداءَ للعقل إلی أسرارها، فلا یکون فی الإقدام علیها إلّاالأمرُ المجرَّدُ وقصدُ امتثاله مِن حیث هو واجب الاتّباع فقط، وفیه عَزْلٌ للعقل عن تصرُّفه وصرفُ النفسِ والطبعِ عن مَحلِّ انسه المعینِ علی الفعل. وإذا اقْتَضَتْ حکمةُ اللَّه سبحانه وتعالی ربطَ نَجاةِ الخلق بکون أعمالهم علی خلاف أهْویةِ طِباعهم، وأنْ تکون أزمّتُها بید الشارع فیَتَردَّدون فی أعمالهم علی

۱- ۱ اقتباس من الآیة ۲۷ من الحج ۲۲.

۲- ۲ أضفناه من المصدر.

ص: ۶۸

سُنَنِ الانقياد ومتقضى الاستعباد، كان مالا يُهْتَدى إلى معانيه أبلغَ أنواع التعبّدات فى تزكية النفوس، وصرفها عنَ ميل الطبع إلى مقتضى الاسترقاق.

وأمّا العَزْمُ: فَلْيَسْتَحْضِرْ فى ذهنه أنّه بِعَزْمِه مُفارقٌ للأهل والولد، هاجِرٌ للشهواتِ واللَذّات، مُهاجِرٌ إلى ربِّه، متوجِّهٌ إلى زيارة بيته، ولْيُعْظِمْ قدرَ البيتِ لِقدرِ ربِّ البيت، ولْيُخْلِصْ عَزْمَه للّهتعالى، ولْيَتَحَقَّقْ أنّه لا يُقْبَل مِن عملِه إلّاالخالصَ.

وأمّا قطعُ العلائقِ: فحذفُ جميعِ الخواطرِ عن قلبه غيرِ قصد عبادة اللّه، والتوبةُ الخالصةُ عن المعاصى، فكلُّ علاقةٍ مِن المعاصى خصمٌ حاضرٌ متعلّقٌ به يُنادى عليه ويَقولُ: أتَقْصِدُ بيتَ مَلِكِ الملوك، وهو مطّلِعٌ منك على تضييع أوامرِه، واسْتِهانتِك به وعدمِ التفاتك إلى نَواهيه وزَواجِره، أما تَسْتَحِى أنْ تَقْدُمَ عليه قدومَ العبد العاصى، فيُغْلِقَ دونك أبوابَ رحمته، ويُلْقِيك فى مَهاوى نَقمَتهِ، فإنْ كنت راغباً فى قبول زيارتك فَابْرُزْ إليه مِن جميع مَعاصيك، واقْطَعْ علاقةَ قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك، لِتَتَوجَّه إليه بوجه قلبِك كما أنت متوجِّهٌ إلى بيته بوجهِ ظاهرك. وليَذْكُرْ عندَ قطعه العلائِقَ لسفر الحجِّ قطعَ العلائِقِ لِسفر الآخرةِ؛ فإنّ كلَّ هذه أمثلةٌ قريبةٌ يَترَقّى منها إلى أسرارها.

وأمّا الزادُ: فليَطْلُبْه مِن موضعٍ حلال، فإذا أحسَّ منْ نفسه الحِرْص على استكثارِه وطِيبِهِ وطَلَبِ ما يَبْقى منه على طولِ السفر، وأنْ لا يَنْفَدَ قبل بلوغِ المَقْصد فليذْكُرْ أنّ سفرَ الآخرة أطولُ مِن هذا السفر، وأنّ زاده التقوى، وما عداه لا يصلُحُ زاداً. ولْيَحْذَرْ أنْ يُفْسِدَ

ص: ۶۹

أعمالَه- التی هی زاد الآخرة- بشوائب الریاء وکدورات التقصیر، فیَدْخُلَ فی قوله تعالی: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بالأخْسَرینَ أعمالًا الذینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فی الحیوة الدُّنْیا وَهُمْ یَحْسَبُونَ أنّهُمْ یُحِسنون،صُنعاً» (۱)

. ویلاحظُ عنـدَ سـفره نَقْلَتَه إلی منـازِلِ الآـخرة التی لاـ شکَّ فیها، ولعلَّه أقربُ من سـفره هـذا، فَیَحتاط فی أمره، ولیَعْلَمْ أنّ هـذه أمثلةٌ محسوسةٌ یَتَرقّی منها إلی مراکِب النَجاة مِنْ عذاب اللَّه تعالی.

وأمّا الخروجُ من البلـد: فلْیَسْتَحْضِـرْ عنـدَه أنّه یُفارِقُ الأهلَ والولـدَ متوجِّهاً إلی اللَّه سـبحانه فی سـفرٍ غیرِ أسـفار الدنیا، وأنّه متوجِّه إلی مَلِـک الملوک وجبّارِ الجبابرةِ فی جملـهٔ الزائرین الـذین نُودوا فأجابوا، وشُوِّقوا فاشـتاقوا، وقَطَعوا العلائقَ، وفارَقوا الخلائقَ، وأقبلوا علی بیت اللَّه تعالی طلباً لرضا اللَّه تعالی وطمعاً فی النظر إلی وجهه الکریم. ولْیَحْضُـرْ أیضاً قلبَه لِلوصولِ إلی المَلِک والقبول له بِسعَةِ فضله، ولْیَعْتَقِـدْ أنّه إن مـات قبلَ الوصول إلیه لَقِیَ اللَّه تعالی وافِـداً علیه لقوله تعالی: «وَمنْ یَخْرُجْ مِن بَیْتِه مهاجِراً إلی اللَّه ورسوله ثُمَّ یُـدْرِکْهُ الموتُ فَقَدْ وَقَعَ أجْرُهُ عَلی اللَّه» (۲)

. ثمّ لْیَتَـذَکَّرْ فی أثناء طریقه مِنْ مشاهَدِةِ عَقَبات الطریقِ عقبات طریق الآخرة الآخرة، ومِن السِـباع والحیَّاتِ حَشَراتِ القبر، ومِنْ وحشـةِ البَراری ووحشةِ القبر وانفرادَه عن الانس؛ فإنّ کُلَّ هذه الامور جاذبةٌ إلی اللَّه سبحانه، ومُذکِّرةٌ له أمرَ مَعاده.

وأمّا ثَوْبُ الإحرامِ: ولُبْسُه فلْیَتَذَکَّرْ معه الکفنَ ودَرْجَه فیه، ولعلَّه أقربُ إلیه، ولْیَتَذَکَّرْ معها (۳) التَسَرْبُلَ بأنوارِ اللَّه تعالی التی

۱- ۱ الکهف ۱۸: ۱۰۳- ۱۰۴.

۲- ۲ النساء ۴: ۱۰۰.

۳- ۳ هکذا فی بعض النسخ، وفی بعضها: «منها». ولعلّ الصواب: «معهما» أو «منهما» أی مع من ثوب الإحراموِلُبسه.

ص: ۷۰

لا مَخْلَصَ مِن عقابه إلّابها، فيَجْتَهِد فى تحصيلها بقدر إمكانه.

وأمّا الإحرام والتلبيةُ: فليَسْتَحْضِر أنّه إجابةُ نِداء اللَّه سبحانه وتعالى (۱). وليَكُنْ فى قبول إجابته بينَ خوفٍ ورجاء، مُفَوِّضاً أمرَه إلى اللَّه، مُتوكِّلًا على فضله.

قال سفيانُ بنُ عُيَينَةَ: حَجَّ زينُ العابدين علىُ بنُ الحسينِ عليهما السلام، فلمّا أحْرَمَ واسْتَوَتْ به راحلتُه اصْفَرَّ لونُه، ووقَعَتْ عليه الرَعْدَةُ ولم يَسْتَطِعْ أنْ يُلَبِّى، فقيل له: لِمَ لا تُلَبِّى؟ فقال: «أخشى أنْ يَقولَ لى:

لا لَبَّيْكَ ولا سَعْدَيْك» فلمّا لَبّى غُشِيَ عليه وسَقَطَ عن راحلته، فلم يَزَلْ يَعْتَريه ذلك حتى قُضى عليه (۲).

ولْيَذْكُرْ عند إجابته نداءَ اللَّه سبحانه إجابةَ ندائهِ بالنفخ فى الصور، وحَشْر الخلقِ من القبور، وازدحامهم فى عَرَصاتِ القيامةِ مُجيبينَ لندائه، مُنْقَسِمينَ إلى مقرَّبين ومَمْقُوتين، [مقبولين و] (۳) ومتردِّدين بينَ الخوفِ والرَجاء.

وأمّا دخولُ مكّةَ: فَلْيَستَحْضِرْ عندَه أنّه قد انتهى إلى حرم اللَّه الأمينِ، ولْيَرْجُ عندَه أنْ يَأمنَ بدخوله مِن عقاب اللَّه، وَلْيَخْشَ أنْ لا يكونَ مِن أهل القُرب، ولْيَكُنْ رجاؤه أغلبَ؛ فإنّ الكرمَ عميمٌ وشرفَ البيت عظيمٌ، وحقَّ الزائر مَرْعيٌّ، وذِمامَ المستجيرِ محفوظٌ خصوصاً عند أكرم الأكرمين. ولْيَسْتَحْضِر أنّ هذا الحرم مِثال للحرمِ الحقيقى، لِيَترَقّى- مِن الشوق إلى دخولِ هذا الحرم والأمنِ بدخوله من العقاب- إلى الشوقِ إلى دخولِ ذلك الحرمِ والمقامِ الأمين.

وإذا وَقَعَ بصرُه على البيت فلْيَسْتحضِرْ عظمتَه فى قلبه، ولْيَترقَ

۱- ۱ كما تقدَّم فى أوائل هذه الرسالة.

۲- ۲ هكذا فى النسخ، وفى المصدر: «حتى قضى حجّة».

۳- ۳ أضفناه من المصدر.

ص: ۷۱

بفکره إلی مشاهَدَة حضرةِ ربِّ البیت فی جِوار الملائکة المقرَّبینَ، ولْیَتَشَوّقْ أنْ یَرْزُقَه النظرَ إلی وجهه الکریم، کما رَزَقه الوصولَ إلی بیته العظیم.

ولْیُکْثِرْ مِن الذکر والشکرِ علی تبلیغ اللَّهِ إیّاه هذه المرتبةَ. وبالجملة فلا یَغْفُلْ عن تَذُّکر أحوالِ الآخرة.

وأمّا الطوافُ بالبیت: فَلْیَسْتَحْضِرْ فی قلبه التعظیمَ والخوْفَ والخَشْیَةَ والمحبّةَ، ولْیَعْلَمْ أنّه بذلک مُتَشَبِّهٌ بالملائکة المقرَّبینَ، الحافِّینَ حولَ العرش، الطائفینَ حولَه. ولا تَظُنَّنَّ أنّ المقصودَ طوافُ جسمِک بالبَیت بل طوافُ قلبک بذکرِ ربِّ البَیْت، حتّی لا تَبْتَدئ بالذکر إلّامنه، ولا تَخْتِمَ إلّابه. کما تبتدئُ بالبیت، وتَخْتِمُ به. ومن هنا قال أهلُ الحقیقة: «طوافُ أهل العبارة بالقالب، وطواف أهل الإشارة بالقلب»؛ فإنّ الطوافَ المطلوب هو طوافُ القلب بحضرة الربوبیّة، وأنّ البیتَ مِثالٌ ظاهرٌ فی عالم الشهادة لتلک الحضرة التی هی عالَمُ الغیب، کما أنّ الإنسان الظاهرَ مثالٌ ظاهرٌ فی عالم الشهادة للإنسان الباطن لا یُشاهَد بالبصر، وهو فی عالَم الغیب، وإنّ عالَمَ المُلکِ والشهادة مرْقاةٌ ومَدَرجٌ إلی عالم الغیب والملکوت لمَنْ فُتِحَ له بابُ الرحمة، وأخَذَتِ العنایةُ الإلهیةُ بیده لسلوک الصراط المستقیم.

وأمّا اسْتِلام الحَجَر: فلْیَسْتَحْضِرْ عندَه أنّه مُبایعٌ للَّهعلی طاعته، مُصَمِّمٌ عزیمتَه علی الوفاء ببیعته، «فَمَنْ نَکَثَ فَإنّما یَنْکُثُ عَلی نَفْسِهِ وَمَنْ أوفی بما عاهَدَ عَلَیْهُ اللَّهَ فَسَیُؤْتیه أجراً عظیماً» (۱)

. ولذلک قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم: «الحَجَرُ الأسودُ یَمین اللَّهِ فی الأرض، یُصافِحُ بها خَلْقَه کما یُصافِحُ الرجلَ أخاه» ولمّا قَبَّلَه عُمَرُ: «إنّی لأعلَمُ أنّک

۱- ۱ الفتح ۴۸: ۱۰.

ص: ۷۲

حَجَرٌ لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ، ولولا أنّى رأيتُ رسولَ اللّهصلى الله عليه و آله و سلم يُقَبِّلُك لَما قَبَّلْتُك». فقال له علىّ عليه السلام: «مَهْ يا عُمرُ، بَل يَضُرُّ ويَنْفَعُ؛ فإنّ اللّه سبحانه لَمّا أخَذَ المِيثاق على بنى آدم- حيث يقول: «وإذْ أخَذَ ربُّك مِنْ بنى آدم مِن ظُهورِهم ذُرِّيَّتَهمْ وَأشْهَدُهم على أنفسهم» (۱)

الآية. ألقمه هذا الحجَر ليكونَ شاهداً عليهم بأداء أمانتهم. وذلك معنى قول الإنسانِ- فى الدعاء المتقدِّم- عند استلامِه:

أمانتى أدَّيْتُها، وميثاقى تعاهَدتُه، لِتَشْهَدَ لى عندَ ربِّك بالموافاة» (۲).

وأمّا التعلُّقُ بأسْتار الكعبة: والالتصاق بالملتزَم فَلْيستحضِرْ فيه طلبَ القربِ؛ حُبّاً للّهوشوقاً إلى لقائه، تَبَرُّكاً بالمماسّة ورجاءً للتحصُّن من النار. ولتَكُن النيَّةُ فى التعلُّقِ بالِسِتْر الإلحاحَ فى طلب الرحمة، وتوجيهَ الذهن إلى الواحد الحقّ، وسؤالَ الأمان من عذابه، كالمُذْنِب المتعلِّق بأذيالِ مَن عَصاه، المُتَضَرِّعِ إليه فى عفوه عنه، المعترِفِ له بأنّه لا ملجأ منه إلّاإليه، ولا مَفْزَعَ له إلّاعفوه وكرمُه، وأنّه لا يُفارِقُ ذَيلَه إلّابالعفو، وبذل الطاعة (۳) فى المستقبَل.

وأمّا السعىُ: بينَ الصفا والمروة فى فِناء البَيت فمثالٌ لتردُّد العبد بفِناء دار المَلِك جائياً وذاهباً مرّةً بعدَ اخرى؛ إظهاراً للخُلوص فى الخدمة، ورجاءً لملاحَظَته بَعينَ الرحمة، كالذى دَخَلَ على المَلِك وهو لا يَدْرى ما الذى يَقْضى المَلِكُ فى حقِّه مِن قبولٍ أو ردٍّ، فيكون تردُّدُه رجاءَ أنْ يَرْحَمَه فى الثانية إنْ لم يكنْ رحِمَه فى الأولى.

وليَتَذَكَّرْ عندَ تردُّدِه بينَ الصفا والمروة تردُّدَه بينَ كفّتى الميزانِ فى عرصة القيامة، وليُمَثِّلِ الصفا بكفّة الحَسَناتِ والمروةَ بكفّة السيِّئاتِ، وليَتَذَكَّرْ تردُّدَه بينَ الكفّتينِ، ملاحِظاً للرُجحانِ

۱- ۱ الأعراف ۷: ۱۷۲.

۲- ۲ علل الشرائع: ۶۲۴- ۶۲۶ باب علّة استلام الحجر الأسود و ...، ح ۲، ۶، ۸ مع الاختلاف، وانظر وسائل الشيعة ۱۳: ۳۱۶- ۳۲۲ أبواب الطواف الباب ۱۳.

۳- ۳ هكذا فى النسخ، وفى المصدر: «وبذل الأمن».

ص: ۷۳

والنُّقصانِ، متردِّداً بینَ العذاب والغُفْران.

وأمّا الوقوف بعرفَةَ: فَلْیَتَذَکَّرْ بما یَری- مِن ازدحام الناسِ وارتفاع الأصواتِ واختلافِ اللغات واتّباع الِفرَقِ أئمّتَهم فی التردُّداتِ علی المشاعِر؛ اقتفاءًبهم وسَیْراً بسیرتهم- عَرَصاتِ القیامةِ، واجتماعَ الامم مع الأنبیاء والأئمّة، واقتفاءَ کلِّ أُمَّةٍ أثرَ نبیِّها وإمامِها، هادیاً کان أم مُضِلًّا، وتحیُّرَهم فی ذلک الصعیدِ الواحدِ بینَ الردِّ والقبولِ.

وإذا تَذَکَّرَ ذلک فَلْیُلْزِمْ قلبَه الضَراعةَ والابتهالَ إلی اللَّه تعالی فی أنْ یَحْشُرَه فی زُمْرة الفائزینَ المرحومینَ.

ولْیَکُنْ رجاؤه أغلبَ، فإنّ الموقِفَ شریفٌ، والرحمة إنّما تَصِلُ مِن ذی الجلال إلی کافَّة الخلق بواسطة النفوس الکاملة مِنْ أوتاد الأرض ونحوِهم، ولا یَخْلو الموقِفُ مِنْ طائفةٍ مِن الأبدال والأوتاد وطوائفَ مِن الصالحینَ وأربابِ القلوب، فإذا اجْتَمَعَتْ هِمَمُهُمْ، وتَجَرَّدتْ لِلضَراعة نفوسُهم، وارْتَفَعَتْ إلی اللَّه تعالی أیدِیهِم، وامْتَدَّتْ إلیه أعْناقُهم، یرمقون بأبصارهم جِهة الرحمة، طالبین لها، فلا تَظُنَّنَّ أنّه یَخِیبُ سَعْیُهمْ مِن رحمةٍ تَغْمُرُهُمْ. ومِن هنا جاء ما تقدَّم (۱)مِن الحدیث: «إنّ الشیطانَ مارُئِیَ أدْحَرَ ولا أحْقَرَ ولا أصْغَرَ منه یومَ عَرَفةَ، وذلک لِما یَری نزول الرحمة علی الخلق».

وربما کان اجتماعُ الامَم بعرفاتٍ والاستظهارُ بمجاوَرَةِ الأبدال والأوْتادِ المجتمِعینَ مِن أقطار الأرض هو السِرُّ الأعظمُ مِن الحجّ ومقاصِدِه، فلا طریقَ إلی اسْتِنْزالِ رحمة اللَّه أعظمُ مِن اجتماع الهِمَمَ وتعاوُنِ القلوبِ فی وقتٍ واحدٍ علیصعیدٍ واحدٍ.

وأمّا الوقوفُ بالمشْعَر: فَلْیَسْتَحْضِرْ أنّه قد أقبَلَ علیه مولاه بعدَ أنْ

۱- ۱ تقدّم فی أوائل الرسالة.

ص: ۷۴

كان مُدْبِراً عنه، طارداً له عن بابه، فأذِنَ له في دخول حرمه؛ فإنّ المَشْعَرَ مِن جملة الحرم وعَرَفَةَ خارجةٌ، فقد أشْرَقَتْ عليه أنوارُ الرحمة، وهَبَّتْ عليه نَسَماتُ الرأفة، وكُسِيَ خِلَعَ القبول بالإذنِ في دخول حرم المَلِك.

وأمّا رميُ الجِمار: فَلْيَقْصِد به الانقياد، لأمره وإظهارَ الرِقِّ والعبوديةِ، ثمّ ليقصِدْ به التَشَبّهَ بإبراهيمَ عليه السلام حيث عَرَضَ له إبليسُ لعنه اللّه في ذلك الموضِع لِيُدْخِلَ عليه شبهةً أو يَفْتِنَه بمعصيةٍ، فأمَره اللّهُ تعالى برَمْيه بالحِجارة؛ طَرْداً وقطعاً لأمله. فإنْ خَطَرَ له أنّ الشيطانَ عَرَضَ لإبراهيم عليه السلام ولم يَعْرِضْ له، فَلْيَعْلَمْ أنّ هذا الخاطرَ مِن الشيطانِ، وهو الذي ألْقاه على قلبه لِيُخَيِّل إليه أنّه لا فائدةَ في الرمي، وأنّه يُشْبِهُ اللَعْبَ، فَلْيَطْرُدْه عن نفسه بالجِدِّ والتشمير (۱) في الرمي فيه برغْم أنْف الشيطان؛ فإنّه وإنْ كان رَمْياً للجَمْرة بالحَصى فهو في الحقيقة رَمْيٌ لوجهِ إبليسَ وقَصْمٌ لظهره إذ لايَحْصُلُ إرغام أنفه إلّابامتثال أمر اللّه تعالى؛ تعظيماً لمجرَّد الأمر.

وأمّا ذَبْحُ الهَدْي: فَلْيَعْلَمْ أنّه تَقَرُّبٌ إلى اللّه تعالى بحكم الامتثال فَلْيُكْمِلِ الهَدْيَ أجزاءه. وهو يُشْبِهُ القربَ إلى المَلِك بالذَبْحِ له وإتمامِ الضيافة والقِرى، والغايةُ منه تذكُّر المعبود الأوّل سبحانَه عندَ النيّة في الذَبْح واعتقادُ أنّه مُتَقَرِّبٌ به إلى اللّه تعالى (۲).

فهذه هي الإشارة إلى أسْرار الحجِّ الباطنةِ فراغِها بفكرٍصحيحٍ تُطْلِعُكَ على ما فوقَها مِن المَدارجِ، وتَعْرُج بك على أشرفِ المَعارج. وفَّقنا اللّهُ وإيّاك لِتلقّي الأسرار، وجَعَلَنا مِن المخْلَصينَ الأبرار؛ إنّه جوادٌ كريمٌ.

تتميم: يُسْتَحَبُّ لِقاءُ الحاجِّ ومصافَحَتُه وتقبيلُه والِتماسُ بَرَكته وما

۱- ۱ «التشمير في الأمر: السُرعَةُ فيه ... ومنه قيل: شَمَّر في العبادة إذا اجْتَهَد وبالغ».

۲- ۲ إحياء علوم الدين ۱: ۳۱۴- ۳۱۹. اعلم أنّ الشهيد رحمه الله نَقَلَ بعض العبارات بالمعنى، ولا يوجد بعض الجمل والتعبيرات في المطبوع من إحياء علوم الدين، ويحتمل أنّها كانت موجودة في نسخة الشهيد، أو في كتابٍ نَقَلَ عن الغَزّالي ونَقَلَ الشهيدُ عن ذلك الكتاب.

ص: ۷۵

عَلِقَ (۱) به مِنْ آثار رحمهٔ اللّه تعالی. قال الصادق علیه السلام:

کان علیّ بنُ الحسینِ علیهما السلام یقول: «یا مَعْشَرَ مَنْ لم یَحُجّ اسْتَبْشِروا بالحاجّ، وصافِحوهم، وعَظِّموهم؛ فإنّ ذلک علیکم، تُشارِکوهم فی الأجر» (۲).

وعن الصادق علیه السلام: «مَنْ عانَقَ حاجّاً بغُباره کان کأنّما اسْتَلَمَ الحجَر الأسوَد»، رواه الصدوق فی الفقیه (۳).

وَلْنَقْتَصِرْ علی ما أفْرَدناه، سائلینَ مِمّن انْتَفَعَ به أنْ یُشارِکنا فی دعائه وتوجُّهاتِه. جَمَعَنا اللّهُ وإیّاکم علی طاعاته، وتَقَبَّلَ مِنّا ومنکم بفضله وکرمه.

واتَّفقَ الفَراغُ مِنْ تألیفه ضُحی یوم الجمعة (۴) سابعَ عَشَر شهرِ رمضانَ المبارک سنةَ خمسینَ وتسعمائة مِن الهجرة النبویّة المصطفویة (۵). [وکتب] العبد (۶) المذنب المفتقر إلی عفو اللّه تعالی وکرمه زینُ الدین بن علی بن أحمد الشامی العاملی، عامله اللّه بفضله، وعفا عنه بمنّه وکرمه.

۱- ۱ «عَلِقَ الشیءُ الشیءَ، وبه: نَشِبَ فیه واستمسک به، یقال: عَلِقَ الشوکُ الثوبَ وبه» المعجم الوسیط ۲: ۶۲۲ علق.

۲- ۲ الکافی ۴: ۲۶۴ باب فضل الحجّ والعمرة وثوابهما ح ۴۸؛ الفقیه ۲: ۱۴۷ ح ۶۴۷ باب فضائل الحجِّ ح ۹۷ وفیها: «یجب علیکم» بدل «علیکم».

۳- ۳ الفقیه ۲: ۱۹۶ ح ۸۹۲ باب ثواب معانَقَة الحاجِّ ح ۱.

۴- ۴ وفی بعض النسخ: «یوم الخمیس».

۵- ۵ هکذا فی أکثر النسخ، وفی النسخه: «واتفق الفراغُ مِن تألیفه فی عصر یوم السَبْتِ ثالث عشر شهر ذیالقعدة الحرام سنة اثنتین وخمسین وتسعمائة» قال الطهرانی رحمه الله فی الذریعة ۲۲: ۲۶۳: «فَرَغَ منه نهار الأربعاء ۲۰ شوّال ۹۵۳ ... وفی بعض النسخ ذکر فراغ المصِّنف فی ضحی الجمعة ۱۷ رمضان ۹۵۰ وفی بعضها: ۱۴ رمضان».

۶- ۶ من هنا إلی آخر العبارة إنّما وردتْ فی نسخة من النسخ الثمان التی قابلنا بها هذه الرسالة.

ص:۷۶

ص: ٧٧

الهوامش:

قرن المنازل

ص:۷۸

ص:۷۹

ص:۸۰

ص:۸۱

ص:۸۲

ص:۸۳

ص: ۸۴

قرن المنازل

عبد الهادی الفضلی

قرن- بفتح القاف وسکون الراء-، وضبطه الجوهری فی (الصحاح) بفتح القاف والراء معاً، وغلطه الفیروزآبادی فی (القاموس) فی تحریکه الراء، قال ابن حجر فی (فتح الباری): «وضبطهصاحب الصحاح بفتح الراء، وغلطوه، وبالغ النووی فحکی الاتفاق علی تخطئته فی ذلک، لکن حکی عیاض تعلیقَ القابسی:

أن من قاله بالإسکان أراد الجبل، ومن قاله بالفتح أراد الطریق».

ولأن کلمة (قرن) تطلق فی بعض معانیها- علی (الجبل الصغیر المنفرد) کانت تطلق علی جبلصغیر منفرد فی موضع المیقات المعروف ب (قرن المنازل)، وبه سمیت القریة التی هو فیها، وکذلک سمی الوادی الذی هو فیه، من باب تسمیة الکل باسم الجزء، فقیل لکل واحد منهما قرن المنازل.

ومن هنا قال الفیروزآبادی فی (القاموس): «وهی قریة عند الطائف أو اسم الوادی کلّه».

ص: ۸۵

ولعل إضافة (قرن) إلى (المنازل) لأنه القرن الوحيد الواقع فی مراحل ومنازل طريق الطائف إلى مكة المار بنخلة اليمانية.

وكثيراً ما تختصر العبارة فيقال (قرن) من غير إضافة، خاصة فی كتب البلدان كما فی أمثال (المناسک) للحربی، و (صفة جزيرة العرب) للهمدانی وغيرهما، وربما كان هذا لشهرته، أو لأنه لا يوجد قرن- بالمعنى الذی ذكرناه- فی مراحل ومنازل الطريق المذكور غيره.

ويقع قرن المنازل مرحلة أو منزلًا من منازل طريق الحاج من الطائف على نخلة اليمانية، قال الحربی فی (المناسک): «طريق الطائف: تخرج من عرفة على جبل يقال له (كَرَا) يظهر على حرّة كثيرة المنابت يقال لها (الهَدَة) ومن الهَدَة إلى الطائف.

وله طريق أخرى على موضع يقال له (زَيْمَة) ينفرد من (مُشاش) ثم (قرن المنازل)، وهو الموضع الذی وقته رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم لأهل نجد حين قال: (ويهلّ أهل نجد من قرن)، ثم من قرن المنازل إلى الطائف .. وهذه الطريق ثلاثة أيام، والطريق الأول يومان».

والطريق القديمة التی كانت تمر بقرن المنازل هی:

۱- طريق الطائف:

يمرّ بالمليح (ويسمى الآن السيل الصغير) فقرنالمنازل (ويسمى الآن السيل الكبير) فالبوباة (وتسمى الآن البهيتاء) فوادی نخلةاليمانية، فقرية الزيمة فوادی سبوحة فوادی يَدَعان (جَدَعان) فالشرائع (حنين) فالجعرانة فمكة المكرمة.

ويعرف هذا الطريق بطريق نخلة اليمانية.

أما الآن فقد اختصر هذا الطريق وكالتالی: الطائف- الحوية- السيل

ص: ۸۶

الصغیر- السیل الکبیر (قرن المنازل)- الزیمهٔ- الشرائع- الجعرانهٔ- مکهٔ.

۲- طریق الیمن:

وطرق الیمن التی تمرّ علی قرن المنازل هی:

أ- طریقصنعاء-صعدهٔ:

یمرّ ببیشهٔ فوادی تُرَبَهٔ فقرن المنازل (السیل الکبیر).

ب- طریق حضرموت- نجران:

یلتقی مع الطریق السابق بقرن تثلیث، فوادی تُرَبَهٔ، فقرن المنازل (السیل الکبیر).

۳- طریق الیمامهٔ (نجد):

أ- طریق جنوبی الیمامهٔ:

یمرّ بوادی الدواسر، فالافلاج، ثم یجتمع مع طریق الیمامهٔ بقرن المنازل (السیل الکبیر).

ب- طریق وسط الیمامهٔ:

یمرّ بالُمویه فعُشیرهٔ، ثم یلتقی مع طریق الطائف ماراً بالحویهٔ، فالسیل الصغیر، فالسیل الکبیر (قرن المنازل).

والطریقان الرئیسان اللذان ینطلقان من الطائف والریاض (نجد) ویمران بقرن المنازل- فی أیامنا هذه- هما:

الطائف

الحویهٔ- السیل الصغیر- السیل الکبیر (قرن المنازل).

الریاض

ص: ۸۷

وقرن المنازل- الآن- هو قريةصغيرة تعرف باسم (السيل) و (السيل الكبير) تمييزاً لها من قرية (السيل الصغير) التى تقع قبلها للقادم من الطائف أو الرياض.

فيها مسجدان قديمان، ومسجد ثالث حديث أنشأته الحكومة السعودية للإحرام منه.

وتبعد عن مكة بحوالى ثمانين كيلومتراً على طريق الرياض- مكة، المتّجه إلى الطائف بمنعطف على اليمين عند الحوية ماراً بالسيل الصغير فقرية السيل الكبير.

ويمتد وادى السيل أو القرن إلى حدود وادى الغديرين قريباً من مرتفع الهَدَا، حيث يقع (وادى محرم) الذى هو منتهى قرن المنازل على رأى البعض، أو محاذٍ لقرن المنازل كما هو المشهور.

ومن المفيد أن أشير- هنا- إلى مفارقة خلط بين قرن المنازل الميقات الأصلى ومحاذيه وادى محرم، بسبب خطإ لغوى وقع فيه المطرزى وتابعه عليه جملة من الفقهاء، وخلاصتها هى:

إنّ كلمة (قرن) فى لغتنا العربية هى من المشترك اللفظى الذى يستعمل فى أكثر من معنى.

وقاربت معانى كلمة (قرن) فى معجماتنا اللغوية الثلاثين معنى أو جاوزتها.

ومن معانيها التى ذكرت أنها اسم لعدة مواضع، بعضها فى منطقة الحج، وبعضها خارجها.

والمفارقة وقعت فى الخلط والاشتباه عند تحديد المواضع الواقعة فى منطقة الحج.

فلنتعرف المواضع التى هى فى منطقة الحج حسبما ذكرت فى المعاجم العربية،

ص: ۸۸

ثم نوضح المفارقۀ بعد ذلک من خلال درسنا لعبارات اللغويين فی معاجمهم.

والمواضع التی فی منطقۀ الحج هی:

۱- جبل مطل أو مشرف علی عرفات.

۲- قريۀ عند الطائف أو اسم الوادی كله.

۳- القرن الثعالب.

وإذا حاولنا أن نعين ونحدد موقع الموضع الأول الذی هو الجبل المطل أو المشرف علی عرفات علينا أن نتعرف أولًا معنی (مطل) أو (مشرف)، فانهم يقولون (أشرف علی المكان): اطّلع عليه من فوق، وكذلک (أطل علی المكان) بمعنی أشرف أی اطلع عليه من فوق، ف (مطل) و (مشرف) إذا عُدّيا بحرف الجر (علی) يترادفان علی معنی واحد، وهو الاطلاع علی الشیء أو المكان من فوق، أو قل: رؤيتهما من علی مرتفع.

ومعنی هذا أن من يصعد الجبل المذكور يطل علی عرفات ويراه، وهذا يعنی أن الجبل المذكور إما هو واقع فی جانب من جوانب عرفات، أو فی مكان قريب منها يساعد علی رؤيتها من فوقه.

وهناک حديث يُحدِّد فيه موقف رسول اللَّهصلی الله عليه و آله و سلم يوم الموقف فی عرفۀ يستفاد منه أن الجبل المشرف علی عرفات هو (جبل الرحمۀ) فی عرفات فإنه قرن (أی جبلصغير منفرد)، وأسود اللون كما وصف فی الحديث، فقد جاء فی (التاج) للزبيدی: «... (و) قرن (جبل مطل علی عرفات) عن الأصمعی، وقال ابن الأثير: هو جبلصغير، وبه فسر الحديث: أنه وقف علی طرف القرن الأسود».

وقال البلادی فی (معجم معالم الحجاز): «قوله- يعنی الأصمعی- (ومقصُ قرنٍ مطل علی عرفات): «ذلک ما يعرف اليوم باسم القرين، وجبل الرحمۀ وجبل

ص: ۸۹

عرفات، وذکر قدیماً باسم إلال، ولیس هو قرن المنازل میقات أهل الیمن».

أما القریـة عنـد الطائف أو الوادی فقد جاءت معنی لمعانی قرن فی قائمهٔ (القاموس المحیط)، قال مؤلفه– وهو یعدد معانی الکلمهٔ– ما نصه: «وجبل مطل علی عرفات، والحجر الأملس النقی، ومیقات أهل نجد، وهی قریهٔ عند الطائف أو اسم الوادی کله».

وعیّن الزبیـدی المعنی الأخیر– وهو یشـرح قولصاحب القاموس– بقرن المنازل، قال: «... (و) قرن المنازل (میقات أهل نجد، وهی قریهٔ عند الطائف».

وبالنسبهٔ إلی قرن الثعالب فقد ذکر أنه اسم لموضعین، هما:

– قرن المنازل.

أی أنه اسم ثان لما یعرف بقرن المنازل، قال ابن الأثیر فی (النهایـهٔ): «وفی حـدیث المواقیت: أنه وقّت لأهل نجد قَرْناً، وفی روایهٔ: قرن المنازل، هو اسم موضع یحرم منه أهل نجد، وکثیر ممن لا یعرف یفتح راءه، وإنما هو بالسکون، ویسمی أیضاً قرن الثعالب».

وقال الطریحی فی (المجمع): «والقرن: موضع، وهو میقات أهل نجد، ویسمی أیضاً قرن المنازل وقرن الثعالب».

– والموضع الثانی المسمی بقرن الثعالب: جبل مشرف علی أسفل منی، بینه وبین مسجدها (مسجد الخیف) ألف وخمسمائهٔ ذراع.

ممن ذکر هذا الفاضل الهندی فی (کشف اللثام) کما حکاه عنه النجفی فی (الجواهر) والحکیم فی (المستمسک).

وقال البلادی فی (المعجم): «وقرن الثعالب کان بمنی، اکیمهٔصغیرهٔ، ثم أزیلت».

وبعد أن تعرفنا واستوضحنا تعیین وتحدید المواضع المذکورهٔ ننتقل إلی

ص: ۹۰

نقل بعض عبائر المعجميين التى ترتبط بالاشتباه الذى أشرت إليه، وكالتالى:

قال الجوهرى (ت ۳۹۳ ه) فى (الصحاح): «والقرن: موضع، وهو ميقات أهل نجد».

وقال ابن الأثير (ت ۶۰۶ ه) فى (النهاية): «وفى حديث المواقيت: أنه وقّت لأهل نجد قرناً، وفى رواية: قرن المنازل، هو اسم موضع يحرم منه أهل نجد».

وهذان التعريفان- كما تراهما- ليس فيهما تعيين وتحديد للموضع.

ثم قال المطرزى- ت ۶۱۶ ه)- وهو معاصر لابن الأثير- فى (المُغرَّب):

«والقرن: ميقات أهل نجد، جبل مشرف على عرفات، قال:

لم تسأل الربع أن ينطقا قرن المنازل قد أخلقا وفى (الصحاح) بالتحريك، وفيه نظر».

وعبارته المذكورة واضحة فى أنه يعيّن قرن المنازل بالجبل المشرف على عرفات.

ثم يأتى من بعده الفيومى (ت ۷۷۰ ه) فيقول فى (المصباح): «وقرن- بالسكون أيضاً- ميقات أهل نجد وهو جبل مشرف على عرفات، ويقال: قرن المنازل وقرن الثعالب».

وعبارته- هى الأخرى- واضحة فى تعيين قرن المنازل بالجبل المشرف على عرفات.

وبعد الشيخين المطرزى والفيومى يأتى الفيروزآبادى (ت ۸۱۶ ه)، فيذكر فى (القاموس)- وهو فى معرض تعداد معانى كلمة قرن- المعانى الثلاثة التالية حيث يقول: «وجبل مطل على عرفات، والحجر الأملس النقى، وميقات أهل نجد وهى قرية عند الطائف أو اسم الوادى كله».

وعبارته واضحة فى أن الجبل المطل على عرفات غير ميقات أهل نجد،

ص: ۹۱

وذلک بقرینة العطف والفصل بینهما بالمعنی الآخر وهو (الحجر الأملس النقی).

کما أنها واضحة فی أن المیقات قریة أو واد ولیس جبلًا.

وهنا نقول: إن المفارقة جاءت من سقوط الواو العاطفة من عبارة المطرزی، فبدل أن یقول (والقرن میقات أهل نجد جبل مشرف علی عرفات) کان ینبغی أن یقول: (والقرن میقات أهل نجد وجبل مشرف علی عرفات) بإضافة أداة العطف.

وقد یرجع هذا إلی خطإ النسخ، أو خطإ فی الطبع أو إلی سهو من المطرزی لأنه لم یکن من اللغویین المحققین.

ویبدو أن الفیومی فی (المصباح) أراد أن یصحح عبارة المطرزی فی المغرب المذکورة فی أعلاه استظهاراً منه بأن الذی أراد ذکره المطرزی هو معنی واحد لا معنیان، فقال: القرن: میقات أهل نجد وهو جبل مشرف علی عرفات فأوهم بإضافته عبارة (وهو) علی نصّ المطرزی أن عبارة (جبل مشرف علی عرفات) وصف لمیقات أهل نجد فأوقع فی هذا الوهم بعض من رجع إلیهما من مؤلفی وشراح المناسک، أمثال: حسین بن محمد سعید بن عبدالغنی المکی الحنفی فی حاشیته الموسومة ب (إرشاد الساری إلی مناسک الملا علی القاری) فقد جاء فی الصفحة ۵۵ منها ما نصّه: «قوله: وهی قریة عند الطائف: قال فی المغرب: وقرن:

میقات أهل نجد جبل مشرف علی عرفات ۱ ه. ومثله فی المصباح. وفی شرح المصابیح: قرن: جبل أملس کأنه بیضة فی تدوره وهو مطل علی عرفات، وعلیه جری فی (البحر الرائق)، فقال: هو جبل مطل علی عرفة. ومثله فی شرح الشیخ عبداللّه العفیف والشیخ عبد الرحمن المرشدی فی شرح مناسک الکنز، وشرح ابنه، وشرح الشیخ حنیف الدین المرشدی».

ونقرأ مثل هذا فی (الریاض) للسید الطباطبائی، ففیه: «یقال له قرن

ص: ۹۲

الثعالب، وقرن بلا إضافهٔ، وهو جبل مشـرف على عرفات على مرحلتين من مكهٔ»، وفى (كشف اللثام) للفاضل الهندى، ففى (الجواهر):

«وفى كشف اللثام:

فانه جبل مشـرف على عرفات، على مرحلتين من مكـهٔ»، وفى (المناهج) للمامقانى، قال: «قرن المنازل: وهو جبل مشـرف على عرفات، على مرحلتين من مكهٔ، وهو ميقات أهل الطائف»، وفى (الموجز) لأستاذنا الشهيد الصدر، قال:

«الثالث: قرن المنازل، ويقع فى جبل مشرف على عرفات».

ويبـدو أن تعريف الميقـات بالجبـل المشـرف على عرفات، أوقع البعض فى الحيرهٔ حيث لا يوجـد قريب من عرفات جبل يصـدق عليه معنى الإشراف والإطلال، ففسر هذا ب (جبل كَرَا).

قال القاضـى عيـد فى شـرح المناسك: «وهـذا الجبل يسـمى عنـد أهل مكـهٔ، وأهل تلك النواحى (كَرَا) بفتـح الكاف والراء المهملـهٔ، ويوافق ما ذكره الشارح رحمه الله ما فى القاموس حيث قال فى تعداده معنى (قرن): جبل مطل على عرفهٔ والحجر الأملس النقى ميقات أهل نجد وهو قريهٔ عند الطائف واسم الوادى كله ا ه ..

وعبارهٔ الشيخ القطبى فى منسكه: وهو جبل فيه بعض القرى بقرب الطائف وبه مزارع وبساتين ويجلب منها الفواكه إلى مكهٔ ا ه ..

أقول: واسم القريهٔ المذكورهٔ (الهدا) ا ه ..

ويلاحظ عليه:

۱- أنه تـوهم من عبـارتى المطرزى والفيـومى أن قولهمـا (جبـل مشـرف على عرفـات)صـفهٔ للميقـات، ثم أراد أن يوفق بين عبـارتهما المـذكورهٔ وعبـارهٔ الفيروزآبـادى ليتم له بـأن الميقـات هو الجبـل المشـرف أو المطل على عرفات، وذلك لأن الواو لو ذكرت لوقفت عائقاً أمام تماميهٔ الاستدلال، ولأن الواو أيضاً تفيد بأن الميقات معنى آخر من معانى كلمهٔ (قرن) .. وفاته أن كلمهٔ (ميقات) فى

ص: ۹۳

عبارة القاموس مسبوقة بمعنيين لكلمـة (قرن) هما: الجبل المطلّ على عرفات والحجر الأملس، وهذا يعنى أن كلمة (ميقات) لو أخذت مرتبطة بما قبلها تفيد أن الميقات هو الحجر الأملس لا الجبل المشرف، فلا يتم له بها الاحتجاج.

وكـان عليه أن يتنبه لما فى عبارتى المطرزى والفيومى من خطإ ويصـححهما بما ورد فى النهايـة والقاموس والتاج وغيرها من المعاجم الأخرى.

۲- أن القريـة (الهدا) الواقعة على جبل (كرا) لم يقل أحد بجواز الإحرام من أى موضع منها، بل أوجبوا الإحرام من الموضع المعروف ب (وادى مَحْرَم)- وهو فى طرفهـا ممـا يلى الطـائف- وذلـك إما لأن وادى محرم نهايـة قرن المنازل أو لأنه محاذ لقرن المنازل، بينما جوزوا الإحرام فى قرية السيل من أى موضع فيها.

۳- أن جبـل كرا بينه وبين وادى عرفـات: وادى كرا الكبير ووادى نعمـان فلا يصـدق عليه أنه مطـل أو مشـرف على عرفـات، وهو فى واقعه، وكما يشاهـده الرائى يطلّ على وادى كرا الكبير الذى يتصل بعد مسافة طويلة تعد بعشـرات الكيلومترات بوادى نعمان المتصـل بوادى عرفات.

۴- أن الذى يفهم وبوضوح من عبارة أرباب المعاجم (القرن: جبل مطل أو مشرف على عرفات) هو أن الجبل المطل أو المشرف على عرفات اسـمه (قرن)، وهو من دون إضافة إلى (المنازل) أو (الثعالب) أو غيرهما، فتفسيره بقرن المنازل يحتاج إلى دليل، مضافاً إلى ما بيناه من أنه هو جبل الرحمة.

وأخيراً: ينبغى أن نشير هنا أيضاً إلى شيئين هما:

۱- أن قرن المنازل قد يسمى قرن الثعالب، كما نصّ على هذا غير واحد من المعاجم.

۲- أن هناك موضعاً آخر يقع أسفل منى بالقرب من مسجد الخيف يسمى بقرن الثعالب أيضاً.

ص: ۹۴

الحجر الأسود بين الإمام العابد والسلطان الزائف

عبد المطلب محمد

عندما ينتصر المضمون على الشكل. ويتفوق المعنى على اللفظ وتسود الحقيقهٔ، ويتضاءل الخيال والسراب، عند ذلك ماذا يعنى؟ لا ـ شك يعنى أن الواقع والمعقوليهٔ لا زالا بين أيدينا، يجريان بيننا، نعيشهما، وإن لم يتوافرا بانتظام. فتارهٔ حاضران واضحان، وتارهٔ أخرى غائبان بعيدان، بعيدان هناك بيد الهوى والجهل. لكنهما فى كلّ الحالات موجودان. بالفعل أو بالقوهٔ.

وهاهناصورهٔ تاريخيهٔ أدبيهٔ فريدهٔ من نوعها، عرفها التاريخ الإسلامى على نطاق واسع، عرفها من خلالها رجالها الثلاثهٔ: الإمام العابد الساجد زين العابدين عليه السلام، والشاعر العربى المسلم الفرزدق، و (السلطان) الخليفهٔ الأُموى هشام بن عبد الملك، ولكلّ واحد من هؤلاء الثلاثهٔ دور معين ومحدد ومعروف فى هذه الصورهٔ الأدبيهٔ التاريخيهٔ الفريدهٔ. فالإمام العابد زين العابدين عليه السلام الطرف

ص: ۹۵

الأول (الدور السامی). وهشام بن عبد الملک الطرف الثانی المقابل (الدور الدانی). وبینهما (الواسطهٔ) الشاعر العربی المسلم الفرزدق. کاشف الصورهٔ ومجلیها أو مظهرها إنصح التعبیر.

ولکن أین حدثتْ تلک الصورهٔ الفریدهٔ الرائعهٔ؟ أین تحرکت، فرسمت تاریخاً لقضیهٔ تاریخیهٔ نادرهٔ سجلتها الأجیال جیلًا بعد جیل، وصارت موضع فخر واعتزاز لکلّ المؤمنین الموالین لأهل البیت علیهم السلام وکلّ محبی الحقّ والحقیقهٔ؟

لقد وقعت الحادثهٔ الفریدهٔ فی أقدس بقعهٔ علی الکرهٔ الأرضیهٔ، وقعت فی مکّهٔ التی کرمها اللّه، وفی البیت الحرام بالذات، وکان الشاهد أقدس شاهد، کان الشاهد هو الحجر الأسود أو الحجر الأسعد، ذلک الحجر المقدس الذی وضعَهُ النبی إبراهیم علیه السلام فی الرکن الشرقی من الکعبهٔ عندما رفع قواعدها، وأعاد وضعه محمد بن عبد اللّهصلی الله علیه و آله و سلم، وعمره لا یتجاوز الخامسهٔ والعشرین، حین أعادت قریش بناء الکعبهٔ الشریفهٔ. ذلک الحجر الذی یتجه نحوه کلّ المسلمین فی الکرهٔ الأرضیهٔ.

عند تلک النقطهٔ المقدسهٔ حدثت الحادثهٔ، وتلونت الصورهٔ، وخلدت فی ذاکرهٔ الزمن. ولا ـ زالت حیهٔ إلی الیوم لقوتها وحیویتها وصدقها.

موقف تاریخی مثیر:

التاریخ الإسلامی المجید حافل بالمواقف والبطولات، مواقف مختلفهٔ ومتنوعهٔ، مواقف طیبهٔ، مواقف سامیهٔ مواقف فریدهٔ، مواقف بالسیف، وأخری بالقلم وثالثهٔ بالسیف والقلم معاً، ورابعهٔ، بموقف آنی أملاه طرف معین وحالهٔ خاصهٔ.

وقد سجل لنا التاریخ عدداً کبیراً من المواقف والبطولات المختلفهٔ. نُسی

ص: ۹۶

بعضـها. وبقى البعض الآخر فى ذاكرة الكتب والرسائل. بقى على الزمن رغم كلّ ملابسات التاريـخ ومنعطفاته وحالاته المتذبذبة. بقى لقوة فى الموقف نفسه.

ومن تلك المواقف الطيبة والخالدة. ذلك الموقف الثلاثى المذكور آنفاً.

الموقف الـذى دار بين الإمام زين العابـدين عليه السـلام والشاعر العربى المسـلم الفرزدق، والخليفـة الأموى هشام بن عبد الملك. فى حضرة قصيدة عربية إيمانية رائعة.

خلّدت الموقف. خُلدت لأنها ذكرت حقيقة جريئة لا يقولها إلّاجرىء، يتوقع كلّ شـىء من الحاكم. الحبس والقتل والتعذيب، وما إلى ذلك.

لقد خُلدت تلك القصيدة الرائعة، التى حملت ذلك الموقف الجرىء وانتشرت وامتدت مدة طولها ثلاثة عشر قرناً من الزمان ووصلت إلينا، لنعرف من خلالها أن الحق والمعقوليـة والقوة الذاتيـة الحقيقية تعيش فى كلّ زمان ومكان، تعيش حتى فى ظل السـلطان الجائر، بل وتتحدى كلّ السلاطين القساة العتاة فى التاريخ الطويل. ولنقرأ ذلك الموقف العظيم. تلك القصيدة الرائعة.

لما حجّ هشام بن عبد الملك فى أيام أبيه عبد الملك. طاف بالبيت الحرام.

وجهـد أن يصـل إلى الحجر الأسود ليسـتلمه، فلم يقـدر على ذلك لكثرة الزحام، فَنُصب له كرسـى وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان الشام.

فبينمـا هو كـذلك إذ أقبل الإمام الكريم زين العابـدين على بن الحسـين بن على بن أبى طالب عليه السـلام، فطاف بالبيت. فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحّى له الناس حتى اسـتلم الحجر. فقال رجل من أهل الشام لهشام بن عبـد الملك: مَن هـذا الذى هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا اعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام. وكان الشاعر العربى المسلم المعروف الفرزدق حاضراً فى ذلك الموقف، فقال بقوة واعتداد أنا أعرفه، ثم اندفع بقصيدته المشهورة هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... (۱) التى سنأتى على ذكرها.

۱- ۱ ديوان الفرزدق ۲: ۱۷۸.

ص: ۹۷

الشاعر والقصيدة:

وأبو فراس همام بن غالب بنصعصعة من دارم ثم من تميم، لقب بالفرزدق لغلظ وجهه وشبهه بالرغيف (۱).

ولد فى الكاظمة (وهى اليوم تقع شرق مدينة الكويت). ولد نحو سنة ۲۰ هجرية فى خلافة عمر بن الخطاب، ونشأ هناك نشأة بدوية.

نشأ الفرزدق على حبّ آل البيت وعلى الاعتقاد بحقهم فى الخلافة، ولكنه كان أحياناً يتظاهر بغير ما يتعقد، يقول المقرم فى تشيعه «وهو الشيعى الصميم المتفانى فى ولاء آل الرسولصلى الله عليه و آله و سلم» (۲).

وبعد استشهاد الإمام الحسين بن على عليه السلام ومقتل عبد اللّه بن الزبير سنة ۷۳ هجرية- كان العلويون قد خسروا جاههم السياسى وخسروا معه أموالهم التى كانوا يجيزون فيها الشعراء- انضم الفرزدق إلى الأمويين تكسباً لا اعتقاداً (۳). توفى الفرزدق سنة ۱۱۰ هجرية حسب ما ذكر أحمد حسن الزيات (۴).

والفرزدق، بعد ذلك، شاعر مشهور، مقتدر، ألفاظه جزلة كثيرة الغريب، له ديوان مطبوع فى جزأين. نشر أكثر من مرّة.

«عدّه ابن سلام فى الطبقة الأولى من الإسلاميين. وقدمه فى الذكر على جرير والأخطل. وقال: «كان يونس يُقدّم الفرزدق بغير إفراط، وكان المفضّل يقدّمه تقدمة شديدة» وقال جرير: «الفرزدق نَبعة الشعر» وقال أبو عبيدة: «كان الفرزدق يشبّه من شعراء الجاهلية بزهير» وقال أيضاً: «لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب» وقال أبو الفرج الأصفهانى: «والفرزدق مقدّم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل، ومحله فى الشعر أكبر من أن ينبّه عليه بقول، أو يدلّ على مكانه بوصف. أما من كان يميل إلى جزالة الشعر وفخامته

۱- ۱ تاريخ الادب العربى/ عمرو فروخ ۱: ۶۴۹.

۲- ۲ الامام زين العابدين عليه السلام/ عبد الرزاق المقرمص ۳۸۳.

۳- ۳ تاريخ الادب العربى/ فروخ ۱: ۶۵۰.

۴- ۴ تاريخ الادب العربى/ أحمد حسن الزياتص ۱۵۸.

ص: ۹۸

وشدة أسره فيقدم الفرزدق، وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين وإلى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريراً». وقال الفرزدق نفسه: «قد علم الناس أنى أفحل الشعراء، وربما أتت عليّ الساعة وقلع ضرس من أضراسى أهون عليَّ من قول بيت». وقال مالك بن الأخطل:

«جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت فيصخر» ...» (۱).

وبعد أن عرفنا شيئاً من حياة الشاعر الفرزدق ومنزلته الأدبية والشعرية لنقرأ قصيدته الشهيرة «هذا الذى تعرف البطحاء ...» القصيدة (الموقف) كما ذكرنا، لنرى كم هى جريئة ومثيرة فى حضرة (السلطان) هشام بن عبد الملك.

وكم تتضمن من المعانى القيمة فى حقّ الإمام زين العابدين عليه السلام يقول شاعرنا الفرزدق فى ديوانه:

هذا الذى تعرف البطحاءُ وطأته والبيتُ يعرفه والحِلُّ والحرم

هذا ابن فاطمة إنْ كنتَ جاهله بجدّه أنبياء اللّه قد ختموا

وليس قولك مَن هذا بضائره العُرْبُ تعرف من أنكرت والعجم

كلتا يديه غياث عَمّ نفعهما يُسْتَوْكفان لا يعروهما عدم

سهل الخليقة لا تخشى بوادره يزينه اثنان: حسن الخلق والشِيَمُ

حمّال أثقال أقوام، إذا افتُدحوا حلو الشمائل تحلو عندِه نَعَمُ

ما قال لا قط إلّافى تشهده لولا التشهدُ كانت لاؤه نَعَمُ

عمّ البرية بالإحسان، فانقشعت عنها الغياهب والاملاق والعدم

إذا رأتهُ قريش قال قائلها: إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

يغضى حياءً ويُغضى من مهابته فما يكلم إلّاحين يبْتسمُ

بكفه خيزران ريحه عبق من كف أروع، فى عرنينه شَمَمُ

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

۱- ۱ ادباء العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام: بطرس البستانى ۱: ۳۵۹.

ص: ٩٩

اللّه شرفه قدماً وعظّمه جرى بذلك له فى لوحة القلم

أىّ الخلائق ليست فى رقابهم لأولية هذا أو له نِعَمُ

من يشكر اللّه يشكر أولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الأُممُ

ينمى إلى ذروة الدين التى قصرت عنها الاكف وعن ادراكها القدم

مَنْ جده دانَ فضل الأنبياء له وفضل أمته دانت لها الأُمَمُ

مشتقة من رسول اللّه نبعته طابت مغارسه والخيم والشيم

ينشق ثوب الدجى عن نور عزته كالشمس تنجاب عن اشراقها الظُلم من معشرٍ حبّهم دين وبغضُهُمُ كفرٌ وقربُهُمُ منجىً ومعتصمُ

مقدم بعد ذكر اللّه ذِكرُهُمُ فى كل بدء ومختوم به الكَلِمُ

إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل: «من خيرأهلالأرض» قيلهُمُ

لا يستطيع جواد بعد جودهم ولا يدانيهم قوم، وإن كرموا

هم الغيوث، إذا ما أزمة ازمت والأسدُ اسد الشرى والباس مختدم

لا ينقص العسر بسطاً من اكفهم، سيان ذلك: إنْ أثروْا وان عدِموا

يستدفع الشر والبلوى بحبهم ويُستربّ به الإحسان والنعمُ (١) لقد قالها الفرزدقصراحة فى حقّ الإمام، أعلنها علناً على الملإ دون خوف ولاـ وجل، يقول السيد عبد الرزاق المقرم: «فقد حداه إيمانه الخاص المتغلغل فيصدره، وولاؤه المتوغل فى لبة قلبه إلى أداء أجر الرسالة المأخوذ على الأسود والأبيض والحر والعبد، فأقام أكبر برهان على تشيعه الذى لا يختلف فيه اثنان، وشكل أجلى قياس انتج اقتصاص أثر عترة الوحى، فباح بما أوحته إليه سريرته المحمودة وخصاله المستحسنة وطينته الطاهرة ونفسه الزاكية غير مبال بغضب (المروانى) ومما يلمّ به بعد ذلك من سجن وقطعصلة وغيرها، فاستسهل كلّصعب دون الإشادة بذكر الحق والهتاف به خشية أن تتحكم الأغراض

١- ١ ديوان الفرزدق ٢: ١٨٣- ١٨١.

ص: ۱۰۰

المستهدفة في النفوس الضعيفة فيروج الضلال» (۱).

لقد وقعت هذه القصيدة كالصاعقة على راس الخليفة (السلطان!!!) هشام بن عبد الملك، ابن السلطان، ابن الملك، وابن تلك (الهيبة) التي ظن أن الدنيا كلّها تحت يديه، تحت طوع بنانه.

لقد غضب هشام غضباً شديداً. ومنع جائزته إلى الفرزدق، وقال: الّا قلت فينا مثلها؟ وكان الرد ذكياً خارجاً من قلب الحقيقة، وقال لهشام متحدياً: هات جدّاً كجد الإمام زين العابدين وهات أباً كأبيه وأماً كأمه حتى أقول فيكم مثلها.

فحبسوه بعسفان بين مكة والمدينة. فبلغ ذلك الإمام على بن الحسين عليه السلام فبعث اليه باثنى عشر ألف درهم، وقال: اعذرنا يا أبا فراس. فلو كان عندنا أكثر لوصلناك به، فردّها وقال: يابن رسول اللّه ما قلت الذى قلته إلّاغضباً للّه ولرسوله، وما كنت لا رزأ عليه شيئاً، فردها إليه وقال: بحقى عليك لمّا قبلتها فقد رأى اللّه مكانك وعلم نيتك قبلها، فجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في الحبس.

فكان مما هجاه به قوله:

أيحبسنى بين المدينة والتى إليها قلوب الناس يهوى مُنيبها

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعيناً له حولاء باد عيوبها (۲) والقصيدة الفرزدقية (هذا الذى ...)- كما ترى- رائعة جميلة لفظاً ومضموناً، تقرأها مرة فترغب في قرأتها مرات ومرات ولا تملّ، ترى الشاعر المسلم فيهاصادقاً، مستخدماً عقله وعاطفته معاً، منبثقة من عقله وقلبه، مندفعاً اندفاعاً حقيقياً باتجاه من يحب، وهو الإمام زين العابدين والساجدين، وأهل بيته وآبائه الكرام البررة. فلا تكلّف في القصيدة ولا استجداء، ولا طلب لمنصب ولا لجاه، ولا ولا .... إنه الحبّ لإنسان أهل للحب والتقدير والثناء. يقول بطرس البستانى: «وأنّى يكون التكلّف في قصيدة جاشَ بهاصدر الشاعر فقذفها بيتاً إثر

۱- ۱ الامام زين العابدين/ عبد الرزاق المقرمص ۳۸۳- ۳۸۴.

۲- ۲ بحار الأنوار: محمد باقر المجلسى ۴۶: ۱۲۷.

ص: ۱۰۱

بيت، والتأثر النفسى يملك عليه» (۱) ثم يقول البستانى أيضاً: «فهو لا يسأل زين العابدين ولا يستجديه، ولكنه يبثُ عاطفة متقدة بحب آل البيت، عاطفة نفس تؤمن بكرامتهم وترجو بهم الثواب فى الآخرة» (۲).

ولم يكن الشعر بهذه المتانة والجمال لو لم يكن الممدوح ذلك الإمام التقى الورع زين العابدين عليه السلام. ولم يكن الشعر بهذه القوة لو لم يكن الممدوح أهلًا للمدح والثناء.

ونحن لا نشك- لحظة واحدة- فى أن الفرزدق الشاعر المسلم المؤمن كان قد تأثر بشخصية الإمام سيد العابدين على بن الحسين عليه السلام، ولم لا- يتأثر بتلك الشخصية وهو الإمام ابن الإمام الشهيد الحسين بن الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، وجدَّته الزهراء سيدة نساء العالمين، وجدّه النبى الأعظم محمد بن عبد اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم لمَ لم يتأثر به وهو (أى الإمام) ابن هذه السلالة الطاهرة المتصلة بالوحى وباللَّه وبالسماء؟

وهو من هو، وألقابه- وحدها- كافية للدلالة عليه وعلى عبادته الربانية وسلوكه الإلهى. فقد لقبَ بزين العابدين وسيد الساجدين، وسيد العابدين، والزكى، والأمين. وذى الثفنات وغيرها. أىّ ألقاب هذه التى اتصف بها الإمام الكريم؟! ومَنْ هو أفضل ممن همّه الأول والأخير، الاتصال باللَّه والوقوف بخضوع بين يديه وتحت رحمته وعدله؟!

لقد كان إماماًصامداًصابراً شهد مأساة كربلاء وواكب مسيرة العائلة الكريمة بعد الفاجعة المؤلمة إلى الكوفة، ومنها إلى الشام، شاهد كلّ ذلك بكلّ تفاصيله وكلّ مفرداته. وكان فوق كلّ ذلك، وكان المثل الأعلى فى القيادة بعد استشهاد والده الإمام الحسين عليه السلام، وكان خير من وظّف الفاجعة لمصلحة الإسلام والمسلمين وتاريخ الإسلام.

۱- ۱ أدباء العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام: بطرس البستانى ۱: ۳۵۹.

۲- ۲ المرجع نفسه ۱: ۳۵۲.

ص: ۱۰۲

لقـد كان عالماً زاهـداً خلّف آثاراً وإرشادات رائعـة وأدعيـة ساميـة معروفـة جمعت فی كتاب باسم الصـحيفة السـجادية، وكان وكان، ويطول الحديث عن هذا الإمام الصابر (۱).

إنه الموقع الطبيعی للمدح والثناء، والمناسبة الرائعة لقول الحقّ، خاصة فی حضور سلطان زمنی يملك القتل والتعذيب وأنواع الشرور.

وإنه المكان المناسب والمؤثر، فی حضرة البيت الحرام، وقرب الحجر الأسود، ذلك الحجر المقدس، وذلك الجو الإلهی.

لقد قال الفرزدق قوله (قصيدته) متحدياً القوة الزمنية، متوقعاً النتائج المترتبة عليها، مهما كانت، وكان الحبس كما ذكرنا.

وبذلك سـجل بموقفه هذا، بتحديه الخليفةصاحب السلطة الزمنية المؤقتة، وباهتمامه وثنائه على الإمام الخالی من السلطة الزمنية، سجل نقطة مضيئة فی سجل التاريخ الإسلامی.

المراجع والمصادر:

۱- ديوان الفرزدق: دار بيروت للطباعة والنشر/ بيروت- لبنان.

۲- بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسی/ نشر موسسة الوفاء/ بيروت.

۳- تاريخ الأدب العربی/ دكتور عمر فروخ/ دار العلم للملايين/ بيروت.

۴- الإمام زين العابدين: السيد عبد الرزاق المقرم/ مؤسسة الوفاء/ بيروت.

۵- تاريخ الأدب العربی/ أحمد حسن الزيات/ دار الحكمة/ دمشق- بيروت.

۱- ۱ راجع حول حياة الامام زين العابـدين كتاب الامام زين العابـدين لمؤلفه المرحوم عبـد الرزاق الموسوی المقرم مطبعة مؤسسـة الوفاء- بيروت.

ص: ۱۰۳

الهوامش:

حِجْر إسماعيل فى مسيرته التأريخية والفقهية

ص: ۱۰۴

حِجْر إسماعيل فی مسيرته التأريخية والفقهية

محسن الأسدی

«ربّنا إنی أسكنتُ من ذريتی بوادٍ غيرِ ذی زرعٍ عندَ بيتكَ المحرم ...» (۱).

ظـلّ نبيُّ اللَّه إبراهيم الخليل- وقـد ركب دابته، وحمل معه زوجته هاجر وطفله إسـماعيل، ومتاعه- ظلّ يُغِـذُّ السـيرَ على هـدىً من اللَّه تعالی، ويقطع الصـحاری والوديان والفلوات، حتی وصل إلی وادٍ مجـدبٍ مقفرٍ تحيطه الجبال، وتحفُّ به التلال. وفی رواية أن جبريل عليه السـلام كـان معه يُـدلّه علی موضع البيت الحرام ومعـالمه، فكان إبراهيم عليه السـلام لا يمرُّ بقريـة أو مكان إلّاقال لجبريل: أبهـذا أمرتُ يا جبريل؟ فيقول جبريل: امضه. حتی قدم به مكة وهی إذ ذاك عضاه (سلم وسمر) (۲) وبها أناس يقال لهم العماليق (۳) خارج مكة وما حولها، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة. فقال إبراهيم لجبريل: أهنا أمرتُ أن أضـعهما، قال: نعم. فعمد بهما إلی موضع الحِجر فأنزلهمـا فيه، وأمر هـاجر أمَّ إسـماعيل أن تتخـذ فيه عريشاً (۴)، وبعـد أن أمّن لهمـا المقـام، اسـتودعهما اللَّه تعـالی، وإذ هو يودعهما، تشبثت

۱- ۱ سورة إبراهيم/ ۳۷.

۲- ۲ السـلم: شجر من العضاة يدبغ به، ومنه سمی «ذو السلم» السمر: شجر من العضاة، وليس فی العضاة أجودخشباً منه، والعضاة: شجر أم غيلان، وكل شجر يعظم وله شوك، انظر البحار ۱۲: ۱۱۶، الهامش.

۳- ۳ العماليق: قوم من ولد عمليق، ويقال: عملاق بن لاوز بن ارم بن سام بن نوح. البحار ۱۲: ۱۱۶. الهامش.

۴- ۴ البحار ۱۲: ۱۱۵- ۱۱۶، أخبار مكة للأزرقی ۱: ۵۴.

ص: ۱۰۵

به زوجته هـاجر، وهى تبكى وتشـتكى من أن يكون هـذا الوادى عقوبـة لهـا من دون أن تقترف جرمـاً أو ذنبـاً تسـتحق عليه مثل هـذا العذاب فى أرض جرداء، لا ماء فيها ولا طعام .. ثمّ إن كان لها ذنب، فما ذنبصغيرهما إسماعيل أن يعذب ..

فلم يسـتطع إبراهيم حبس دموعه فشاركهـا بكاءهـا، وبادلهـا دموعهـا. حتى تأوه أخيراً لحالهما، ثم أخبرها: بأن هـذا هو أمر اللَّه تعالى، ابتلاـه به، وليس له إلّاأن يلبى دعوة اللَّه، ويـذعن لهـا .. ثم رفع يـديه بالـدعاء و «.... فاجعل أفئـدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون» (۱)

فكانت هذهِ آخر كلمات إبراهيم فى وداعه لزوجته وابنه .. قصة هاجر وإسماعيل.

«إنى أسكنتُ من ذريتى بوادٍ ..».

جعلتُ لهم مأوى يأوون إليه، ومقرّاً يقرون فيه، وسكناً يسكنون إليه ..

والمراد بالذرية هاجر وإسماعيل، وبالوادى وادى مكة وهو الأبطح (۲).

«عند بيتك المحرم».

مكان هذا السكن والمأوى أو العريش يتوضح ب عِند التى هى اسم مكان الحضور حقيقة كما تقول جلستُ عند زيد ومجازاً نحو عند زيد علم ... (۳).

ففى الآيـة وردت عند وتعنى المكان أو الموضع الذى يكون مجاوراً للبيت أو ملاصـقاً له بين ركنى البيت (الكعبة) الشاميين من جهته الشـمالية. وكان هذا المكان عريشاً بَنتهُ هاجر إلى جانب البيت الذى كان ربوة فسـكنته مع ابنها إسماعيل. وهذهِ الملاصقة أو المجاورة للكعبة، كانت سبباً لتعرضه إلى كل ما تعرض له البيت من حوادث طبيعية كالسيول والحرائق، وتجاوزات الظالمين، كما أنه كلما أعيد أو جـدّد بناء الكعبة أعيد بناءُ الحجر وجدّد. وبالتاليصار هذا البناء والتجديد سـبباً لأقوال وآراء حول نقصان الكعبة أذرعاً ودخولها فى الحجر أو

۱- ۱ سورة إبراهيم/ ۳۷.

۲- ۲ التبيان للطوسى ۶: ۳۰۰.

۳- ۳ أقرب الموارد ۲: ۸۳۶ «عند».

ص: ۱۰۶

عدم نقصانها. وترتبت على ذلک أراء وفتاوى ذكرها الفقهاء عند تعرضهم إلى أحكام الطواف حول الكعبة وشروطه كما سنرى.

الكعبة فى مسيرتها التأريخية، من عهد إبراهيم عليه السلام وحتى بناء قريش لها، حافظت على مساحتها مع أنها بنيت مرّات فى عهود سابقة لكن بناء قريش لها لتصدعها وطول الزمن، كان سبباً للخلاف عند المؤرخين والعلماء .. فذهب فريق منهم إلى أنها أُنقصت منها أذرعاً (۵- ۷) من الجهة الشمالية وأدخلت فى الحِجر، بينما ذهب فريق من هؤلاء القائلين بالنقص إلى أن الحِجر كلّه من الكعبة، وقال غيرهم: إن الكعبة لم يُنقص منها شیءٌ، وأن مساحتها- اليوم- كما كانت على عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ...

وبعد أن نبين ما آل إليه هذا السكن المبارک، وبدء تسميته بالحِجر ..

نستعرض تلک الآراء والأقوال وأدلتها، وما توفرنا عليه من روايات حتى نصل إلى الآراء الفقهية وأدلتها على وجوب إدخال حجر إسماعيل فى الطواف، للأدلة الخاصة، أو للسيرة الثابتة عن الرسولصلى الله عليه و آله و سلم حيث كان يُدخله فى الطواف، أو لأنه جزء من الكعبة وبالتالى يصدق عليه أنه جزء من البيت العتيق «وليطوفوا بالبيت العتيق» (۱)

أو لأن إسماعيل حَجّر على قبر أمّه وكره أن يوطأ ...، لهذا كان الطواف خارج الحجر.

لقد آل هذا المأوى المبارک، بعد أن كان عريشاً، إلى مقبرة بعد وفاة هاجر، ودفنَها إسماعيل فيه، وحجّر على قبرها بحائط أو جدار ليمنع الناس من أن يطأوا قبرها. وكانت هذه هى بداية تسميته بالحِجر، لأن الحِجر لغةً بالكسر ثم السكون هو ما حجّرتَ عليه أى منعته من أن يوصل إليه، وكلّ ما منعت عنه فقد حجّرت عليه .. وكذلک سمى ما تركت قريش فى بنائها من أساس الكعبة على عهد إبراهيم وحجرته ليعلم أنه من الكعبة سمى حِجراً لذلک، وهو الذى يسمى الشاذروان.

۱- ۱ سورة الحج/ ۲۹.

ص: ۱۰۷

وفی الصحاح: الحجر هو ما حواه الحطيم المدار بالكعبة شرّفها اللَّه تعالی من جانب الشمال. وقال الأزهری: هو حطيم مكة، كأنه حجرة ما يلی المثعب من البيت. (۱) إذن، فهذهِ التسمية (الحِجر) ظهرت بعد وفاة هاجر ودفنها. وسمّی أيضاً ب (الحطيم) لأنه حُطِّم من الكعبة وفصل منها، وفيه ميزاب الكعبة، كما أن هناك مَن أطلق كلمة الحطيم الآن علی الجدار المطيف بالحِجر، وبذلك قال ابن عباس، وقيل: إن الحطيم ما بين الحَجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم وحِجر إسماعيل، أی البقعة المحصورة بين الكعبة والحِجر غرباً والمقام وزمزم شرقاً، وهذا ما حكاه الأزرقی عن ابن جريج، وفی كتب الحنفية أن الحطيم المكان الذی فيه الميزاب، وذلك بالاشتقاق، لأن ذلك المكان حطم من الكعبة، وفصل منها، والأكثرون علی القول الثانی (۲).

والحِجر ما أطاف به الحطيم- الجدار- وقد ذكر الأزرقی: أن إبراهيم عليه السلام جعل الحِجر إلی جنب البيت عريشاً من أراك يقتحمه العنز وكان زرباً لغنم إسماعيل (۳).

فعن الحلبی: عن أبی عبد اللَّه عليه السلام قال: سألته عن الحجر؟ فقال: إنكم تسمّونه الحطيم، وإنما كان لغنم إسماعيل، وإنما دفن أمّه وكره أن يوطأ قبرها فحجر عليه (۴)، ...

ثم تحولّ بعد ذلك إلی مقبرة، فبعد وفاة إسماعيل وهو ابن ثلاثين ومائة سنة دفن فيه مع أمّه (۵)، وقد ذكر المحبُّ الطبری: أن البلاطة الخضراء التی بالحجر قبر إسماعيل (۶).

كما دفنت فيه عذاری بنات إسماعيل، ودفن فيه جميع الأنبياء الذين جاءُوا حُجّاجاً فقبروا فيه.

۱- ۱ انظر تاج العروس للزبيدی ۳/ ۱۲۴، معجم البلدان ۲/ ۲۲۱ لياقوت الحموی وغيره ...

۲- ۲ مرآة الحرمين ۱: ۳۰۵.

۳- ۳ مرآة الحرمين ۱: ۳۰۵.

۴- ۴ وسائل الشيعة ۱۳: ۳۵۵، ۱۷۹۳۷/ ۱۰.

۵- ۵ وسائل الشيعة ۱۳: ۳۵۵.

۶- ۶ السيرة الحلبية ۱: ۱۵۴.

ص: ۱۰۸

فعن أبی عبد اللَّه الصادق علیه السلام قال: الحجر بیت إسماعیل، وفیه قبر هاجر، وقبر إسماعیل. ولما سأله الحلبی قال: ... وفیه قبور أنبیاء (۱).

وعن معاویة بن عمار قال: قال أبو عبد اللَّه علیه السلام: دفن فی الحجر مما یلی الرکن الثالث عذاری بنات إسماعیل (۲).

وعن ابن عباس: فی المسجد الحرام قبران لیس فیه غیرهما [ویبدو أنه یقصد من الأنبیاء] ... قبر إسماعیل فی الحجر، وقبر شعیب مقابل الحجر الأسود.

بینما روی محمد بن سابط عن النبیصلی الله علیه و آله و سلم أنه قال: کان النبیُّ من الأنبیاء إذا هلکت أمته لحق مکة فتعبّد بها هو ومَن آمن معه حتی یموتوا، فمات فیها نوح وهود وصالح وقبورهم بین زمزم والحِجر (۳).

وصف حجر إسماعیل وعمارته وذرعه وما کتب علیه:

ما وصفه السید الطباطبائی (۴):

وقبالة المیزاب حائط قوسی یسمی بالحطیم، وهو قوس من البناء طرفاه إلی زاویتی البیت الشمالیة والغربیة، ویبعدان عنهما مقدار مترین وثلاثة سانتیمترات، ویبلغ ارتفاعه متراً، وسمکه متراً ونصف متر؛ وهو مبطن بالرخام المنقوش، والمسافة بین منتصف هذا القوس من داخله إلی منتصف ضلع الکعبة ثمانیة أمتار وأربعة وأربعون سانتیمتراً.

والفضاء الواقع بین الحطیم وحائط البیت هو المسمی بحجر إسماعیل، وقد کان یدخل منه ثلاثة أمتار تقریباً فی الکعبة فی بناء إبراهیم، والباقی کان زریبة لغنم هاجر وولدها، ویقال: إن هاجر وإسماعیل مدفونان فی الحجر.

ومما ذکره الأزرقی فی وصف الحجر وذرعه (۵):

قال أبو الولید: الحجر مدور وهو ما بین الرکن الشامی والرکن الغربی،

۱- ۱ وسائل الشیعة ۱۳: ۱۵۴، ۱۷۹۳۷/ ۱۰، البحار ۱۲: ۱۱۳- ۱۱۷.

۲- ۲ وسائل الشیعة ۱۳: ۳۵۴، ۱۷۹۳۱/ ۴.

۳- ۳ أحکام القران ۲: ۱۳۰ للقرطبی.

۴- ۴ تفسیر المیزان ۴: ۳۶۰.

۵- ۵ أخبار مکة ۱: ۳۲۰- ۳۲۱.

ص: ۱۰۹

وأرضه مفروشة برخام، وهو مستو بالشاذروان الذی تحت إزار الكعبة، وعرضه من جدر الكعبة من تحت الميزاب إلی جدر الحجر سبعة عشر ذراعاً وثمانی أصابع، وذرع ما بين بابی الحجر عشرون ذراعاً وعرضه اثنان وعشرون ذراعاً، وذرع من داخله فی السماء ذراع وأربعة عشر اصبعاً، وذرعه مما يلی الباب الذی يلی المقام ذراع وعشر أصابع، وذرع جدر الحجر الغربی فی السماء ذراع وعشرون اصبعاً، وذرع طول جدر الحجر من خارج مما يلی الركن الشامی ذراع وستة عشر اصبعاً، وطوله من وسطه فی السماء ذراعان وثلاث أصابع الرخام من ذلك ذراع وأربع عشرة اصبعاً، وعرض الجدار ذراعان إلّااصبعين، والجدر ملبس رخاماً، وفی أعلاه فی وسط الجدار رخامة خضراء طولها ذراعان إلّا أصبعين وعرضها ذراع وثلاث أصابع قال أبو محمد الخزاعی: وقد حولت هذه الرخامة فجعلت تحت الميزاب مما يلی الكعبة. قال أبو الوليد: وذرع باب الحجر الذی يلی المشرق مما يلی المقام خمسة أذرع وثلاث أصابع، وفی عتبة هذا الباب حجران ارتفاعهما من بطن الحجر أربع أصابع، وذرع باب الحجر الذی يلی المغرب سبعة أذرع وفی عتبة بابه أربعة أحجار وارتفاعها من بطن الحجر أربع أصابع، ومخرج سيل ماء الحجر من وسطه من تحت الحجارة فی ثقب بين حجرين .....

قال أبو الوليد: وذرع تدوير الحجر من خارج أربعون ذراعاً وست أصابع، وذرع ما بين حدات الحجر من الشق الشرقی إلی الركن الذی فيه الحجر الأسود تسعة وعشرون ذراعاً وأربع عشرة اصبعاً، وذرع ما بين حدات الحجر من شقّ المغرب إلی حدّ الركن اليمانی اثنان وثلاثون ذراعاً، وذرع طوف واحد حول الكعبة مائة ذراع وثلاثة وعشرون ذراعاً وثنتا عشرة اصبعاً. وذرع طواف سبع حول الكعبة ثمانمائة وست وستون ذراعاً وعشرون اصبعاً.

ص: ۱۱۰

أما ما ذكرهصاحب كتاب مرآة الحرمين فى وصف الحِجر وما كتب عليه (۱):

وهو ما حطم من الكعبة وكسر- وهو بناء مستدير على شكل نصف دائرة ارتفاعه ۳۱ /۱ متر، وعرض جداره من الأعلى ۵۲ /۱ متر، ومن أسفل ۴۴ /۱ متر؛ وهذا البناء مغلف بالرخام وأحد طرفيه محاذ للركن الشامى والآخر محاذ للركن الغربى، وسعة الفتحة التى بين طرفه الشرقى وآخر الشاذروان ۳۰ /۲ متر، وسعة الفتحة الأخرى التى بين طرفه الغربى ونهاية الشاذروان ۲۳ /۲ متر، والمسافة التى بين طرفى نصف الدائرة ثمانية أمتار، ووراء الحطيم بمسافة اثنى عشر متراً المطاف. والأرض التى بين جدار الكعبة الشمالى وبين الحطيم هى المعروفة بالحجر، ويدخل اليها من الفتحتين السالفتين وهى مفروشة بالرخام والمسافة من منتصف جدار الكعبة الشمالى ووسط تجويف الحطيم من الداخل ۴۴ /۸ أمتار.

أما عمارته فبعد بناء الحجاج بزمن أجرى عليه تجديدٌ وتحسين ....

لما حج المنصور العباسى سنة ۱۴۰ ه، دعا زياد بن عبيد اللّه الحارثى أمير مكة وقال له: إنى رأيت الحِجر بادية حجارته فلا أصبحن حتى يستر جداره بالرخام فدعا زياد بالعمال فرخموه ليلا على ضوء المصابيح، ثم جدّد المهدى رخامه سنة ۱۶۱ ه. ولم يزل به حتى رث فقلع وألبس رخاماً جميلًا فى عهد المتوكل العباسى سنة ۲۴۱ ه. وعمر الحِجر المعتضد العباسى سنة ۲۸۳ ه.

والوزير جمال الدين المعروف بالجواد فى العقد الخامس بعد ۵۰۰ ه. وعمر قبله ايضاً وفى زمن الناصر العباسى سنة ۵۷۶ ه. وعمره المستنصر العباسى والملك المظفرصاحب اليمن، والملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ۷۲۰ ه. والأشرف شعبان سنة ۷۸۱ ه. وذلك بأمر الأميرين بركة وبرقوق مدبرى دولته، وعمره

۱- ۱ مرآة الحرمين ۱: ۲۶۶- ۳۰۶- ۳۰۷- ۳۰۸.

ص: ١١١

أيضا الظاهر برقوق سنة ٨٠١ ه- المكتوب على الحجر من الجهة الغربية تاريخ ٧٨٠- وثبت كثير من رخام الحجر بالجبس فى سنة ٨٢٢ ه. وأصلح قسم كبير من رخام الجدار وأرض الحجر سنة ٨٢٦ ه وذلك بأمر الأمير زين الدين مقبل القديرى، وعمره السلطان چقمق سنة ٨٤٣ ه. وقايتباى سنة ٨٨٠ ه.

والسلطان سليمان سنة ٩٤٠ ه. والسلطان محمد خان سنة ١٠٧٣ ه.

كما فيه رخامة خضراء تحت الميزاب يقال: إنها موضع قبر إسماعيل عليه السلام والناس يتحرون هذه الرخامة للصلاة عندها، وأكثر المؤرخين على أنه مدفون بالحجر ويؤيد ذلك قول ضِرار بن الخطاب:

لم يحظ بالحجر فيما قد مضى أحد من البرية لا عرب ولا عجم

بعد ابن هاجر إن اللَّه فضله إلّا زهير له التفضيل والكرم يعنى زهير بن الحارث بن أسد.

ما كتب على الحجر

ومما رأيته مكتوباً على حائط الحجر من الجهة الغربية تواريخ لمحمد بن قلاوون ولبرقوق ولچقمق ولقايتباى. ومكتوب على الحجر قبالة الميزاب من الأعلى:

نعم المطاف ترابه فى عين أرمد إثمد

ويطوفه بالليل والأ سحار قوم هجد

اللَّه بارك فرشه مع من بناه يخلد

زان المطاف بمرمر ملك الأنام محمد ثم تاريخ للسلطان سليمان سنة ٩٤٠ ه. وبعده

لا سيما من نسلهم سلطانناالمستمجد

ص: ١١٢

بزلالصارم سيفه للظى الصلال محمد الجلوس فى الحِجر والدعاء والصلاة فيه

اتخذت قريش من الحجر مكاناً يجلس فيه زعماؤها وأشـرافها دون غيرهم. كما أنه مكان لاستجابة الدعاء واستحبابه، والصلاة فيه. قال عطاء:

سمعتُ ابن عباس يقول: سـمعتُ أبى يقول: كان عبد المطلب أطولَ الناس قامة، وأحسنَ الناس وجهاً، ما رآه قط شـىء إلّاأحبه، وكان له مفرش فى الحجر لا يجلس عليه غيره ولا يجلس معه عليه أحد، وكان الندى من قريش حرب بن أمية فمن دونه يجلسون حوله دون المفرش، فجاء رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله و سلم وهو غلام يدرج؛ ليجلس على المفرش فجذبوه فبكى، فقال عبد المطلب، وذلك بعد ما حجب بصره: ما لابنى يبكى؟ قالوا له: إنه أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه، فقال عبد المطلب: دعوا ابنى فإنه يحسّ بشرف، أرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغ عربى قط.

وقـد جعل منه رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله و سـلم مجلساً له فى المسـجد. وروى أن النبيصـلى الله عليه و آله و سـلم كان إذا حاذى ميزاب الكعبة وهو فى الطواف يقول: «اللهم إنى أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب».

وعن عطـاء بن أبى رباح قال: من قام تحت مثعب (ميزاب) الكعبـة فـدعا اسـتجيب له، وخرج من ذنوبه كيوم ولـدته أمّه. ومثله عن ابن جريج عن عطاء.

عن ابن عباس قال:صـلوا فى مصـلى الأخيار، واشربوا من شراب الأبرار، فقيل له: ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب، وقيل ما شراب الأبرار قال: ماء زمزم.

... عن أيمن بن نايل، قال: رقدت فى الحجر، فركضنى سعيد بن جبير، وقال: مثلك يرقد فى هذا المكان (١).

١- ١ أخبار مكة ١: ٣١۴- ٣١٧.

ص: ۱۱۳

أما الصـلاة فيه فقـد ورد عن سـعيد بن جبير أن عائشة سألت النبيصـلى الله عليه و آله و سـلم أن يفتح لها الباب ليلًا [باب الكعبة]، فجاء عثمان بن طلحة بالمفتاح إلى رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، فقال: يا رسول اللَّه؛ إنها لم تفتح بليل قط، قال: فلا تفتحها، ثم قال لعائشة: ... فادخلى الحجر فصلى فيه (۱).

فى هـذه الروايةصـحة الصـلاة فى الكعبـة والحجر فرضاً أو نفلًا إلى أى جهـة فيها، وعليه الجمهور سـلفاً وخلفاً. وقال مالك: يصح فيها النفل المطلق دون الفرض والوتر وركعتى الفجر وركعتى الطواف؛ لأن النبيصـلى الله عليه و آله و سلم حينما دخلهاصلى ركعتين نافلةً، وقال الظاهرية: لا تصح فيها الصلاة مطلقاً. وعند الشافعية والحنفية استحبابصلاة الطواف فى الحجر.

وما عليه الإماميـة روايـة وفتوى أن الحِجر يعـدُّ أفضل موضع أو مكان فى المسـجد الحرام- بعد مقام إبراهيم- تؤدى فيه الصـلاة واجبة كانت أو مستحبة (۲).

بناء الحجر وما ورد فيه وما قيل:

لما قررت قريش إعادة بناء الكعبـة، وقف ابن وهب بن عمرو بن عائـذ- وهو خالُ والـد النبىّ، وكان شـريفاً ممـدوحاً- وقال: يا معشـر قريش لا تـدخلوا فى بنيانها من كسـبكم إلّاطيباً، لا يـدخل فيها مهر بغى، ولا بيع ربا، ولا مظلمـة أحد من الناس. وقال غيره مثل قوله .. فلما قصـرت عندهم الأموال الطيبة والهدايا والنذور، ولأنهم تجنبوا المال الخبيث، تركوا من جانب الحجر بعض البيت، وخلفوا الركنين الشـاميين من قواعـد إبراهيم عليه السـلام ... فأدخلت فى الحِجر أذرعاً من الكعبـة المشـرّفة، أعادها عبـد اللَّه بن الزبير حينما كان أميراً للحجاز بعد أن هدم الكعبة وبناها سنة ۶۴ ه (۳)، وكانت أعادته لتلك الأذرع استناداً

۱- ۱ أخبار مكة ۱: ۳۱۵.

۲- ۲ انظر الوسائل ۵: ۲۷۳- ۲۷۶.

۳- ۳ تاريخ الطبرى أحداث سنة ۶۴ ه/ مجلدص ۴۰۶- ۴۰۷.

ص: ۱۱۴

لروايـة نقلهـا عن خـالته أم المؤمنين عائشـة، قـال: أشـهد لسـمعتُ عائشـة تقول: قال رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله و سـلم: إن قومك استقصـروا فی بنـاء البيت، وعجزت بهم النفقـة، فتركوا فی الحجر منها أذرعاً، ولولا حداثـة قومك بالكفر لهـدمتُ الكعبـة وأعـدتُ ما تركوا منها .. فإن بـدا لقومك هدمها، فهلمی لأريك ما تركوا فی الحجر منها، فأراها قريباً من سـبعة أذرع. وقال ابن الزبير وأنا أجد ما أنفق ولستُ أخاف الناس. فلما هـدم الكعبـة وسوّاها بالأرض، كشف عن أساس إبراهيم فوجـدوه داخلًا فی الحجر نحواً من سـتة أذرع وشبر ... فـدعا ابن الزبير خمسـين رجلًا من وجوه الناس وأشـرافهم، وفی قول العـدول من أهل مكة، وأشـهدهم على ذلك الأساس ... فقال لهم ابن الزبير: اشهدوا، ثم وضع البناء على ذلك الأساس ...

وجعـل ميزابهـا يسـكب فی الحجر .... فلما طاف بالكعبـة اسـتلم الأركان الأربعـة جميعاً، وقال: إنما كان ترك اسـتلام هـذين الركنين الشامی والغربی؛ لأن البيت لم يكن تاماً. فلم يزل البيت على بناء ابن الزبير إذا طاف به الطائف استلم الأركان جميعاً.

ولمـا قتـل الحجاج ابن الزبير ودخل مكـة، كتب إلى عبـد الملك بن مروان: أن ابن الزبير زاد فی البيت ما ليس منه .. ويسـتأذنه فی ردِّ البيت على مـا كـان عليه فی الجاهليـة. فكتب إليه عبـد الملك بن مروان ... واهـدم ما كان زاد فيها من الحِجر أو ما زاد فيه من الحِجر فرده إلى بنائه، واكبسها به على ما كانت عليه.

فهـدم الحجاج منها سـتة أذرع وشبراً مما يلی الحجر، وبناها على أساس قريش الـذی كانت استقصـرت عليه، وكبسـها بما هـدم منها .. فكلّ شیء فيها اليوم بناء ابن الزبير إلّاالجدر الذی فی الحجر فإنه بناء الحجاج.

وبعـد أن أتمَّ الحجاج بناء الكعبـة، وفـد الحارث بن عبد اللَّه بن أبی ربيعة المخزومی على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: ما أظن أبا خبيب- يعنی

ص: ۱۱۵

ابن الزبیر– سمع عن عائشة ما کان یزعم أنه سمع منها فی أمر الکعبة. فقال الحارث: أنا سمعته من عائشة. قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: سمعتها تقول: قال لی رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم: إن قومک استقصروا فی بناء البیت. ولولا حداثة عهد قومک بالکفر، أعدتُ فیه ما ترکوا منه، فإن بدا لقومک أن یبنوه فهلمّی لأریک ما ترکوا منه، فأرها قریباً من سبعة أذرع ...

قال عبد الملک: أنت سمعتها تقول هذا، قال: نعم یا أمیر المؤمنین أنا سمعت هذا منها، قال فجعل ینکث منکساً بقضیب فی یده ساعة طویلة، ثم قال: وددت واللَّه أنی ترکت ابن الزبیر وما تحمل من ذلک (۱)، فإذن روایة ابن الزبیر وروایة الحارث روایة واحد ومتفقة علی الأذرع السبعة تقریباً. والحارث هذا کان والیاً علی البصرة من قبل ابن الزبیر، توفی فی الکوفة (۲) سنة ۷۲ ه.

ولما تولی هارون الرشید الخلافة سأل مالک بن أنس عن هدمها وردّها إلی بناء ابن الزبیر للأحادیث المذکورة فی الباب. فقال مالک: ناشدتُک اللَّهَ یا أمیر المؤمنین أن تجعل هذا البیت لعبةً للملوک لا یشاء أحد إلا نقضه وبناه، فتذهب هیبته منصدور الناس.

إذن: إن هذا التغییر فی بناء الکعبة (بناء قریش، بناء ابن الزبیر، بناء الحجاج) کان سبباً لانقسام المؤرخین والفقهاء حول حجر إسماعیل، وأنه دخل فیه شیءٌ من الکعبة ۵– ۷ أذرع علی اختلاف الروایات فی ذلک ونأتی الآن إلی ذکر أدلة القائلین بالنقص فی مساحة الکعبة وانضمام قسم منها إلی الحِجر.

۱– روایة عائشة تعدُّ أقوی أدلتهم، وقد اختلفت واضطربت ألفاظها، ففی روایة أن النقص کان ستّ أذرع وشیئاً، وفی روایة أخری أن النقص کان ستّ أذرع، وفی روایة ثالثة أن النقص کان ستّ أذرع وشبراً، وفی روایة رابعة أنه قریب من سبع أذرع، وفی خامسة سبع أذرع، وهناک روایة بأنه خمس أذرع کما

۱– ۱صحیح مسلم ۹: ۹۳– ۹۴، تفسیر القرآن العظیم لابن کثیر فی تفسیر الآیة ۱۲۸ من سورة البقرة.

۲– ۲ مختصر تاریخ دمشق فی ترجمة الحارث بن عبد اللَّه بن أبی ربیعة المخزومی. الکامل لابن الاثیر، أحداث سنة ۷۲ ه.

ص: ۱۱۶

أن بعضـها مطلق وآخر مقید، ویمکن علاجه بحمل المطلق علی المقید .. وفی روایة أن ابن الزبیر سـمع عن الأسود ولم یسـمع مباشرة عن عائشة کما هی روایة البخاری (۱).

حـدثنا عبیـدُ اللَّه بن موسـی، عن إسـرائیل، عن أبی إسـحاق، عن الأـسود قـال: قـال لی ابن الزبیر: کانت عائشـة تُسِرُّ إلیک کثیراً، فما حدثتک فی الکعبة؟

قلتُ: قـالت لی: قـال النبیُّصـلی الله علیه و آله و سـلم: (یا عائشـةُ لولا قومُکِ حـدیثٌ عهـدهم- قال ابن الزبیر- بکفرٍ، لنقضتُ الکعبـة، فجعلتُ لها بابین: باب یدخل الناس وبابٌ یخرجون).

روایة مسلم (۲):

حـدّثنا هنَّادُ بْنُ السَّرِیِّ حَـدَّثَنَا ابْنُ أَبِی زَائِـدَةَ أَخْبَرَنِی ابْنُ أَبِی سُـلَیمانَ عَنْ عَطَاء قَالَ لَمَّا احْتَرَقَ الْبَیْتُ زَمَنَ یَزِیـدَ بْنِ مُعَاوِیَـةَ حِینَ غَزَاهَا أَهْلُ الشَّام فِکَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا کَانَ تَرَکَه ابْنُ الزُّبَیْرِ حَتَّی قَدِمَ النَّاسُ الْمَوْسِمَ یُرِیـدُ أَنْ یُجَرِّئَهُمْ أَوْ یُحَرِّبَهُمْ عَلَی أهْلِ الشَّام فَلَمَّاصَـدَرَالنَّاسُ قَالَ یا أَیُّهَا النَّاسُ أَشِیرُوا عَلَیَّ فِی الْکَعْبَةِ أَنْقُضُهَا ثُمَّ أَبْنِی بِنَاءَهَا أوْ أُصلِحُ مَا وَهَی مِنْهَا قَالَ ابْنُ عَبَّاس فَانِّی قَدْ فُرِقَ لِی رَأْیٌ فِیهَا أرَی أنْ تُصْـلِحَ مَا وَهَی مِنْهَا وتَدَعَ بَیْتاً أَسْـلَمَ النَّاسُ عَلَیْهِ وَأَحْجَاراً أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَیْهَا وَبُعِثَ عَلَیْهَا و النَّبِیُّصلی الله علیه و آله و سلم فَقَالَ ابْنُ الزُّبَیْرِ لَوْ کَانَ أَحَدُکُمُ احْتَرَقَ بَیْتُهُ مَا رَضِـیَ حَتَّی یُجِدَّهُ فَکَیْفَ بَیْتُ رَبِّکُمْ إنِّی مُسْتَخیرٌ رَبِّی ثَلَاثاً ثُمَّ عَازِمٌ عَلَی أَمْرِی فَلَّما مَضَـی الثَّلَاثُ أَجْمَعَ رَأْیَهُ عَلَی أنْ یَنْقضَـهَا فَتَحَامَاهُ النَّاسُ أنْ یَنْزِلَ بأَوَّلِ النَّاسِ یَصْـعَدُ فِیهِ أَمْرٌ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّیصَـعِدَهُ رَجُلٌ فَأَلْقَی مِنْهُ حِجَارَةً فَلَمَّا لَمْ یَرَهُ النَّاسُ أَصابَهُ شَـیْءٌ تَتَابَعُوا فَنَقَضُوهُ حَتَّی بَلَغُوا بِهِ الْأَرْضَ فَجَعَلَ ابْنُ الزُّبَیْرِ أَعْمِدَةً فَسَتَّرَ عَلَیْهَاالسُّتُورَ حَتَّی ارْتَفَعَ بِنَاؤُهُ وَقَالَ ابْنُ الزُّبَیْرِ إنِّی سَـمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ إنَّ النَّبِیَّصلی الله علیه و آله و سلم قَالَ

لَوْلَا أَنَّ النَّاسَ حَدِیثٌ عَهْدُهُمْ بِکُفْرٍ وَلَیْسَ عِنْدِی مِنَ النُفَقَةِ

۱- ۱ البخاری ۲: ۵۷۳- ۵۷۴.

۲- ۲ روایة مسلم ۹: ۸۸- ۹۷، ذکرت عدّة روایات بهذا الخصوص.

ص: ۱۱۷

مَايُقَوِّی عَلَی بِنَائِهِ لَكُنْتُ أَدْخَلْتُ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ خَمْسَ أَذْرُعٍ وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابَاً يَدْخُلُ النَّاسُ مِنْهُ وَبَابَاً يَخْرُجُونَ مِنْهُ قَالَ فَأَنَا الْيَوْمَ أَجِدُ مَا أُنْفِقُ وَلَسْتُ أَخَافُ النَّاسَ قَالَ فَزَادَ فِيهِ خَمْسَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ حَتَّی أَبْدَی أُسّاً نَظَرَ النَّاسُ الَيْه فَبَنَی عَلَيْه الْبِنَاءَ وَكَانَ طُولُ الكعبة ثمانی عشرةَ ذراعاً فلمّا زاد فيه استقصَره فزادَ فی طوله عشرَ أذرُع وجعل له بابين أحدُهما يُدخَلُ منه والآخر يُخرجُ منه، فلما قُتل ابنُ الزبير كتب الحجّاجُ إلی عبد الملك بن مروان يُخبِرهُ بذلك ويُخبِره أنّ ابن الزبير قد وَضع البناءَ علی أسٍّ نظر إليه العُدول من أهل مكة، فكتب إليه عبد الملك إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير فی شیء، أما ما زاد فی طوله فأقرَه وأما ما زاد فيه من الحِجَر فردّه إلی بنائه وسدّ الباب الذی فتحه. فنقضهُ وأعاده إلی بنائه.

أقوال العلماء فی بناء الحِجر:

لقد رأيتُ بعض العلماء قد عبر عن رأيه فيما أستطيع تسميته بقصة الحِجر أو مشكلة الحِجر- حتی إن بعضهم قد أعرب عن أسفه للذی فعله الحجاج بن يوسف الثقفی فهذا ابن كثير يقول (۱):

وقد كانت السنة إقراراً لما فعله عبد اللَّه بن الزبير، لأنه هو الذی ودّه رسولُ اللَّهصلی الله عليه و آله و سلم، ولكن خشی أن تنكره قلوب بعض الناس لحداثة عهدهم بالإسلام، وقرب عهدهم من الكفر، ولكن خفيت هذهِ السنة علی عبد الملك بن مروان ولهذا لما تحقّق ذلك عن عائشة أنها روت ذلك عن رسول اللَّهصلی الله عليه و آله و سلم، قال:

وددنا أنا تركناه وما تولی. مستدلًا ابن كثير برواية مسلم التی رواها الحارث بن عبد اللَّه.

وقد روی مسلم روايتين عن الحارث، فی الأولی أن الحارث وفد علی الملك بن مروان ونقل الرواية عن عائشة، وفی الثانية أنه رواها حينما التقاه فی

۱- ۱ فی تفسير الآية ۱۲۸ من سورة البقرة.

ص: ۱۱۸

الطواف.

ثم قال ابن كثير: فهـذا الحديث كالمقطوع به إلى عائشة؛ لأنه قد روى عنها من طرقصـحيحة متعددة عن الأسود بن يزيد، والحارث بن عبد اللَّه بن أبى ربيعة، وعبد اللَّه بن الزبير، وعبد اللَّه بن محمد بن أبى بكر، وعروة بن الزبير. فدلّ هذا عليصواب ما فعله ابن الزبير، فلو ترك لكان جيـداً، ولكن بعـد ما رجع الأمر إلى هذا الحال فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله كما ذكر عن أمير المؤمنين هارون الرشـيد أو أبيه المهـدى، أنه سـأل الإمام مالكاً عن هـدم الكعبـة وردّها إلى ما فعله ابن الزبير، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبـة اللَّه ملعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلّاهدمها، فترك ذلك الرشـيد، نقله عياض والنووى، ولا تزال- واللَّه أعلم- إلى آخر الزمان. انتهى ما قاله ابن كثير.

ص ۱۸۷- ۱۸۸ ج ۱ تفسير ابن كثير.

أما ما قاله الشيخ منصور على ناصفصاحب التاج الجامع للأصول (۱):

... وقـد تمنى النبيصـلى الله عليه و آله و سـلم لو تمكن من هـدمها لبناهـا على قواعـد إبراهيم، وأدخـل فيها الحِجر ...، وفعل ذلك بن الزبير، ولكن بالأسف لم يبقه الحجاج لما وقع بينهما.

وقد استدل أيضاً برواية مسلم: أن النبيَّصلى الله عليه و آله و سلم قال لعائشة: إن بدا لقومك ...

وبما ذكر عن عائشة، قالت سمعت رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم يقول: لولا أن قومك ...

ولأدخلت فيها من الحجر.

انتهى ما قاله ونقله الشيخ ناصف.

والذى يراه الشيخ ناصف أن الحجر كلّه من البيت فقال: الجّدر- كالبدر- هو حجر إسماعيل عليه السلام.

وأما قولهصلى الله عليه و آله و سلم خمس أذرع وهذا تقريبى فإنه لم يكن عليه جدار فى زمن

۱- ۱ التاج الجامع للاصول .. كتاب الحج.

ص: ۱۱۹

النبیصلی الله علیه و آله و سلم وأبی بکر، ولکن أحاطه عمر، وهو من البیت لتصریح أحادیث الباب ولحدیث الشیخین: الحجر من البیت فلابدّ للطائف من المرور حوله، وعلیه جمیع المحدثین والفقهاء. کما أنه یعبر عن أسفه لأن الحجاج هدّم ما بناه ابن الزبیر الذی أدخل الحجر فی الکعبة.

وأما قوله: إن الجدار بناه عمر فهذا مردود، لعدم وجود دلیل علی ذلک، ولأنه یتعارض مع ماصرحت به أکثر المصادر إن لم یکن جمیعها علی أن الجدار بناه إسماعیل بعد دفن أمّه هاجر، وسمّی من ذلک الوقت بالحجر وعلیه العمل والسیرة، حیث أدخله رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم بالطواف، ثم هل غاب عنصاحب التاج ما ذکره فی تاجه من روایة عائشة وما جاء فیها حول الحجر؟! اللهم إلّاما قد توهمه مما نقله المهلب عن أبی زید أن حائط الحجر لم یکن مبنیاً فی زمن النبیصلی الله علیه و آله و سلم وأبی بکر حتی کان عمر فبناه ووسعه قطعاً للشک وأن الصلاة قبل ذلک کانت حول البیت، وتعقیباً علی هذا قال الزرقانی فی شرحه علی الموطإ بعد ذکره لما نقله المهلب، قال: ففیه نظر. وقد أشار المهلب إلی أن عهدته فی ذلک ما فی البخاری لم یکن حول البیت حائط، کانوا یصلون حول البیت حتی کان عمر فبنی حوله حائطاً جدره قصیر فبناه ابن الزبیر انتهی. وهذا إنما هو فی حائط المسجد لا فی الحجر، فدخل الوهم علی قائله من هنا، ولم یزل الحجر موجوداً فی زمن النبیصلی الله علیه و آله و سلم کما یصرح به کثیر من الأحادیث الصحیحة (۱).

أما ما قاله الزرقانی من شرحه علی الموطإ، فقد نقل عن ابن أبی حاتم عن ابن عمر یظهر فیها أن إبراهیم أدخل الحجر فی البیت وهذا أمر یثیر الاستغراب، فالحجر لم یکن علی عهدهصلوات اللَّه علیه وإنما أوجده إسماعیل بعده، وکل ما کان کما قلنا عریش لهاجر. فقد قال:

ولابن حاتم عن ابن عمر أن البیت رفع فی الطوفان فکان الأنبیاء بعد ذلک

۱- ۱ الزرقانی فی شرحه علی الموطإ.

ص: ۱۲۰

يحجونه، ولا يعلمون مكانه حتى بوّأه اللَّه لإبراهيم فبناه على أساس آدم ....

وأدخل الحجر فى البيت ثم راح فى شرحه يذكر بناء قريش فيقول ..... ونقصوا من طولها ومن عرضها أذرعاً أدخلوها فى الحجر لضيق النفقة بهم، ...

وأما عن بناء ابن الزبير ... وبناها على قواعد إبراهيم وأعاد طولها على ما هو عليه الآن، وأدخل من الحجر تلك الأذرع .. حتى كتب عبد الملك إلى الحجاج «أما ما زاده فى طولها فأقره وأما ما زاد فى الحجر فرّده إلى بنائه. ثم ندم على إذنه للحجاج فى هدمها ولعن الحجاج. وبقى بناء الحجاج إلى الآن (۱).

وقد ذكر النووى شارحصحيح مسلم (۲) شرحاً وافياً مفيداً بدأه بالرواية العامية عن عائشة التى تكاد أن تكون الوحيدة فى موضوع نقصان الكعبة، ودخول شيء من مساحتها يقدره بنحو ۵- ۷ أذرع فى الحِجر .. ورأيت أن أنقل نصّ هذا الشرح أو بعضه الذى يخصّ الموضوع لما فيه من فوائد تأريخية ونكات فقهية ولغوية. ولأنه يبين وجهة نظر هذا الفريق. قولهصلى الله عليه و آله و سلم (لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم فإن قريشاً حين بنت البيت استقصرت ولجعلت لها خلفاً) وفى الرواية الأخرى اقتصروا عن قواعد إبراهيم وفى الأخرى فإن قريشاً اقتصرتها وفى الأخرى استقصروا من بنيان البيت وفى الأخرى قصروا فى البناء وفى الأخرى قصرت بهم النفقة. قال العلماء هذه الروايات كلها بمعنى واحد ومعنى استقصرت قصرت عن تمام بنائها، واقتصرت على هذا القدر لقصور النفقة بهم عن تمامها وفى هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام منها إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدىء بالأهم لأن النبيصلى الله عليه و آله و سلم أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد ابراهيم عليه السلام ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه وهى خوف فتنة بعض من أسلم قريباً وذلك لما كانوا يعتقدونه

۱- ۱ الزرقانى فى شرحه على الموطإ ۲: ۲۹۷- ۳۰۱.

۲- ۲صحيح مسلم ۹: ۹۵ ...

ص: ۱۲۱

من فضل الكعبـة فيرون تغييرها عظيماً فتركهاصلى الله عليه و آله و سلم ومنها فكر ولى الأمر فى مصالـح رعيته واجتنابه ما يخاف منه تولد ضـرر عليهم فى دين أو دنيا إلّاالأمور الشـرعية كأخذ الزكاة وإقامة الحدود ونحو ذلك ومنها تألف قلوب الرعية وحسن حياطتهم وأن لا ـ ينفروا ولا ـ يتعرض لمـا يخاف تنفيرهم بسـببه مالم يكن فيه ترك أمر شـرعى كما سـبق. قولهصـلى الله عليه و آله و سـلم (لولا حـدثان قومـك) هو بكسـر الحـاء وإسـكان الـدال أى قرب عهـدهم بالكفر واللَّه أعلم. قوله (فقال عبـد اللَّه بن عمر لئن كانت عائشـة سمعت هـذا) قـال القاضـى ليس هـذا اللفـظ من ابن عمر على سبيل التضـعيف لروايتها والتشـكيك فيصـدقها وحفظها فقـد كانت من الحفظ والضـبط بحيث لا يستراب فى حديثها ولا فيما تنقله ولكن كثيراً ما يقع فى كلام العربصورة التشكيك والتقرير المراد به اليقين كقـوله تعـالى «وإن أدرى لعله فتنـة لكم ومتـاع إلى حين» وقوله تعـالى «قـل إن ضـللت فإنمـا أضـل على نفسـى وإن اهتـديت» الآيـة. قولهصـلى الله عليه و آله و سـلم (لولا أن قومـك حـديثو عهـد بجاهليـة أو قال بكفر لأنفقت كنز الكعبة فى سبيل اللَّه) فيه دليل لتقديم أهم المصالح عند تعذر جميعها كما سـبق إيضاحه فى أول الحديث وفيه دليل لجواز انفاق كنز الكعبة ونذورها الفاضـلة عن مصالحها فى سبيل اللَّه لكن جاء فى روايـة لأنفقت كنز الكعبـة فى بنائها وبناؤها من سبيل اللَّه فلعله المراد بقوله فى الروايـة الأولى فى سبيل اللَّه واللَّه أعلم. ومذهبنا أن الفاضل من وقف مسـجد أو غيره لا يصـرف فى مصالح مسجد آخر ولا غيره بل يحفظ دائماً للمكان الموقوف عليه الذى فضل منه فربما احتاج اليه واللَّه أعلم.

قولهصـلى الله عليه و آله و سـلم (ولأدخلت فيها من الحجر) وفى رواية وزدت فيها سـتة أذرع من الحجر فإن قريشاً اقتصرتها حين بنت الكعبة وفى رواية خمس اذرع وفى رواية قريباً من سـبع أذرع وفى رواية قالت عائشة سألت رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله و سـلم عن الجدار أمن البيت هو قال نعم وفى رواية لولا أن قومك حديث عهدهم فى الجاهلية

ص: ۱۲۲

فأخاف أن تنكره قلوبهم لنظرت أن أدخل الجدر فى البيت.

ووقع فى رواية ستة أذرع بالهاء وفى رواية خمس وفى رواية قريباً من سبع بحذف الهاء وكلاهماصحيح ففى الذراع لغتان مشهورتان التذكير والتأنيث أفصح.

أما ما قاله عبد الملك بن مروان بعد سماعه قول الحارث فقد ذكر النووى:

قوله (إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير فى شيء) يريد بذلك سبه وعيب فعله.

يقال لطخته أى رميته بأمر قبيح. قوله (وفد الحرث بن عبد اللّه على عبد الملك بن مروان فى خلافته) هكذا هو فى جميع النسخ الحرث بن عبد اللّه وليس فى شيء منها خلاف ونسخ بلادنا هى رواية عبد الغفار بن الفارسى وادعى القاضى عياض أنه وقع هكذا لجميع الرواة سوى الفارسى فإن فى روايته الحرث بن عبد الأعلى قال وهو خطأ بل الصواب الحرث بن عبد اللّه وهذا الذى نقله عن رواية الفارسى غير مقبول بل الصواب أنها كرواية غيره الحرث بن عبد اللّه ولعله وقع للقاضى نسخة عن الفارسى فيها هذه اللفظة مصحفة على الفارسى لا من الفارسى واللّه أعلم. قوله (ما أظن أبا خبيب) هو بضم الخاء المعجمة وسبق بيانه مرات. (فقال الحرث بن عبد اللّه بن أبى ربيعة لا ـ تقل هذا يا أمير المؤمنين فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث) هذا فيه الانتصار للمظلوم ورد الغيبة وتصديق الصادق إذا كذبه إنسان والحرث هذا تابعى وهو الحرث بن عبد اللّه بن عياش بن أبى ربيعة. قولها (سألت رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم عن الجدر) وفى آخر الحديث (لنظرت أن أدخل الجدر فى البيت) هو بفتح الجيم واسكان الدال المهملة وهو الحجر وسبق بيان حكمه. قولهصلى الله عليه و آله و سلم فى حديث سعيد بن منصور (ولولا أن قومك حديث عهدهم فى الجاهلية) هكذا هو فى جميع النسخ فى الجاهلية وهو بمعنى الجاهلية كما فى سائر الروايات واللّه أعلم.

ص: ۱۲۳

ثم راح النووی یواصل حدیثه: قولهصلی الله علیه و آله و سلم (لولا حداثة عهدهم) هو بفتح الحاء أی قربه. قولهصلی الله علیه و آله و سلم (فإن بدا لقومک) هو بغیر همزة یقال بدا له فی الأمر بداء بالمد أی حدث له فیه رأی لم یکن وهو ذو بدوات أی یتغیر رأیه والبداء محال علی اللّه تعالی بخلاف النسخ. قوله (فهلمی لأریک) هذا جار علی إحدی اللغتین فی هلم قال الجوهری تقول هلم یا رجل بفتح المیم بمعنی تعال قال الخلیلی أصله لم من قولهم لم اللّه شعثه أی جمعه کأنه أراد لم نفسک الینا أقرب وها للتنبیه وحذفت ألفها لکثرة الاستعمال وجعلا اسماً واحداً یستوی فیه الواحد والاثنان والجمع والمؤنث فیقال فی الجماعة هلم هذه لغة أهل الحجاز قال اللّه تعالی «والقائلین لأخوانهم هلم إلینا» وأهل نجد یصرفونها فیقولون للاثنین هلما» وللجمع هلموا وللمرأة هلمی وللنساء هلممن والأول أفصح هذا کلام الجوهری. قولهصلی الله علیه و آله و سلم (حتی إذا کاد أن یدخل) هکذا هو فی النسخ کلها کاد أن یدخل وفیه حجة لجواز دخول أن بعد کاد وقد کثر ذلک وهی لغة فصیحة ولکن الأشهر عدمه قوله (فنکت ساعة بعصاه) أی بحث بطرفها فی الأرض وهذه عادة من تفکر فی أمرمهم. قوله.

وأما ما ذکرهصاحب التاج الجامع للأصول فی أحادیث الرسول، الشیخ ناصف (۱) فعن عائشة أیضاً: کنتُ أُحب أن أدخل البیت، وأُصلی فیه، فأخذ رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم بیدی فأدخلنی فی الحجر فقال:صلی فی الحجر إن أردت دخول البیت، فإنما هو قطعة من البیت. فإن قومک اقتصروا حین بنوا الکعبة فأخرجوه من البیت. رواه أصحاب السنن وصحّحه الترمذی.

وذکر الشیخ ناصف فی هامش هذا الحدیث ما نصه «الحِجر الجزء المتصل بالکعبة من الجهة الشمالیة المحیط به جدار قصیر وهو من الکعبة، وترکته قریش لقلة النفقة التی أعدوها لبنائها من کسبهم الطیب، فإن أبا وهب المخزومی قال

۱- ۱ التاج الجامع ۲: ۱۷۸.

ص: ۱۲۴

لقریش: لا تدخلوا فیه من کسبکم إلّاطیباً ولا تدخلوا فیه مهر بغی ولا بیع ربا ولا مظلمة أحد من الناس.

وعنها: قالت: سألت رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم عن الجَدْر أمِنَ البیت هو؟ قال: نعم.

قلت فلم لم یدخلوه فی البیت؟ قال: إن قومکِ قصّرت بهم النفقة. قلتُ: فما شأن بابه مرتفعاً؟ قال: فعل ذلک قومُکِ لیُدخلوا من شاءُوا ویمنعوا من شاءُوا، ولولا أنّ قومک حدیث عهدُهم فی الجاهلیة فأخافُ أن تنکر قلوبُهم لنظرتُ أن أُدخل الجَدْرَ فی البیت وأن أُلزِقَ بابَه بالأرض .. وفی روایة: لولا أن قومک حدیثو عهدٍ بشرکٍ لهدَمتُ الکعبة فألزَقتُها بالأرض، وجعلتُ لها بابین باباً شرقیاً وباباً غربیاً، بابٌ یَدخلون منه وبابٌ یخرجون منه، وزدتُ فیها ستة أذرُع من الحِجر فإن قریشاً اقتصرتها حیث بنت الکعبة.

رواه الشیخان والترمذی.

أما ما ذکره السید الطباطبائی فی تفسیر المیزان (۱):

ما زالت الکعبة علی بناء إبراهیم .... وقبل البعثة بخمس سنین هدم السیل الکعبة فاقتسمت الطوائف العمل لبنائها ... وکانت النفقة قد بهظتهم فقصروا بناءَها علی ما هی علیه الآن، وقد بقی بعض ساحته خارج البناء من طرف الحجر حجر إسماعیل لاستصغارهم البناء.

وکان البناء علی هذا الحال حتی تسلط عبد اللَّه بن الزبیر علی الحجاز فی عهد یزید بن معاویة فحاربه الحصین قائد یزید بمکة، وأصاب الکعبة بالمنجنیق فانهدمت واحترقت کسوتها وبعض أخشابها، ثم انکشف عنها لموت یزید، فرأی ابن الزبیر أن یهدم الکعبة ویعید بناءَها فأتی لها بالجص النقی من الیمین، وبناها به، وأدخل الحجر فی البیت، ... وکان فراغه من بنائها ۱۷ رجب سنة ۶۴ هجریة.

۱- ۱ تفسیر المیزان ۴: ۳۵۹.

ص: ۱۲۵

ولما تولى عبد الملک بن مروان الخلافة بعث الحجاج بن يوسف قائده فحارب ابن الزبير حتى غلبه فقتله، ودخل البيت فأخبر عبد الملك بما أحدثه ابن الزبير فی الكعبة، فأمره بإرجاعها إلى شكلها الأول، فهدم الحجاج من جانبها الشمالی ستة أذرع وشبراً، وبنى ذلك الجدار على أساس قريش، ...

أقول- وبعد ما ذكرت كلّ ما توفرتُ عليه مما قيل عن الحِجر- لابدّ لی من تسجيل بعض الملاحظات حول النقص وبعض مضمون الرواية العامية الرئيسية التی روتها أمُّ المؤمنين عائشة وتفردت بها عن رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم دون زوجاته الأخريات ودون أهل بيته وأصحابه. والملاحظات هی:

أن النقص أمر اتفقت عليه أغلب المصادر التأريخية التی تيسرت لی، واتفقت كلمتها- أيضاً- على أنه كان بسبب نفاد النفقة الطيبة لقريش، ولكنها- أی المصادر- اختلفت فی قدر هذا النقص بين ۵- ۷ أذرع. كما أن هذا النقص لم يكن أمراً يعلم به الخاصة من زعماء قريش أو أفراد منها كما يتّضح من كتب التأريخ، بل كان على مسمع ومرءى من جميع المشاركين فی إعادة بناء الكعبة، حيث شارك الجميع ومن كل القبائل العربية فی بناء الكعبة والتشرف به، وهو أمر ثابت لا يمكن الاختلاف فيه، وقد تداولت قريش أمر النقص هذا وتدارسته وتشاورت فيه طويلًا فأقرت أخيراً بعجزها أمام نفاد النفقة، وأجمعت أمرها أخيراً على أن يقصروا عن القواعد ويحجروا ما يقدرون عليه من بناء البيت، وهو ما يسمى بالشاذروان، ويتركوا بقية البيت فی الحِجر وبنوا فی بطن الكعبة أساساً يبنون عليه من شقّ الحجر، وتركوا من ورائه فناء (بناء) البيت فی الحجر وبنوا على ذلك. وهنا، بعضهم قال: إن قريشاً اكتفت بالحائط الذی بناه إسماعيل فيطوف الناس من ورائه. وبعضهم قال: إن قريشاً حجرت على هذهِ الأذرع كما حجرت على بقية ما بقی من القواعد حوالی الكعبة (الشاذروان) لتعلم الناس أن

ص: ۱۲۶

هذا من البیت. وهذا مضمون ما نقلته السیرة الحلبیة والأزرقی فی أخبار مکة (۱) وهو أمر لو کان لما وقع الخلاف لا فی عدد الأذرع ولا فی کونها من البیت أو لا.

لأن حالها حال الشاذروان الذی بعد أن حجرت قریش علیه لم یقع الخلاف فیه وفی کونه من البیت بل اتفقت کلمة الجمیع علی أنّه من البیت ولم أجد مخالفاً فی ذلک .. إذن فالنفقة الطیبة التی جمعتها قریش نفدت. ولم یکن بإمکان قریش جمع غیرها لکثرة المال الحرام ولأن قریش علی لسان زعمائها رفضت أن تدخل المال الحرام فی بناء الکعبة، لهذا فضلت اختصار بناء الکعبة حتی لا تدخل فی بنائها إلّا الحلال من المال فالنقص أمر کان یعلمه إن لم یکن الجمیع فلا أقل القسم الأکبر منهم، وقد بقی أکثرهم علی قید الحیاة وآمنوا برسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم وأسلموا. أرید من هذا کلّه أن أصل إلی أن ما ورد فی روایة أم المؤمنین من تبریر لعدم تمکن رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم من إعادة بناء الکعبة علی قواعد إبراهیم (فأخاف أن تُنکر قلوبهم لنظرتُ أن أدخل الجدر فی البیت ...) أو (لولا حداثة قومک بالکفر لنقضت الکعبة ولجعلتها علی أساس إبراهیم ..) ...

فهذا الخوف والخشیة تستدعی الانتباه والوقوف عندها، وإنی أراها طارئةً علی الروایة أو قد تکون من زیادة الرواة أو لأشیاء أخری ... لأسباب کثیرة، منها.

۱- کما قلنا: إن النقص أمر یعلمه الجمیع، أی الذین حضروا إعادة بناء الکعبة. لهذا فإعادة بناء الکعبة علی قواعد إبراهیم- إن توفرت النفقة الطیبة التی کانت سبباً فی نقصها- هذهِ الإعادة لا تثیر غضباً من أحد فضلًا عن الردة.

خاصة وقد وجد الصادق الأمین، والنبی الرسولصلی الله علیه و آله و سلم الذی لا یُرید إلّا الإصلاح، وإعادة الکعبة علی وضعها السابق قبل بناء قریش، وهو بهذا لم یأت بشیء جدید غریب علیهم أبداً ... فلا أری عمله ذاک إلّاأن یکسب رضاهم

۱- ۱ أخبار مکة للازرقی ۱: ۱۶۳. السیرة الحلبیة مجلد ۱: ۱۴۴ فی بناء الکعبة.

ص: ۱۲۷

وموافقتهم وترحيبهم به؛ لأنه لم يحقّق أمنيتهصلى الله عليه و آله و سلم فقط بل أمنيتهم التى حالت النفقة دون تحقيقها، وقد حقّقها الرسولصلى الله عليه و آله و سلم.

ثم لو قلنا، ليست الخشية من هؤلاء، بل ممن دخلوا الإسلام حديثاً ولم يبلغ الإيمان فى نفوسهم درجة عالية تمنعهم من التمرد والردّة والعصيان. أقول: إن شوكة الإسلام- بعد فتح مكة بالذات- كانت قوية، وأن الدولة الإسلامية عاشت أعظم مراحلها قدرة وثباتاً. ومهما بلغ عدد هذا الصنف من الناس حتى إذا أضفنا إليه المنافقين الذين لم يتركوا وسيلة إلّاسلكوها للكيد للإسلام والمسلمين ومنذاللحظات الأولى لبزوغ شمس الإسلام، فقدبقيتمسيرة الإسلام تسير بثبات وقوة. أقول فمهما بلغ عدد هؤلاء فهم لا يشكلون خطراً كخطر قبائل هوازن وأعوانهم الذين ذاقوا مرارة الهزيمة فى حنين على يد المسلمين.

۲- ثم لو أخذنا بما ذكرهصاحب السيرة الحلبية (۱) (... ويتركوا بقيته فى الحِجر عليه جدار مدار يطوف الناس من ورائه) إذن فهو أمر ظاهر، يراه الجميع، فعلى فرضصحة هذا القول، فلماذا بعد الخشية. أذرع واضحة المعالم أدخلت من البيت فى الحجر، ويريد رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم إرجاعها للبيت، فهل فى هذا ضرر أو يشكل خطراً على مستقبل الدعوة الإسلامية؟

۳- ثم هل ننسى حكمة رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم وقدرته فى إقناع قومه- على فرض وجود المعارضة- قبل تهديم الكعبة أو بعضها كما فعل غيره زمن بناء قريش لها؟ وهل حكمته- معاذ اللّه- بأقل من حكمة الوليد بن المغيرة أو أبى لهب أو غيرهما من زعماء قريش ..؟ كيف يكون هذا. وقد شهد بحكمته الجميع، وبها حقنت دماؤهم فى قصة الحجر الأسود .. وفيصلح الحديبية وغيرها الكثير ...

وكل ما كانوا يخشونه هو نزول العذاب بهم إذا ما قاموا بتهديم أحجار الكعبة.

فإذا رأوا أن رسول السماء هو الذى يهدمها ويعيد بناءها بيده المباركة من جديد

۱- ۱ السيرة الحلبية ۱: ۱۴۴- بناء الكعبة.

ص: ۱۲۸

فهذا مدعاة للاطمئنان وعدم الخوف.

۴- ثم أليس هو الذى أطاح بآلهتهم ولم يخشَ شيئاً، وهو الذى دخل المسجد الحرام وهدم أصنامهم، ولم يترك حتيصور الملائكة والأنبياء وإبراهيم الخليل وهو يستقسم بالأزلام- وكانت محطّ تقديسهم- بعد أن أرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب فجاء بها- على مرءى ومسمع من قريش- وبماء من زمزم وبثوب ووضعها وطمسها فى الماء، وهو يقول: قاتلهم اللّهُ جعلوه يستقسم بالأزلام، ما لإبراهيم والأزلام (۱)؟ إلى غير ذلك مما فعله فى مقدساتهم ومعبوداتهم ولم يخش أحداً. وكانت تلك الأوثان يعبدونها من دون اللّه ويدافعون عنها وعن بقائها بالأموال والأنفس وبكلّ ما أوتوا من قوة وسلطان، والقرآن يشهد بدفاعهم من أجل معبوداتهم وآلهتهم التى يزعمون:

«ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ...» (۲). «اجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب» (۳)

. ولم يذكر لنا التأريخ بأنهم عبدوا الكعبة. نعم احترموها قدسوها، تشرفوا بخدمتها، بقيت رمزاً لهم، ينتفعون منها .. لكنها على كل حال لم تصل إلى درجة العبادة أبداً، فلماذا الخشية إذن؟.

إنى أقف مما ورد فى الرواية هذهِ من التبرير موقف المتسائِل المستغرب!

هذا وأن هذهِ الخشية المدعاة وأمنيتهصلى الله عليه و آله و سلم تلك فى إعادة البناء. واهتمامه بهذا النقص إلى درجة أخذه بيد عائشة ليدلها على موضع النقص مما يدل على اعتنائه به واهتمامه فلماذا لم يرد كلُّ ذلك على لسان واحد من أهل بيته وزوجاته الأخريات أو الصحابة الذين لم يفارق بعضهم رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم إلّافى أوقاته الخاصة؟

وقد يرد على هذا أن أمّ المؤمنين عائشة كثيراً ما تفردت بنقل رويات عن

۱- ۱ الميزان فى تفسير القرآن ۴: ۳۶۲- ۳۶۳.

۲- ۲ سورة الصافات ۳۶.

۳- ۳ سورةص: ۵.

ص: ۱۲۹

رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم وهذهِ واحدة من تلک!.

والغریب الـذی لا یخلو هو أیضاً من التساؤل، أن هـذا الأمر ظل مسـکوتاً عنه طیلـة أکثر من ۶۰ سـنة حتی وصل الأمر إلی عبد اللَّه بن الزبیر فکشف النقاب عن روایة خالته!!

کیف بقی الأمر مسـکوتاً عنه طیلـة هـذه السـنین الطوال؟ اللهم إلّاإذا قلنا بأن المسـلمین لم یکن له اهتمام بـذلک ولم یشـکل عنـدهم مشکلة شرعیة بعد طوافهم وراء الحجر، أو لعدم ابتلائهم بإعادة بناء الکعبة وإلّا لاعادوا هذه الأذرع لمکانها ... تبقی هنا ملاحظة أخیرة أیضاً هی محل للتساؤل والاسـتغراب وهی: لقـد ترکت قریش جزءاً قلیلًا من قواعد إبراهیم فوضـعت علیه جداراً أو حجرتها وهو الذی یسـمی بالشـاذروان وقـالت لیعلم أن هـذا من البیت .. فلماذا ترکت تحجیر ۵- ۷ أذرع ترکتهـا فی الحجر دون أن تشـیر إلیهـا أنها من البیت؟

صحیـح أنی رأیت فی السـیرة الحلبیـة أنهـا حجرتهـا .. ولکن لو کـان الأـمر کـذلک لمـا وقع الخلاـف فی هـذه الأذرع ولما کان أمراً وموضعاً للأخذ والرد. اللهم إلّاأن نقول: إنها اکتفت بتحجیر إسماعیل وإن کان أکثر من ۵ أو ۷ أذرع.

وروایة مرسـلة تسـند لابن عباس (۱)فقـد أخرج سـفیان بن عیینـة والطبرانی والحاکم وصـححه، والبیهقی فی سـننة عن ابن عباس قال: الحِجر من البیت؛ لأن رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم طاف بالبیت وصلی أی ساعة شاء من لیل أو نهار.

أنه قـال: الحجر من البیت. واحتمـال أن یکون قصـده من المسـجد الحرام فظلمـة البیت تطلق علی المسـجد بکامله. وإذا ورد الاحتمال بطل الاستدلال بها ...

والـدلیل الآـخر الـذی عنـدهم أن الرسولصـلی الله علیه و آله و سـلم لم یقبـل الرکنین الشـامین لأنهمـا لیسـا من الـبیت وأیضـاً وقع فیه الخلاف. وقد أورد هشام بن عروة بن الزبیر وهو أحد رواة روایة عائشة فی أن أباه کان إذا طافَ بالبیت یستلمُ الأرکان کلّها،

۱- ۱ المیزان ۱۷: ۳۷۹.

ص: ۱۳۰

كان لا يـدعُ اليمانی إلّاأن يُغلب عليه (۱). وأخرجه سـعيد بن منصور عن الـدراوردی عن هشام، قال: كان إذا بدأ اسـتلم الأركان كلها وإذا ختم ...

وكـذا أخاه عبـد اللّه كما علقه البخاری ورواه ابن أبی شـيبة عن عباد بن عبـد اللّه بن الزبير أنه رأی أباه يسـتلم الأركان كلّها وقال: إنه ليس منه شیء مهجوراً.

وقال الإمام القاضی بن رشد القرطبی الأندلسی فی بداية المجتهد ونهاية المقتصد:

واختلفوا هل تسـتلم الأركان كلها أم لا؟ فذهب الجمهور إلی أنه إنما يسـتلم الركنان فقط لحديث عمر «أن رسول اللّهصـلی الله عليه و آله و سـلم لم يكن يسـلتم إلّاالركنين فقط» واحتج من رأی استلام جميعها بما روی عن جابر، قال: كنا نری إذا طفنا أن نستلم الأركان كلّهـا. وكان بعض السـلف لا يحب أن يسـتلم الركنين إلّافی الوتر من الأشواط، انتهی ما ذكره الأندلسـی (۲). ومرّ قـول ابن عمر، إنما تركصـلی الله عليه و آله و سـلم اسـتلام الركنين الشاميين؛ لأن البيت لم يتمم علی قواعد إبراهيم. ولهذا قال أبو عبد اللّه الأبی: هذا من فقه عبـد اللّه بن عمر من تعليل العـدم بالعدم، علل عدم الاسـتلام بعدم أنهما من البيت. ولهذا حمل ابن القصار وتبعه ابن التين اسـتلام ابن الزبير لهمـا، لأنـه لما عمر الكعبـة أتمه علی قواعـد إبراهيم، ويؤيـده ما ذكره الأزرقی أن ابن الزبير لما فرغ من بنائه وأدخل فيه من الحجر مـا أخرج منه وردّ الركنين علی قواعـد إبراهيم خرج إلی التنعيم واعتمر وطـاف بالبيت واسـتلم الأركان الأربعـة، فلم يزل البيت علی بنـائه إذا طـاف بـالبيت الطائف اسـتلم الأركان جميعها حتی قتل ابن الزبير. وعنـده عن ابن إسـحاق بلغنی أن آدم لما حـجّ اسـتلم الأركان كلّها وإنّ إبراهيم وإسـماعيل لما فرغا من بناء البيت طافا به سبعاً يستلمان الأركان كلّها والجمهور علی ما دل عليه حديث ابن عمر أنه لا يسـتلم إلّاالأسود واليمانی، وروی استلام الكل عن جابر وأنس والحسن والحسين ومعاوية من الصحابة، وسويد بن غفلة من التابعين، وروی أحمد والترمذی والحاكم عن أبی الطفيل

۱- ۱ شرح الزرقانی علی الموطأ ۲: ۳۰۵.

۲- ۲ بداية المجتهد .... ۱: ۲۴۹.

ص: ۱۳۱

قال: كنت مع ابن عباس ومعاوية، فكان معاوية لا يمر بركن إلّااستلمه، فقال ابن عباس: إن رسولصلى الله عليه و آله و سلم لم يستلم إلّاالحجر الأسود واليمانى. فقال معاوية: ليس شيء من البيت مهجوراً.

زاد أحمد من طريق مجاهد. فقال ابن عباس: لقد كان لكم فى رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم أسوة حسنة. فقال معاوية:صدقت.

وقد أجاب الإمام الشافعى: بأنا لم ندع استلامهما هجراً للبيت، وكيف يهجره وهو يطوف به؟! ولكنا نتبع السنة فعلًا أو تركاً، ولو كان ترك استلامهما هجراً، لكان ترك استلام ما بين الأركان هجراً لها، ولا قائل به، ويؤخذ منه حفظ المراتب، وإعطاء كل ذى حقّ حقه، وتنزيل كل أحد منزلته. انتهى ما ذكره الزرقانى (۱).

يظهر من هذا الاختلاف الواقع فى استلام الركنين الشاميين، وأمر عدم استلامهما إذن لا يصلح دليلًا لوجود المعارض كما رأيت عند العامة أنفسهم.

كما ظهر من ذلك كلّه أن المذاهب الإسلامية الأربعة تذهب إلى أن الحجر كلّه أو أكثره أو نصفه من البيت (الكعبة)، ولهذا فيجب إدخاله فى الطواف حتى يتحقق كون الطواف حول البيت، وبالتالى يكون مصداقاً للآية «وليطوفوا بالبيت العتيق» هذا أولًا، ولسيرة رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم وقد أدخل الحجر بكامله فى طوافه، ولقوله خذوا عنى مناسككم.

إذن فأدلتهم على أن الحجر من البيت فهى الرواية التى أستطيع وصفها بأنها الوحيدة فى هذا الباب، وهى تروى عن أم المؤمنين عائشة بألفاظ مضطربة ولم أعثر على مَن ناقش متنها أو سندها، وعندهمصحتها من المسلمات هذا أولًا، ولرواية مرسلة عن ابن عباس ثانياً، وثالثاً لعدم استلام الركنين الشاميين وقد سببت هذهِ الرواية عن عائشة- التى اضطربت فى القدر الذى أخرجته قريش

۱- ۱ شرح الزرقانى ۲: ۳۰۵ الحديث ۸۳۴.

ص: ۱۳۲

من الکعبة وضمته فی الحجر- اختلاف الفقهاء، فالذین تمسکوا بها قالوا بالنقص واختلفوا فی قدره، فی قبال الآخرین الذین رفضوا هذه الروایة وبالتالی بنوا علی عدم نقص مساحة الکعبة، وکذلک کانت هذهِ الروایة سبباً لاختلاف الفریق الأول وانقسامه إلی فریقین، فریق یقول بصحة الطواف بعد السبعة أذرع من البیت الموجودة فی الحجر، وفریق قال لا یصح الطواف إلّامن وراء جدار الحجر وهو ما فعله رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم، وذهب الکثیر منهم إلی القول الثانی، بینما قال بالأول القلیل منهم، کما نری عند تعرّضنا لآراء الفقهاء.

آراء فقهاء المذاهب فی إدخال الحِجر فی الطواف وحکم الإخلال فی ذلک

إن إدخال الحِجر فی الطواف بمعنی أن یطوف الحاج حول الحِجر من دون أن یدخل فیه هذا أمر متسالم علیه عند المسلمین والنصوص والأدلة فیه مستفیضة، ولهذا فإننا نستعرض آراء المذاهب:

۱- المذهب الشافعی: قالوا: للطواف بذاته ثمانیة شروط ... الرابع منها جعل البیت عن یساره وقت الطواف مارّاً تلقاء وجهه؛ ولابدّ أن یکون الطائف خارجاً بکل بدنه عن جدار البیت وشاذروانه، وعن الحجر- بکسر الحاء- فلو مشی علی الشاذروان أو مسّ الجدار فی مروره، أو دخل فی إحدی فتحتی الحجر- بالکسر- وخرج من الأخری لم یصح طوافه الذی حصل فیه ..

وأما الزحیلی فی کتابه الفقه الإسلامی وأدلته فقد قال:

وواجبات الطواف عند الشافعیة بما یشمل الشروط والأرکان ثمان هی ما یأتی: ...

۴- أن یجعل الطائف البیت عن یساره، مارّاً تلقاء وجهه إلی جهة الباب، اتباعاً للسنة کما رواه مسلم، مع خبر: «خذوا عنی مناسککم». فإن خالف ذلک لم

ص: ۱۳۳

يصح طوافه لمعارضته الشرع، ولو طاف مستلقياً على ظهره، أو على وجهه، مع مراعاة كون البيت عن يساره،صح.

وراح الزحيلى فى نفس الصفحة يقول:

ويشترط أن يكون الطواف خارج البيت وحِجر إسماعيل والشاذروان، فلو مشى على الشاذروان أو مسّ الجدار الكائن فى موازاته، أو أدخل جزءاً منه فى هواء الشاذروان أو دخل من إحدى فتحتى الحِجر [وهو ما بين الركنين الشاميين من جهة الشمال، المحوط بجدار قصير بينه وبين كل من الركنين فتحة، والآن أغلقت الفتحة الغربية، وهو قدر ستة أذرع] وخرج من الفتحة الأخرى، أو خلف منه قدر الذى من البيت وهو ستة أذرع، واقتحم الجدار، وخرج من الجانب الآخر، لم يصح طوافه، أما كون الطواف فى غير الحجر، فلقوله تعالى:

«وليطوفوا بالبيت العتيق» وإنما يكون طائفاً به إذا كان خارجاً عنه، وإلّا فهو طائف فيه.

وأما الحِجر: فلأنهصلى الله عليه و آله و سلم إنما طاف خارجه، وقال: «خذوا عنى مناسككم» ولخبر مسلم عن عائشة: «سألت رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم عن الحِجر، أمن البيت هو؟

قال: نعم، قلت: فما بالهم لم يدخلوه فى البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة ...» وظاهر الخبر أن الحِجر جميعه من البيت.

لكن الصحيح أنه ليس كذلك، بل الذى هو من البيت قدر ستة أذرع تتصل بالبيت، ومع ذلك يجب الطواف خارجه؛ لأن الحجّ باب اتباع.

٢- المذهب المالكى: قالوا: يشترط لصحة الطواف شروط: ... الخامس:

أن يكون بجميع بدنه خارجاً عن الحِجر بتمامه ...

٣- المذهب الحنبلى: قالوا: يشترط لصحة الطواف شروط: ... ومنها جعل البيت عن يساره ولابدّ أن يكون خارجاً عن جميع الحِجر ... وألا يدخل فى شىء

ص: ۱۳۴

من البيت كالحِجر والشاذروان.

۴- المذهب الحنفى: قالوا فى واجبات الطواف: .. ومنها أن يطوف وراء الحطيم- الحِجر- لأن بعضه من البيت أو لأن الحطيم من البيت على لسان رسول اللَّه.

وقالت الشافعية فى سنن الطواف ... الثامنة: أن يصلى بعده ركعتين ..

والأفضلصلاتهما خلف المقام، ثم بالحِجر ...

وقالت الحنفية .. ومنها أن يصلى ركعتين، ويستحب أداؤهما خلف المقام، ثم فى الكعبة، ثم فى الحجر تحت الميزاب (۱).

أما القاضى الأندلسى فى بداية المجتهد .. فقال:

وأما شروطه فإن منها حدّ موضعه، وجمهور العلماء على أن الحِجر من البيت، وأن من طاف البيت لزمه إدخال الحِجر فيه، وأنه شرط فيصحة طواف الإفاضة. وقال أبو حنيفة وأصحابه: هو سنة. وحجة الجمهور ما رواه مالك عن عائشة: أن رسولصلى الله عليه و آله و سلم قال: لولا حِدثانُ قومك بالكفر لهدمتُ الكعبة ولصيّرتُها على قوعد إبراهيم، فإنهم تركوا منها سبعة أذرع فى الحجر، ضاقت بهم النفقة والخشب، وهو قول ابن عباس. وكان يحتجّ بقوله تعالى: «وليطوفوا بالبيت العتيق». ثم يقول طاف رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم من رواء الحِجر، وحجة أبى حنيفة ظاهر الآية (۲).

وقال العلّامة السيد البكرى الدمياطيصاحب كتاب إعانة الطالبين: ...

وقوله (وحجره) بكسر الحاء ما بين الركنين الشاميين عليه جدار قصير، بينه وبين كلّ من الركنين فتحة ويسمى أيضاً حطيماً، لكن الأشهر أنه ما بين الحجر الأسود، ومقام إبراهيم. وقوله (للاتباع) دليل لوجوب جعل البيت عن يساره، ولوجوب خروجه بكل بدنه عنه. والاتباع فى الأول خبر جابر المار ....

۱- ۱ يراجع فى هذا كله/ الفقه على المذاهب الأربعة للجزيرى ۲: ۶۵۳- ۶۵۷. الفقه الإسلامى وأدلته للزحيلى ۳: ۱۴۵.

۲- ۲ بداية المجتهد ۱: ۲۵۰.

ص: ۱۳۵

ومع قولهصلی الله علیه و آله و سلم: خذوا عنی مناسککم. وفی الثانیصلی الله علیه و آله و سلم طاف خارجه مع قوله خذوا ... ویدل علیه أیضاً قولُه تعالی: «ولیطوفوا بالبیت العتیق» وإنما یکون طائفاً به إذا کان خارجاً عنه، وإلّا فهو طائف فیه. فإن خالف شیئاً من ذلک- راجع لجمیع ما قبله، فاسم الإشارة یعود علی المذکور ...- ولم یخرج بکلّ بدنه عن الشاذروان والحجر لم یصح طوافه (۱)- ولو لم یجعل طوافه من وراء الحطیم، بل طاف فی وسطه فی الطواف الواجب، فإن کان بمکة أعاد الطواف جمیعه لیأتی به علی ترتیبه، فإن لم یفعل وأعاده علی الحطیم أجزأه عندنا کذا فی السراج الوهاج (۲).

وحدثنی عن مالک أنه سمع ابن شهاب یقول: سمعت بعض علمائنا یقول: ما حُجّر الحِجْر فطاف الناسُ من ورائه إلّاإرادة أن یستوعب الناسُ بالبیت کلّه (۳).

أما ما قاله شارح الموطإ:

نعم فی الحکم بفساد طواف مَن طاف داخل الحجر وخلی بینه وبین البیت سبعة أذرع نظر، وقد قال بصحته جماعة من الشافعیة کإمام الحرمین، ومن المالکیة کأبی الحسن اللخمی. وذکر الأزرقی أن عرض ما بین المیزاب ومنتهی الحجر سبعة عشر ذراعاً وثلث ذراع منها عرض جدار الحجر ذراعان وثلث وفی بطن الحجر خمسة عشر ذراعاً فعلی هذا فنصف الحجر لیس من البیت فلا یفسد طواف من طاف دونه (۴).

أما ما قاله النووی (۵):

قال أصحابنا ست أذرع من الحجر مما یلی البیت محسوبة من البیت بلا خلاف وفی الزائد خلاف فإن طاف فی الحجر وبینه وبین البیت أکثر من ستة أذرع ففیه وجهان لأصحابنا أحدهما یجوز لظواهر هذه الأحادیث وهذا هو

۱- ۱ إعانة الطالبین ۲: ۲۷۹ للسید الکبری الدمیاطی.

۲- ۲ الفتاوی الهندیة فی مذهب الإمام الأعظم أبی حنیفة النعمان ۱: ۲۳۲.

۳- ۳ الموطأ ۱: ۲۴۶.

۴- ۴ شرح الموطإ ۲: ۳۰۱- ۳۰۲ للزرقانی.

۵- ۵ هامشصحیح مسلم للنووی ۹:

ص: ١٣۶

الـذی رجحه جماعـات من أصـحابنا الخراسـانيين والثانی لا يصـح طوافه فی شـیء من الحجر ولا علی جـداره ولا يصـح حتی يطوف خارجاً من جميع الحجر وهذا هو الصـحيح وهو الذی نصّ عليه الشافعی وقطع به جماهير أصحابنا العراقيين ورجحه جمهور الأصحاب وبه قال جميع علماء المسلمين سوی أبی حنيفة فإنه قال إن طاف فی الحجر وبقی فی مكة أعاده وإن رجع من مكة بلا إعادة أراق دماً وأجزأه طوافه واحتـج الجمهور بأن النبیصـلی الله عليه و آله و سـلم طاف من وراء الحجر وقال لتأخذوا مناسـككم ثم أطبق المسـلمون عليه من زمنهصـلی الله عليه و آله و سـلم إلی الآن وسواء كان كله من البيت أم بعضه فالطواف يكون من ورائه كما فعل النبیصـلی الله عليه و آله و سلم واللَّه أعلم.

وما قالهصاحب التاج الجامع:

فلابد للطائف من المرور حوله وعليه جميع المحدثين والفقهاء رضی اللَّه عنهم (١).

الإمامية:

أما الرأی الثانی وهو أن الحِجر ليس من البيت يمثل واحـداً من موقفين عنـد الإمامية. فبعد اتفاق فقهاؤها علی أن الحِجر هو بيت هاجر وإسـماعيل، وأنه كان ملاصـقاً للبيت من جهته الشـمالية، كما أنهصار مقبرة بعد وفاة هاجر ودفنها فيه ثم دفن إسـماعيل وغيره، ويجب إدخاله بالكامل فی الطواف سواء قلنا بأنه من البيت موضوعاً أو قلنا بأنه من البيت حكماً.

ومن أخلّ بـذلک فعليه أن يعيـد الشوط أو الطواف علی خلاف بينهم، وعلی هـذا رواياتهم وآراؤهم التی سنستعرضـها، فبعـد اتفاقهم علی ذلک كلّه، ظهر لهم موقفان:

الأول: أن الحِجر كله أو بعضه من البيت.

١- ١ التاج الجامع للأصول ٢: ١٧٩.

ص: ۱۳۷

الثانی: أن الحِجر ليس من البيت.

ذهب كلّ منصاحب الـدروس، والعلامـة فی التـذكرة، وفی المنتهی إلی أن جميع الحِجر من البيت: فقـد قالصاحب الجواهر عند ذكره لوجوب دخول الحجر فی الطواف: (ولا فرق فی الحكم المزبور بين القول بخروجه من البيت ودخوله فيه الـذی قد تشـعر به النصوص المزبورة، بل فی الدروس المشهور كونه منه، بل فی التذكرة والمنتهی أن جميعه منه.

وربما استظهروا ذلك من الأخبار التالية.

.. قلتُ لأبی عبد اللّه عليه السلام: رجل طاف بالبيت فاختصر شوطاً واحداً فی الحِجر، كيف يصنع؟ قال: يعيد الطواف الواحد.

ورواه الشيخ يعيد ذلك الشوط.

وما رواه الصدوق عن عبد اللّه بن مسـكان عن الحلبی أيضاً فی الصحيح عن أبی عبد اللّه عليه السلام، قال: قلت له: رجل طاف بالبيت فاختصر شوطاً واحداً فی الحج، كيف يصنع؟ قال: يعيد الطواف الواحد.

محمـد بـن يعقـوب، عـن علی إبراهيـم، عن أبيه، عن ابن أبی عمير، عن حفص بن البخـتری، عن أبی عبـد اللّه عليه السـلام فی الرجل يطوف بالبيت (فيختصر فی الحجر)، قال: يقضی ما اختصر من طوافه.

وعنه، عن أبيه، عن ابن أبی عمير، عن معاويـة بن عمّـار، عن أبی‌عبـداللّه عليه السـلام قـال: من اختصـر فی الحجر (فی الطـواف) فليعد طوافه من الحجر الأسود إلی الحجر الأسود.

بل فی الـدروس المشـهور كونه منه، بل فی التذكرة والمنتهی أن جميعه منه (۱)، وأما قولصاحب الدروس (۲)فهو: إدخال الحِجر فی طوافه ... سواء قلنا بأنه من البيت كما هو المشهور، أو لا كما فی رواية زرارة (۳) عن الصادق عليه السلام

۱- ۱ الجواهر ۱۹: ۲۹۳.

۲- ۲ من لا يحضره الفقيه. باب ابتداء الكعبة وفضلها ح ۲۳۰۸ ۲: ۲۴۳.

۳- ۳ من لا يحضره الفقيه، باب ابتداء الكعبة وفضلها ح ۲۳۰۸، ۲: ۲۴۳.

ص: ۱۳۸

وقطع به الصدوق (المقنع ضمن الجوامع الفقهيةص ۲۱) ...

وفى اللمعة قال: ... وإدخال الحجر فى الطواف للتأسى، والأمر به، لا لكونه من البيت، بل قد روى أنه ليس منه، أو أن بعضه منه ... (۱).

وفى المنتهى: ... لنا أن الحِجر من البيت ...

وأما ما ذكره العلامة فى التذكرة. فقد قال عنهصاحب الحدائق (۲):

ويمكن أن يكون مستند المشهور ما نقل عن العلامة فى التذكرة: .. فإن للبيت أربعة أركان ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقاً بالأرض وله بابان شرقى وغربى فهدمه السيل قبل مبعث رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم بعشر سنين وأعادت قريش عمارته على الهيئة التى هو عليها اليوم وقصرت الأموال الطيبة والهدايا والنذور عن عمارته فتركوا من جانب الحجر بعض البيت روت عائشة أن النبيصلى الله عليه و آله و سلم قال: ستة أذرع من الحجر من البيت فتركوا بعض البيت من جانب الحِجر خارجاً؛ لأن النفقة كانت تضيق عن العمارة وخلفوا الركنين الشامين عن قواعد إبراهيم وضيقوا عرض الجدران من الركن الأسود إلى الشامى الذى يليه فبقى من الأساس شبه الدكان مرتفعاً وهو الذى يسمى الشاذروان. انتهى.

فقالصاحب الحدائق بعد نقله لقول العلّامة:

وما ذكره قدس سره فى قصة بناء الكعبة على هذهِ الكيفية لم يرد فيه شيء من الأخبار الواصلة إلينا فى الأصول الأربعة وغيرها.

أما تكملة قول العلّامة كما ورد فى التذكرة لم ينقلهصاحب الحدائق.

وهو كالاتى: .... وروى أن النبيصلى الله عليه و آله و سلم قال لعايشة: «لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت وبنيته على قواعد إبراهيم عليه السلام فألصقته بالأرض وجعلت له بابين شرقياً وغربياً» ثم هدمه ابن الزبير أيام ولايته وبناه على قواعد إبراهيم عليه السلام كما تمناه رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم ثم لما استولى الحجاج هدمه وأعاده على

۱- ۱ اللمعة ۲: ۲۴۹.

۲- ۲ الحدائق الناضرة ۱۶: ۱۰۶ للشيخ يوسف البحرانى رضى الله عنه.

ص: ۱۳۹

الصورة التی علیه الیوم وهو بناء قریش (۱).

ثم أخذصاحب الحدائق یذکر ما روی فی کیفیة بناء قریش للکعبة فیقول:

وقد رویت فی کیفیة بناء قریش لها روایات عدیدة، إلّاأنها خالیة من ذلک [أی مما رواه العلّامة]، ومنها ما رواه فی الکافی: عن علی بن إبراهیم، وغیره بأسانید مختلفة قالوا:

إنما هدمت قریش الکعبة لأن السیل کان یأتیهم من أعلی مکة فیدخلها فانصدعت، ... فأرادت قریش أن یهدموا الکعبة ویبنوها ویزیدوا فی عرضها (عرصتها) .... فلما أرادوا أن یزیدوا فی عرضه (عرصته) وحرکوا القواعد التی وضعها إبراهیم علیه السلام أصابتهم زلزلة شدیدة فکفّوا عنه، وکان بنیان إبراهیم (الطول ثلاثون ذراعاً، والعرض اثنان وعشرون ذراعاً، والسمک تسعة أذرع) ...

فهذِهِ الروایة وباقی روایات بناء الکعبة ساکتة عن بیان ما حدث فی بناء قریش لها وهل قریش أنقصتها أذرعاً أو لا؟ لم توضح الروایات عند الإجابة ذلک، وإنما تذکر فقط فی روایات البناء أن قیاسها فی زمن إبراهیم کذا لا غیر. ثم تنتقل الروایات لتبین بناء عبد اللَّه بن الزبیر وأنه رفعها ثمانیة عشر ذراعاً، فهدمها الحجاج وبناها سبعة وعشرین ذراعاً أی زادا فی ارتفاعها هذا ما تشیر إلیه الروایات فی بناء الکعبة فقط، ولکن روایة علی بن إبراهیم التی یکتفی بنقلهاصاحب الحدائق وعند نقله روایة کیفیة بناء الکعبة ودون أن یقول عنها شیئاً، ودون أن یشیر إلی ما یترتب علیها، هذِهِ الروایة بعد أن ینقلهاصاحب الجواهر وبعد أن ینقل ما قالهصاحب التذکرة: بل الثابت فی نصوصنا المشتملة علی قصة هدم قریش الکعبة خلافه، نعم ربما کان فی مرفوع علی بن إبراهیم وغیره «أنه کان بنیان إبراهیم الطول ....» تأیید لکون نحو ستة أذرع منه من البیت (۲).

أما ما ورد فی موسوعة العتبات المقدسة (۳).

۱- ۱ تذکرة الفقهاء للعلامة جمال الدین الحلی ۱: ۳۶۱ النسخة الهجریة.

۲- ۲ الوسائل ۱۳: ۲۱۵ ابواب الطواف الروایة ۱۴۵۱۰، جواهر الکلام ۱۹: ۲۹۴ کتاب الحج.

۳- ۳ موسوعة العتبات المقدسة ۲: ۲۳۹- ۲۴۰ تاریخ مکة.

ص: ۱۴۰

وحينما تسنى للنبيصلى الله عليه و آله و سلم أن يفتح مكة فى سنة ۸ للهجرة، ترك بناء الكعبة على ما كان عليه، لكن التجديدات التى كان يريد إدخالها فيه قد تحققت فى سنة ۶۴ للهجرة (۶۷۴ م) على يد عبد اللّه بن الزبير .. وتنفيذاً لما جاء فى السنة النبوية أُدخل الحجر بكسر الحاء فى ضمن البناء .. وبموافقة عبد الملك بن مروان سنة ۷۴ ه (۶۹۴ م) عُزِلَ الحِجر عن الكعبة ... وبذلك تطمنت رغبة بنى أمية التى كانت تريد إبقاء شكل الكعبة على ما كانت عليه قبل الإسلام تقريباً، وقد حافظت على شكلها ذلك حتى يومنا هذا.

أما أدلة القائلين بأن الحجر ليس من البيت فهى:

المستند الأول: الأخبار:

عن معاوية بن عمارة فى الصحيح قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن الحجر، أمن البيت هو أو فيه شىء من البيت؟ فقال: لا، ولا قلامة ظفر، ولكن إسماعيل دفن أمه فكره أن توطأ فجعل عليه حجراً، وفيه قبور أنبياء.

عن زرارة فى الموثق عن أبى عبد اللّه عليه السلام قال: سألته عن الحجر هل فيه شىء من البيت؟ فقال: لا، ولا قلامة ظفر.

خبر يونس بن يعقوب (قلت لأبى عبد اللّه عليه السلام: إنى كنت أصلى فى الحجر، فقال لى رجل: لا تصل المكتوبة فى هذا الموضع، فإن فى الحجر من البيت، فقال:

كذبصل فيه حيث شئت) (۱).

وفى خبر مفضل بن عمر عنه عليه السلام أيضاً «الحجر بيت إسماعيل، وفيه قبر هاجر وقبر إسماعيل».

وسأله أيضاً الحلبى فى المروى عن نوادر البزنطى «عن الحجر فقال: إنكم تسمونه الحطيم، وإنما كان لغنم إسماعيل، وإنما دفن فيه أمه وكره أن يوطأ قبرها فحجر عليه، وفيه قبور أنبياء» ...

۱- ۱ وسائل الشيعة باب ۵۴ من أبواب أحكام المساجد، الحديث من كتاب الصلاة.

ص: ۱۴۱

محمـد بن يعقوب، عن محمـد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبـد اللَّه عليه السلام عن الحِجر أمن البيت هو أو فيه شـيءٌ من البيت؟ فقال: لا، ولا قلامة ظفر. ولكن أسـماعيل دفن أمّه فيه فكره أن يوطأ، فجعل عليه حِجراً وفيه قبور أنبياء (۱).

محمـد بن على بن على بن الحسين عن النبيِّ والأئمة عليهم السلام قال:صار الناس يطوفون حول الحِجر ولا يطوفون فيه؛ لأن أمّ إسماعيل دفنت فى الحجر ففيه قبرها، فطيف كذلك لئلّا يوطأ قبرها (۲).

وعن زرارة عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: سألته عن الحِجر هل فيه شيء من البيت؟ فقال: لا، ولا قلامة ظفر (۳).

ومع قوة هاتين الروايتين (ولا قلامة ظفر ...) سنداً ومتناً، فإني وجدت الفريق القائل بان الحجر من البيت وجدته ساكتاً عن هاتين الروايتين ولم يشر إليهما ولم يبدِ رأياً فيهما، وهو أمر أثار استغرابى- حقّاً- للصراحة التى يتصفان بها فى عدم وجود شيء من البيت فى الحِجر. ولأن الأَولى لهذا الفريق أن يبدى رأيه فيهما ليكون موقفه أكثر سلامة وأقوى حجة، يشكّلان أقوى أدلة الرافضين لدخول شيء من البيت فى الحجر. وكذلك الأمر فى خبر يونس بن يعقوب (... كذبصل فيه حيث شئت).

كما أن الشيخ يوسف البحرانيصاحب الحدائق الناضرة قال: ويمكن أن يكون مستند المشهور ما نقل عن العلامة فى التذكرة كما نقلناه سابقاً وأما رأيُه فهو: ... وبالجملة فالظاهر من أخبارنا خروجه كاملًا عن البيت، وما ذكروه من هذا القول المشهور لا نعرف له مستنداً. والمستند الثانى الذى يمكن أن يكون دليلًا على أنه ليس من البيت وأن البيت لم ينقص منه ۵- ۷ أذرع وبالتالى فإن ركنيه الشاميين فى جهته الشمالية من البيت، هو ما ورد من استحباب تقبيل أو

۱- ۱ الوسائل ج ۱۳ ۳۵۳- ۳۵۴ أبواب الطواف.

۲- ۲ الوسائل ۱۳: ۳۵۳- ۳۵۴ أبواب الطواف.

۳- ۳ وسائل الشيعة ۱۳: ۳۵۳- ۳۵۴. تراجع روايات فى أبواب الطواف.

ص: ۱۴۲

استلام الركنين الشاميين لأنهما من البيت وإلّا لم يرد هذا الاستحباب إن لم يكونا قد بناهما إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

عن أحمد بن عيسى عن إبراهيم بن أبی محمود قال: قلت للرضا عليه السلام استلم اليمانی والشامی والغربی؟ قال: نعم.

فعن محمد بن الحسن بإسناده عن أحمد بن محمد بن عيسی عن أبن أبی عمير، عن جميل بنصالح- أنه رأی أبا عبد اللَّه عليه السلام يستلم الأركان كلّها (۱).

ورواه الكلينی، عن عدة من أصحابنا، عن أحمدبن محمد مثله، وقال الشيخ الطوسی فی النهاية، ويستحب أن يستلم الأركان كلّها وأشدّها تأكيداً الركن الذی فيه الحجر الأسود (۲۳۶ النهاية) (۲). فلو اختصر شیء من الكعبة وضمّ إلی الحِجر لما كانت هذه الأركان هی أركان البيت الوارد فيها استحباب الاستلام.

أما فی مسألة وجوب إدخال الحجر فی الطواف بأن يمشی خارجه لا فيه وهی مما لا خلاف فيها بين فقهاء الإمامية وأدلتهم علی ذلك اختلفت باختلاف اجتهاداتهم، فإضافة إلی دليل التأسی برسول اللّهصلی الله عليه و آله و سلم للأمر به يمكن حصر أدلتهم ب:

أولًا: الإجماع، وقال فی الجواهر: بل الإجماع بقسيمه عليه، بل المحكی منهما مستفيض.

ثانياً: الأخبار التی تشهد علی وجوب إدخاله فی الطواف، وقد عبرت الأخبار بلفظة الاختصار ومعناها عدم إدخال الحِجر فی الطواف.

... عن معاوية بن عمار عن أبی عبد اللَّه عليه السلام: مَن اختصر فی الحجر الطواف، فليعد طوافه من الحَجر الأسود إلی الحجر الأسود (۳).

... عن إبراهيم بن سفيان قال: كتبت إلی أبی الحسن الرضا عليه السلام أمرأة

۱- ۱ التهذيب ۵: ۱۰۶ ۳۴۳/ ۱۵ الوسائل ۱۳: ۳۱۴ ۱۷۹۰۷/ ۱.

۲- ۲ النهاية للطوسيص ۲۳۶.

۳- ۳ الوسائل ۱۳: ۳۵۷ ح/ ۱۷۹۴۰/ ۳.

ص: ۱۴۳

طافت طواف الحج، فلما کانت فی الشوط السابع اختصرت وطافت فی الحِجر، وصلت رکعتی الفریضة، وسعت وطافت طواف النساء ثمأتت منی، فکتب علیه السلام (۱):

تعید. ونحوها غیرها.

... عن الحلبی، عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال: قلت: رجل طاف بالبیت فاختصر شوطاً واحداً فی الحِجر، قال: یعید ذلک الشوط. وفی روایة الصدوق قال: یعید الطواف الواحد.

کما ذهب بعض فقهاء الإمامیة إلی أن وجوب إدخال الحجر فی الطواف لیس ذلک من جهة کون الحِجر من البیت، بل للنصوص الخاصة بذلک. والعجیب أن هناک نصوصاً تصرح بأن إسماعیل إنما وضع الحجر لکراهیته أن یوطأ قبر أمه هاجر، ولیتم الطواف من خارج الحجر (۲).

... وحجّر علیها لئلا یوطأ قبرها. أوصار الناس یطوفون فیه، لأن أمّ إسماعیل دفنت فی الحجر ... (۳)ولیس فی الجمع بین العلل إنصح التعبیر ضیر (لسیرة رسول اللّه والقائل خذوا عنی مناسککم) وللرویات الخاصة ولمنع إسماعیل وکراهیته من وطء قبر أمه).

هذا وإنصاحب الجواهر قال بعد أن أورد أدلته والأخبار الدالة علی وجوب إدخال الحجر فی الطواف، قال: ولا فرق فی الحکم المزبور بین القول بخروجه من البیت ودخوله فیه الذی قد تشعر به النصوص المزبورة، وقد ذکرناها ولا نعید (۴).

أما ما مقالهصاحب براهین الحج، الفقیه الکاشانی: من واجبات الطواف أن یدخل حجر إسماعیل فی الطواف، قال فی الجواهر بلا خلاف أجده فیه بل الإجماع بقسمیه علیه.

۱- ۱ الوسائل ۱۳: ۳۵۷، ۱۷۹۴۱/ ۴.

۲- ۲ الوسائل ۱۳ص ۳۵۵ ۱۷۹۳۳/ ۶، ۱۷۹۲۹/ ۲.

۳- ۳ الوسائل ۱۳: ۳۵۴، ۳۵۹، ۱۷۹۳۲/ ۵، ۱۷۹۳۳/ ۶.

۴- ۴ جواهر الکلام ۱۹: ۲۹۲- ۲۹۴.

ص: ۱۴۴

وبعد أن يستعرض الأخبار الدالة على ذلك وقد ذكرناها، يقول الظاهر أنه لا إشكال فى عدم دخول حجر إسماعيل فى الكعبة بل خارج عنه، وإن كان داخلًا فى الطواف، ويدل عليه الأخبار مثلصحيح معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد اللَّه عليه السلام عن الحجر أمن البيت هو أو فيه شيءٌ من البيت، فقال: لا ولا قلامة ظفر، ولكن إسماعيل دفن فيه أُمّه فكره أن يوطأ فجعل عليه حجراً، وفيه قبور الأنبياء (۱).

شروط الطواف

ما قاله السيد الإمام الخمينى قدس سره:

ما عد جزءاً لحقيقته، ولكن بعضها من قبيل الشرط .... الرابع: إدخال حجر إسماعيل عليه السلام فى الطواف، فيطوف خارجه عند الطواف حول البيت، فلو طاف من داخله أو على جداره بطل طوافه وتجب الإعادة، ولو فعله عمداً فحكمه حكم من أبطل الطواف عمداً كما مرّ، ولو كان سهواً فحكمه حكم إبطال الطواف سهواً، ولو تخلف فى بعض الأشواط فالأحوط إعادة الشوط، والظاهر عدم لزوم إعادة الطواف وإن كان أحوط.

وما قاله السيد الخوئى رحمه الله:

إذا دخل الطائف حجر إسماعيل، بطل الشوط الذى وقع ذلك فيه فلابد من إعادته، والأولى إعادة الطواف بعد إتمامه، هذا مع بقاء الموالاة، وأما مع عدمها فالطواف محكوم بالبطلان وإن كان ذلك عن جهل أو نسيان، وفى حكم دخول الحِجر التسلق على حائطه على الأحوط، بل الأحوط أن لا يضع الطائف يده على حائط الحجر أيضاً.

وأخيراً تبقى هنا مسألة القبلة وعلاقتها بتغير جرم الكعبة الذى قد يترتب

۱- ۱ براهين الحج ۴: ۳۹- ۴۰ المدنى الكاشانى.

ص: ۱۴۵

علی القولین (إن الحِجر کله أو بعضه من البیت. أن الحِجر لیس من البیت).

خاصة إذا نظرنا للقبلة من حیث کونها عین الکعبة لا جهتها وهذا ما نأمل بحثه- إن شاء اللّٰه تعالی- فی موضوع القبلة.

المصادر

البحار للشیخ المجلسی

التبیان للطوسی

أقرب الموارد للشرتونی

تاج العروس للزبیدی

وسائل الشیعة

السیرة الحلبیة

أحکام القرآن للقرطبی

تفسیر المیزان للطباطبائی

أخبار مکة للأزرقی

تاریخ الطبری

صحیح مسلم

صحیح البخاری

مختصر تاریخ دمشق لابن منظور

الکامل لابن الأثیر

التاج الجامع للأصول للشیخ منصور علی ناصیف

الزرقانی فی شرحه علی الموطإ

بدایة المجتهد للقاضی الأندلسی

الفقه علی المذاهب الأربعة للجزیری

ص: ۱۴۶

الفقه الإسلامی وأدلته للزحیلی

إعانة الطالبین للدمیاطی

الفتاوی الهندیة فی مذهب الإمام أبی حنیفة

الموطأ للإمام مالک

الجواهر للشیخ محمد حسن النجفی

من لا یحضره الفقیه

الحدائق الناضرة للشیخ البحرانی

تذکرة الفقهاء للعلامة الحلی

موسوعة العتبات المقدسة

التهذیب

النهایة للطوسی

براهین الحج للفقیه الکاشانی

تحریر الوسیلة للسید الإمام الخمینی

المعتمد فی شرح المناسک للسید الخوئی

صحیح سنن المصطفی لأبی داود

مرآة الحرمین

الهوامش:

الاستدارة وصلاة الجماعة فی المسجد الحرام

ص:۱۴۷

ص:۱۴۸

ص: ۱۴۹

الاستدارة وصلاة الجماعة فى المسجد الحرام

محمد على مقدادى

قال اللّه تبارك وتعالى: «... فولِّ وجهَكَ شطرَ المسجدِ الحرامِ وحيثُ ما كنتُم فَولّوا وجوهَكُم شَطرَهُ ...» (۱).

الصلوات الخمس اليومية من الواجبات التى أكّد الشارع المقدس أداءَها بشكل جماعى، والأمة المسلمة- ومنذ ذلك اليوم الذى فرضت فيه تلك الصلوات وحتى الآن- تحرص على تأديتها جماعة لفضيلتها العظيمة. نذكر بعض النصوص الواردة فى هذا الباب:

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: أتانى جبرئيل فى سبعين ألف ملك بعدصلاة الظهر ... فقلت: يا جبرئيل! ما لأمّتى فى الجماعة؟ قال: يا محمد! ... وإذا كانوا عشرة، كتب اللّه لكلّ واحد بكلّ ركعة اثنين وسبعين ألفاً وثمانمائةصلاة، فإن زادوا على العشرة فلوصارت بحار السموات والأرض مداداً والأشجار أقلاماً والثقلان مع الملائكة كُتّاباً لم يقدروا أن يكتبوا ثواب ركعة واحدة.

يا محمد: تكبيرة يدركها المؤمن مع الإمام خير له من ستين ألف حجّة

۱- ۱ البقرة: ۱۵۰.

ص: ۱۵۰

وعمرة وخير من الدنيا وما فيها سبعين ألف مرّة؛ وركعة يصلّيها المؤمن مع الإمام خير من مائة ألف دينار يتصدق بها على المساكين؛ وسجدة يسجدها المؤمن مع الإمام خير من عتق مائة رقبة (۱).

وقال رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم:صلاة الجماعة أفضل منصلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءاً (۲).

وقال رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم: إن اللّه يستحى من عبده إذاصلّى فى جماعة ثم سأل حاجته أن ينصرف حتى يقضيها (۳).

وقال رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم: لا تزال أمتى يكفّ عنها البلاء مالم يظهروا خصالًا ....

وقطع الصلاة فى جماعة، وترك هذا البيت أن يؤم، فإذا ترك هذا البيت أن يؤم لم يناظروا (۴).

وقال الإمام على بن أبى طالب عليه السلام: أفضل الأعمال إسباغ الطهور فى السبرات (۵) ونقل الأقدام إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعدالصلاة (۶).

وقال الإمام جعفر بن محمد عليه السلام:

منصلّى الغداة والعشاء الآخرة فى جماعةٍ فهو فى ذمّة اللّه عزّ وجل، ومن ظلمه فإنّما يظلم اللّه، ومن حقّره فإنّما يحقّر اللّه عزّ وجل (۷).

عن زرارة قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السلام ما يروى الناس أن الصلاة فى جماعة أفضل منصلاة الرجل وحده بخمسة وعشرينصلاة؟ فقال عليه السلام:

صدقوا، فقلت: الرجلان يكونان فى جماعة؟ فقال: نعم ويقوم الرجل عن يمين الإمام (۸).

وقال رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم: إن الركعة فى الجماعة أربع وعشرون ركعة، كلّ ركعة أحبّ إلى اللّه من عبادة أربعين سنة (۹). والأحاديث الواردة فى هذا الباب كثيرة من طرق الفريقين، الشيعة الإمامية وأهل السنة.

ولمّا كان المسجد الحرام من أفضل البقاع والمساجد فى العالم كلّه حيث دلّت الأخبار على ذلك فالصلاة

۱- ۱ كتاب الصلوة، الشيخ مرتضى الأنصارى قدس سره: ۳۱۷.

۲- ۲صحيح مسلم بشرح الإمام النووى ۵: ۱۵۱.

۳- ۳ كنز العمال ۷: ۵۵۸، ح ۲۰۲۴۳.

۴- ۴ مسند الإمام زيد: ۱۰۰.

۵- ۵ السبرات جمع سبرة بفتح السين المهملة وسكون الباء الموّحدة، وهى الغداة الباردة.

۶- ۶ مسند الإمام زيد: ۱۰۲.

۷- ۷ من لا يحضره الفقيه ۱: ۳۷۷.

۸- ۸ التهذيب ۳: ۲۴.

۹- ۹ كتاب الصلوة، الشيخ مرتضى الأنصارى: ۳۱۶.

ص: ۱۵۱

فیه أیضاً تکون أکثر ثواباً وفضیلةً بالطبع، لما ورد فی الخبر:

عن رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم، قال:

الصلوة فی المسجد الحرام مائة ألفصلاة، والصلاة فی مسجدی عشرة آلافصلاة ... (۱).

وقال النبیصلی الله علیه و آله و سلم:صلاة فی مسجدی هذا خیرٌ من ألفصلاة فیما سواه إلّاالمسجد الحرام (۲).

وقال رسول اللَّه أیضاً:صلاة فی مسجدی أفضل من ألفصلاة فیما سواه إلّاالمسجد الحرام، وصلاة فی المسجد الحرام أفضل من مائة ألفصلاةٍ فیما سواه (۳).

هذا، ولکن یا حبّذا لو تؤدَّی الصلاة جماعة فی هذا المسجد المکرّم المطهّر الحرام حتی یحصل الحظّ الوافر للمصلّین، ویتمتعوا من الثواب الجزیل والرحمة الواسعة فی ذلک المکان المبارک.

ولا- یخفی أن فقهاء الشیعة جوّزوا الصلاة بالجماعة خلف أئمة أهل السنة وأکّدوا علی الشیعة الإمامیة أن یحضروا مساجدهم وجماعاتهم لما وردت فی ذلک أحادیث نذکر بعضها:

إسحاق بن عمار قال: قال لی أبو عبد اللَّه علیه السلام: یا إسحاق! أتصلّی معهم فی المسجد؟ قلت: نعم، قال:صلّ معهم فإن المصلّی معهم فی الصف الاول کالشاهر سیفه فی سبیل اللَّه- عزّ وجلّ- (۴).

وقال الصادق علیه السلام: منصلّی معهم فی الصف الأول کان کمنصلّی خلف رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم فی الصف الأوّل (۵).

وقال علیه السلام أیضاً: خالقوا الناس بأخلاقهم،صلّوا فی مساجدهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، وإن استطعتم أن تکونوا الأئمة المؤذنین فافعلوا، فإنّکم إذا فعلتم ذلک قالوا:

هؤلاء الجعفریة، رحم اللَّه جعفراً ما کان أحسن ما یؤدب أصحابه، وإذا ترکتم ذلک قالوا: هؤلاء الجعفریة، فعل اللَّه بجعفر، ما کان أسوء ما یؤدب

۱- ۱ کنز العمال ۱۲: ۱۹۵، ح ۳۴۶۳۳.

۲- ۲صحیح البخاری ۲: ۱۳۶.

۳- ۳ سنن ابن ماجة ۱: ۴۵۰- فضائل مکة: ۱۳۰.

۴- ۴ التهذیب ۳: ۲۷۷.

۵- ۵ من لا یحضره الفقیه ۱: ۳۸۲.

ص: ۱۵۲

أصحابه (۱).

وقال الصادق عليه السلام: إذاصلّيت معهم غفر لك بعدد من خالفك (۲).

ونقل محمد بن مسعود العياشى فى تفسيره عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال:

اتقوا اللَّه، ولا تحملوا الناس على أكتافهم، إن اللَّه يقول فى كتابه:

«وقولوا للناس حسناً» (۳)

قال عليه السلام:

وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، وصلّوا فى مساجدهم ... (۴).

وبما أنصلاة الجماعة فى المسجد الحرام تقام فى يومنا هذا مستديرة ولا يتيسر لكل شخص أداءصلاة الجماعة خلف الإمام وكما هو المتعارف فى المساجد الأخرى، لذلك رأينا أن نبحث هذا الموضوع تأريخياً وفقهياً لما فيه من الأهمية الكبيرة وحتى يطلع القارئ الكريم على ما ورد فيه.

الجماعة بالاستدارة من الناحية التأريخية:

بعد فتح مكة وقدوم المسلمين من المدينة مع رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم وعفو النبيصلى الله عليه و آله و سلم عن أهل مكة بقوله: فإنّى أقول لكم كما قال أخى يوسف، لا تثريب عليكم اليوم يغفر اللَّه لكم وهو أرحم الراحمين ... فاذهبوا فأنتم الطلقاء (۵).

خرج أهل مكة كأنما نشروا من القبور ودخلوا فى الإسلام. وفى تلك الفترة من الزمان لم تكن ساحة المسجد الحرام واسعةً كما نرى نحن الآن، بل كانت ضيّقة جدّاً. هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان عدد من قدم مكّة مع رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم أكثر من عشرة آلاف نسمة، كما كان عدد أهل مكة فى سنة الفتح أكثر من ألفين، فصار عدد القادمين والمقيمين أكثر من ۱۲ ألف شخص.

هنا سؤالان:

۱- أكان المصلّى فى ذلك الزمان لهذا الجمع الغفير، نفس المسجد الحرام أو مكاناً آخر؟

۲- ماهى كيفية إقامة الصلاة

۱- ۱ من لا يحضره الفقيه ۱: ۳۸۳.

۲- ۲ المصدر نفسه ۱: ۵۶۸.

۳- ۳ البقرة: ۸۳.

۴- ۴ تفسير العياشى ۱: ۴۸.

۵- ۵ سفينة البحار ۲: ۳۴۲- ۳۴۳.

ص: ۱۵۳

بالجماعة فی تلک السنة؟ أکانت بالاستدارة، أم کانت تقام فی جهة من الجهات الأربع للکعبة المشرّفة؟.

ولأجل أن یتّضح المطلب للقارئ الکریم لابدّ من أن أشیر إلی جانب من تأریخ توسعة المسجد الحرام فیصدر الإسلام والقرون اللاحقة له:

قال باسلامة المکی: کان المسجد الحرام منذ بنی إبراهیم الخلیل مع ابنه إسماعیل علیهما السلام الکعبة المعظمة إلی أن آل أمر مکة المکرمة إلی قصی بن کلاب الجدّ الخامس لنبیّنا محمدصلی الله علیه و آله و سلم عبارة عن فسحة واسعة حول الکعبة المعظمة، لم یکن حول الکعبة المعظمة دور مشیدة، أو جدار محاطة بالمسجد الحرام، حیث کانت القبائل التی قطنت مکة من عمالقة، وجرهم، وخزاعة، وقریش، وغیرهم یسکنون شعاب مکة ویترکون ما حول الکعبة المعظمة احتراماً لها وتعظیماً لشأنها ... فلمّا آل الأمر إلی قصی واستولی علی مکة ...

جمع قصی قومه بطون قریش وأمرهم أن یبنوا بمکة حول الکعبة المعظمة بیوتاً من جهاتها الأربع ... فبنت قریش دورها حول الکعبة المعظمة وشرعت أبوابها إلی نحو الکعبة المعظمة، وترکوا للطائفین مقدار مدار المطاف، وجعلوا بین کلّ دارین من دورهم مسلکاً شارعاً فیه باب یسلک منه إلی المطاف، وجعلوا بناء الدور مدوّرة ولم تکن مربعة الشکل، حتی لا یکون بینها بین الکعبة المعظمة شبه فی البناء من جهة التربیع (۱).

وقال إبراهیم رفعت پاشا فی کتابه مرآة الحرمین: ذکر الأزرقی والإمام أبو الحسن الماوردی وغیرهما أن المسجد الحرام من عهد النبیّصلی الله علیه و آله و سلم وأبی بکر لیس علیه جدار یحیط به، وکانت الدور محدقة به من کل جانب وبین الدور أزقة یدخل منها الناس، وکانت حدوده حدود المطاف الآن، وهوعلی ذلکمن عهد إبراهیم علیه السلام (۲).

وأنت أیها القارئ الکریم تری أن الساحة کانت بمقدار حدّ المطاف

۱- ۱ تأریخ عمارة المسجد الحرام: ۵- ۶.

۲- ۲ مرآة الحرمین ۱: ۲۳۵.

ص: ۱۵۴

(۵/ ۲۶ ذراعاً) ولا يمكن إقامةصلاة الجماعة فى أحد الجهات الأربع عند كثرة الناس.

ويأتى ما يؤيّد هذا المطلب إن شاء اللَّه.

وقال باسلامة المكى فى موضع آخر من كتابه أيضاً:

إنه لم يكن قبل الإسلام ذكر للمسجد الحرام وإنما كل ما يكون هو مدار الطواف حول الكعبة المعظمة، وذلك لأنه لم يكن فى التشريع الجاهليصلاة يؤدونها حول الكعبة المعظمة وإنما كان المعتاد عند العرب فى جاهليتها الطواف حول الكعبة المعظمة فقط ... فلمّا جاء الإسلام وانبثق نوره واعتنقه أفراد من أهل مكة كان من أسلم منهم يستخفى بصلاته عن المشركين فى داره وفى شعاب مكة لئلا يؤذوه، وذلك قبل الهجرة ولم يصّل أحد منهم حول الكعبة المعظمة إلّاعلى سبيل النادر ... ومكثت مكة على هذا الحال إلى عام الفتح سنة ثمان من الهجرة. فلمّا فتح رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم مكة منع المسلمين من الهجرة بقوله: «لا هجرة بعد الفتح» فصار بعد ذلك يقيم المسلمونصلاتهم حول الكعبة جهاراً، غير أنه كان سكّان مكة قليلين جداً وهم عبارة عن عدد وجيز؛ لأن معظم أهلها قد التحقوا بعد الهجرة بالجيوش الإسلامية لأداء فريضة الجهاد، والذب عن دين الإسلام ... ولذلك لم يكن فى العصر النبوى ولا فى خلافة أبى بكر احتياج إلى توسعة المسجد الحرام؛ لأن سعة مدار المطاف كان كاف لصلاة المسلمين المقيمين بمكة، ولم يقع فيه ضيق على المصلين يلجئهم إلى توسيعه.

ولهذه الأسباب المتقدم ذكرها لم يقع فى المسجد الحرام زيادة ولا سعة ولا تغيير ولا تبديل (۱).

وحينما كثر الحجاج والمقيمون بمكة المكرمة، وقعت ولأول مرّة زيادة فى المسجد الحرام فى سنة ۱۷ هجرية ثم وقعت الزيادة الثانية فى سنة ۲۶ هجرية. وأما الزيادة الثالثة كانت فى

۱- ۱ تأريخ عمارة المسجد الحرام: ۷- ۹.

ص: ۱۵۵

عهد عبد اللَّه بن الزبير سنة ۶۵ هجرية وهى أكثر ما زيد فى ساحة المسجد الحرام. لأن الأزرقى روى أن مساحة المسجد الحرام فى زمان ابن الزبير تسعة أجربة وشىء ....

وعليه فتكون مساحة الجريب الواحد ۳۶۰۰ ذراع مربع وبذلك يكون مساحة المسجد الحرام فى زمان ابن الزبير اثنين وثلاثين ألف ذراع، وأربعمائة ذراع مربع وذلك حسب ما ذكره الأزرقى، وبموجب ذلكصار سعة المسجد الحرام فى عصر عبد اللَّه بن الزبير نحو ربع مساحة المسجد الحرام التى هو عليها فى العصر الحاضر (۱) أو تزيد قليلًا (۲).

وبما أن المسجد الحرام أفضل بقاع الأرض وقبلة المسلمين فى أرجاء العالم كلّه فقد تشرف الخلفاء والملوك والسلاطين بعمارته وتوسعته، حتى أنه قد زيد فى المسجد الحرام من سنة ۱۷ هجرية إلى سنة ۳۰۶ هجرية، ثمانى زيادات، ولا تزال هذه الزيادات والتوسيعات إلى الآن.

ونلاحظ فى الملحق رقم: ۵ من كتاب الأزرقى، أنه كانت مساحة المسجد الحرام قبل التوسعة فى عام ۱۳۷۵ هجرية، ۲۹۱۲۷ متراً مسطحاً وبعد التوسعة التى حدثت فى عام ۱۳۷۵ هجريةصار مجموع مساحة المسجد ۱۶۰۱۶۸ متراً وهى مساحة تتسع لأكثر من ۳۰۰ ألف من المصلين فى وقت واحد، يؤدونصلاتهم فى سعة واطمئنان وفى إمكانهم مشاهدة الكعبة المشرفة مهما بعدت أمكنتهم (۳).

فتبيّن من جميع ذلك أن سعة المسجد الحرام كانت فيصدر الإسلام بمقدار حدّ المطاف (۵/ ۲۶ ذراع)، ثمصارت واسعةً على مرّ العصور إلى أن وصلت مساحة المسجد ۱۶۰۱۶۸ متراً.

وفى التوسعة الأخيرة بلغت المساحة ۳۵۶۰۰۰ متراً وهى مساحة تتسع لأكثر من ۷۷۰ ألف من المصلين فى وقت واحد (۴).

۱- ۱ لا يخفى أن المراد من العصر الحاضر هو قبل سنة ۱۳۵۲ هجرية لأن هذا الكتاب ألّف فى تلك الفترةوطبعت طبعته الأولى فى شهر ذى القعدة سنة ۱۳۵۴ هجرية. ولذلك فالمقايسة كانت قبل التوسعة الكبيرة التى حدثت فى سنة ۱۳۷۵ هجرية.

۲- ۲ انظر إلى الصفحة: ۱۸ من كتاب تأريخ عمارة المسجد الحرام.

۳- ۳ أخبار مكة لأزرقى ۲: ۸- ۳۳۷.

۴- ۴ انظر: فصلنامه ميقات حج بالفارسية العدد ۱۴، الصفحة ۱۹۸، نقلًا عن جريدة «المسلمون» الأسبوعية. ط السعودية.

ص: ۱۵۶

وقوع استدارة المأمومين حول الكعبة المشرفة:

ثم نرجع إلى الكلام فيصلاة الجماعة بالاستدارة فى المسجد الحرام وثبوتها فنقول وباللّٰه التوفيق:

إن استدارة المأمومين حول الكعبة فى المسجد الحرام وقعت من أول زمان ظهر الإسلام ونشر نوره وأعطى البصيرة لأهل مكة بعد فتحها ولذلك أدّعى بعض العلماء والمؤرخين وقوعها فى عصر حياة النبيصلى الله عليه و آله و سلم. قال فى المبسوط: ... به جرى التوارث من لدن رسول اللّٰهصلى الله عليه و آله و سلم إلى يومنا هذا (۱).

وقال السيد الحكيم رحمه الله: ... لكن الظاهر ثبوت السيرة عليه فى عصر المعصومين عليهم السلام، من دون نكير منهم عليهم السلام (۲).

وأما الشيخ الأنصارى رحمه الله بعد عدم قبول حجية تلك السيرة لعدم كشفها عن رضا النبيصلى الله عليه و آله و سلم أو أحد الأوصياء عليهم السلام قال: ... إلّاأن يقال

۱- ۱ المبسوط، لشمس الدين السرخسى ۲: ۷۸.

۲- ۲ متمسک العروة الوثقى ۷: ۲۴۹.

ص: ۱۵۷

عدم بلوغ النكير من واحد منهم عليهم السلام ولا من غيرهم من الصحابة والتابعين، يكشف عن رضاهم عليهم السلام (۱).

صلاة أهل مكة:

قال الفاكهى فى كتابه أخبار مكـة: أخـذ أهل مكـة الصـلاة من ابن جُريـج، وأخذها ابن جُريج من عطاء، وأخذها عطاء من ابن الزبير، وأخذها الزبير عن أبى‌بكر، وأخذها أبوبكر من رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم من جبرئيل عليه السلام (۲).

وأما أبو الوليد الأزرقى فقد نقل خبراً يهمّنا التعرض له وهو:

حدّثنى جدّى عن مسلم بن خالد الزنجى وسعيد بن سالم قالا:

حـدّثنا ابنُ جُريـج قـال: قلت لعطاء: إذا قلّ الناس فى المسـجد الحرام أحبّ اليك أن يصـلّوا خلف المقام أو يكونواصـفّاً واحـداً حول الكعبة؟ قال: بل يكونواصفّاً واحداً حول الكعبة، قال: وتلا:

«وترى الملائكة حافّين من حول العرش» (۳).

ويمكن أن يستظهر من هذا الخبر بعد التأمل والدقة فيه، والاستظهار من بعض الأخبار الأخرى أن أهل مكة حينما اجتمعوا فى المسجد الحرام اجتماعاً ضـخماً للصـلاة بالجماعة، كانوا قد اسـتداروا حول الكعبة المشرفة لضيق المكان؛ لأنه لا محيص منها، إلّاأن يقال بعدم انعقاد الجماعة فى تلك الفترة وعدم وقوعها وهذا بعيد جدّاً إن لم نقل ببطلانه.

مَن أدار الصفوف حول الكعبة المعظمة؟

لم أجد نصّاًصـريحاً بأن رسول اللّهصـلى الله عليه و آله و سـلم كان أول من أدار الصـفوف حول الكعبة المعظمة، ولكنا إذا أمعنا النظر فى القرائن التأريخية التىّ ذكرنا بعضها، وفى هذه الرواية التى نقلها الفاكهى فى كتابه:

... عن أمّسـلمة زوج النبيّصـلى الله عليه و آله و سـلم أنها قالت: شـكوت إلى النبيصـلى الله عليه و آله و سلم أنى أشتكى، فقالصلى الله عليه و آله و سلم: طوفى من وراء

۱- ۱ كتاب الصلوة، الشيخ الأنصارى قدس سره: ۳۵۴.

۲- ۲ أخبار مكة، للفاكهى ۱: ۱۸۲.

۳- ۳ أخبار مكة، للأزرقى ۲: ۶۶.

ص: ۱۵۸

الناس، وقال يعقوب: طوفی من وراء المصلين، قالت: فطفت ورسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم حينئذ يصلى إلى البيت، وهو يقرأ ب «والطور وكتاب مسطور» (۱).

يمكن أن يقال: إن الاستدارة للصلاة بالجماعة حول الكعبة المشرفة وقعت فى الفترات الأولى من نشأة الإسلام، وبما أن رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم أمر هُبيرة بن سِبل بن العجلان أن يصلى بالناس فى زمن فتح مكة (۲)؛ وبما أن الصلاة لا يمكن إقامتها بالجماعة إلّا بالاستدارة، لضيق الساحة المقدسة، فيمكن القول بوقوعها فى تلك الفترة، واللَّه العالم.

نعم، ذكر أبو الوليد الأزرقى أن أول من أدار الصفوف حول الكعبة، خالد بن عبد اللَّه القسرى (۳).

قال رشديصالح ملحس: ذكر السنجارى فى بعض أولياته أن الحَجاج أول من أطاف الناس حول الكعبة للصلاة وكانوا يصلونصفّاً. ونقل الزركشى أن أول من فعله عبد اللَّه بن الزبير؛ ويمكن الجمع بين الكلامين بأن ابن الزبير أولًا ثم خالد بعد قتله (۴).

وقال الفاكهى: ويقال: إن أول من أدار الصفوف حول الكعبة خالد بن عبد اللَّه القسرى.

حدثنا حسين بن حسن، قال:

إن رَوح بن عُبادة، عن ابن جُريح، قال:

أخبرنى عطاء، قال: كان ابن الزبير إذاصلّى بالناس جمعهم أجمعين وراء المقام.

قال: فَعِيب ذلك عليه، فقال له إنسان:

أرأيت إن كان وراء المقام من الناس مالو جمعهم حول البيت أطافوا به واحداً، ولكن فيه فرج أى ذلك أحب اليك؟ فقال: «وترى الملائكة حافّين من حول العرش» (۵)

يقول:صفوفهم حول البيت أحب إلىّ (۶).

هذا كلّه بالنسبة للمائة الأولى من الهجرة النبوية، على مهاجرها آلاف التحيّة والسلام.

وعلى ذلك فإن لم نجد نصاًصريحاً يدّل على إقامة الجماعة بالاستدارة فى زمن الرسولصلى الله عليه و آله و سلم، فلم

۱- ۱ أخبار مكة، للفاكهى ۱: ۲۴۵.

۲- ۲ أخبار مكة للفاكهى ۳: ۲۲۵.

۳- ۳ أخبار مكة، للأزرقى ۲: ۶۵.

۴- ۴ المصدر نفسه ۲: ۶۶.

۵- ۵ الزمر: ۷۵.

۶- ۶ اخبار مكة، للفاكهى ۲: ۱۰۷.

ص: ۱۵۹

نجد نصاً أیضاً علی خلاف ذلک، فلذا اکتفینا بالقرائن التی استعرضناها، والمجال لمن یرید التحقیق لأکثر من ذلک، واسع.

بعدما ولدت المذاهب الأربعة السنّیّة ووقعت الخلافات بینها انتجت المحاریب الأربعة فی المسجد الحرام لأئمتها الأربعة حتی یصلوا فیها.

ولأجل ذلک أقیمت لکل وقت من الأوقات الخمسة للصلوات الواجبة، أربعة جماعات فی الجهات الأربعة للمسجد الحرام، وفی بعض الأحیان إمام خامس لفرقة الزیدیة؛ کان یصلّی بالزیدیین الموجودین فی مکة.

ولایخفی أن صلاة الجمعة وقعت فی تلک الفترة فی المسجد الحرام وکان الإمام لصلاة الجمعة شخصاً واحداً ولم تنعقد الجمعة متعددة وإن وقعت الصلواة الیومیة متعددة.

قال الکردی: ... وأما عندنا بمکة المشرفة، فإنه بعد أن فتحها رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و سلم فی السنة الثامنة للهجرة. ودخل الناس فی دین اللَّه أفواجاً وعبدوا اللَّه تعالی جهاراً لیلًا ونهاراً، أقیمت فیه صلاة الجمعة کبقیة الصلوات، فکان الناس منذ العهد الأول یقیمون صلاة الجمعة بالمسجد الحرام إلی عصرنا الحاضر فلا تتعدد صلاة الجمعة بمکة المشرفة أبداً. وکان الناس یحضرون إلی المسجد الحرام لصلاة الجمعة من أماکن بعیدة، کالمعلّاة والحجون والمعابدة، وکالمسفلة وجرول، یحضرون إلی المسجد الحرام بحبّ ورغبة صیفاً وشتاء، ولو فی شدّة الحرّ والقیظ، بواعز نفسی ودافع دینی، مع وجود مساجد کثیرة فی مکة المکرمة ... (۱).

هذا وقد وصف ابن جبیر صلاة الأئمة فی رحلته إلی مکة المکرمة فی عام ۵۷۸ للهجرة فقال: .... وهم أربعة أئمة سنّیة وإمام خامس لفرقة تسمّی الزیدیة وأشراف هذه البلدة علی مذهبهم وهم یزیدون فی الأذان «حیّ علی خیر العمل» (۲).

۱- ۱ التأریخ القویم ۲: ۲۶۸- ۲۶۹.

۲- ۲ رحلة ابن جبیر: ۷۳.

ص: ۱۶۰

وقال فی رحلته أیضاً:

... ویوضع الشمع بین یدی الأئمة فی محاریبهم. ومحاریب الأئمة هی المقامات التی ذکرنا إنشاءَها فی العهد الفاطمی لیصلّی فیها الأئمة الأربعة (۱).

ولا یخفی أن هذا الشکل من إقامة الجماعة شکل سیيء ومخالف للوحدة الإسلامیة التیّ هی الأساس لتشریع الصلاة بالجماعة ولا یقبله من یعرف القلیل من أولیات أحکام الإسلام فضلًا عن کثیرها. ولأجله أنکر بعض العلماء تعدد الجماعات فی المسجد الحرام فی ذلک العصر.

قال أحمد السباعی: ... وجاء فی حاشیة ابن عابدین علی الدر المختار أن بعض العلماء أنکروا تعدد الجماعات فی ذلک العصر، وأفتوا بعدم جواز ذلک علی المذاهب الأربعة ویشیر ابن ظهیرة أن تعدد الجماعات بقی فی المسجد إلی عهد الشراکسة ثم ألغی، ثم العمل به مرّة أخری؛ أقول: وقد ظلّ العمل به إلی أن ألغی فی عهد الحکومة السعودیة الحاضرة (۲).

فتبین من ذلک کلّه أن تعدد الجماعات فی ساحة المسجد الحرام وقع فی أحیان مختلفة وفی خلال الفترات أقیمت الصلوة مع إمام واحد کان یصلّی بالناس وکان محرابه علی وجه الکعبة.

وحینما وصلت الحکومة بأیدی السعودیین بقی أمر الإمامة للصلوة فی المسجد الحرام علی حالة واحدة، واستدار المأمومون حول الکعبة المشرفة خلف إمام واحد فقط کما نشاهد الآن.

الجماعة بالاستدارة من الناحیة الفقهیة:

بما أن استدارة المأمومین حول الکعبة المشرفة فی ساحة المسجد الحرام من المسائل الفقهیة التی یحتاج المسلمون أن یعلموا الحکم فیها؛ لذلک نری فقهاء الإسلام، قد تعرضوا لها وبحثوا فیها وأعلنوا آراءَهم الفقیهة

۱- ۱ المصدر نفسه: ۷۵.

۲- ۲ تأریخ مکة، أحمد السباعی ۱: ۲۵۰.

ص: ۱۶۱

حولها، ونذكر أوّلًا آراء فقهاء العامة، ثم نذكر أقوال علماء الإمامية واختلاف آرائهم حول هذه المسألة.

علماء أهل السنة وحكمهم فی إدارة الصفوف

لاحظتم قبل قليل ما نقله أحمد السباعی من إفتاء علماء المذاهب الأربعة بعدم جواز تعدد الجماعات فی المسجد الحرام. وأما بالنسبة لجواز استدارة المأمومين خلف إمام واحد فی المسجد الحرام فلم أر من أنكره بين المذاهب الأربعة الستيّة، ولذلك نذكر بعض الأقوال الواردة حول هذه المسألة كنموذج:

قال الشافعی: ولو أمّ إمام بمكة وهم يصلّون بهاصفوفاً مستديرة يستقبل كلّهم إلى الكعبة من جهة كان عليهم- واللّه تعالى أعلم- عندی أن يصنعوا كما يصنعون فی الإمام وأن يجتهدوا حتّى يتأخروا من كلّ جهة عن البيت تأخراً يكون فيه الإمام أقرب إلى البيت منهم وليس يبين؟؟؟ زال عن حدّ الإمام وقربه من البيت عن الإمام إذا لم يتباين ذلك تباين الذين يصلونصفاً واحداً مستقبلی جهة واحدة فيتحرون ذلك كما وصفت، ولا يكون على واحد منهم إعادةصلاة حتى يعلم الذين يستقبلون وجه القبلة مع الإمام أن قد تقدموا الإمام وكانوا أقرب إلى البيت منه. فإذا علموا أعادوا ... وهكذا لوصلّى الإمام بالناس فوقف فی ظهر الكعبة أو أحد جهتها غير وجهها، لم يجز للذين يصلّون من جهته إلّاأن يكونوا خلفه، فإن لم يعلموا أعادوا وأجزأ منصلّى من غير جهته، وإنصلّى وهو أقرب إلى الكعبة منه (۱).

هذا القولصريح فی جواز الصلاة مستديرة بشرط أن لا يكون المأموم أقرب إلى الكعبة من الإمام، وإذا كان كذلك فعلى المأموم إعادةصلاته. ويستفاد من هذا القول أيضاً إجزاءصلاة المأموم فيما إذا كان أقرب

۱- ۱ كتاب الأُمّ. للشافعی ۱: ۱۷۰. دار المعرفة، بيروت- لبنان.

ص: ۱۶۲

إلى الكعبة من الإمام بشرط أن يكون فى جهة غير جهته التيصلّى فيها الإمام.

وقال فى المبسوط: وإذاصلّى الإمام بالناس فى المسجد الحرام وقف فى مقام إبراهيم وتحلق الناس حول الكعبة يقتدون به فيجزيهم، به جرى التوارث من لدن رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم إلى يومنا هذا.

والأصل فيه قوله تعالى: «فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام» گوالقوم كلّهم قد استقبلوا القبلة، وواحد منهم لم يتقدم الإمام فى مقامه فيجزيهم إلّامن كان ظهره إلى وجه الإمام، وكان مستقبلًا الجهة التى استقبلها الإمام، وهو أقرب إلى حائط الكعبة من الإمام، فهذا متقدم على الإمام فلا يصح اقتداؤه به (۱).

وأنت كما ترى يصرّح هذان القولان، بصحّة الصلاة بالاستدارة حول الكعبة المشرفة وإجزائها عن المأمومين.

فقهاء الشيعة الإمامية وآراؤهم حول استدارة المأمومين.

إن فقهاء الإمامية اختلفوا فى حكم استدارة المأمومين فى المسجد الحرام، فمنهم من قال بالجواز مطلقاً، ومنهم من قال به فى موارد التقية، ومنهم من قال بعدم الجواز كالعلامة رحمه الله فى جملة من كتبه، ومن تبعه، وتوقف بعض آخر فى حكمها وأفتى بالاحتياط لعدم وجود نصّ عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم والأئمة المعصومين عليهم السلام، كصاحب الحدائق الناضرة رحمه الله حيث قال:

الثالث: اختلف الأصحاب (رضوان اللّه عليهم) فى جواز استدارة المأمومين حول الكعبة فى المسجد الحرام، فنقل عن ابن الجنيد القول بجواز ذلك، بشرط أن لا يكون المأموم أقرب إلى الكعبة من الإمام، وبه قطع الشهيد فى الذكرى محتجاً بالإجماع عليه عملًا فى كلّ الأعصار السالفة، ونقل عن العلامة فى جملة من كتبه منع ذلك، وأوجب وقوف المأموم فى

۱- ۱ المبسوط، لشمس الدين السرخسى ۲: ۷۸، دار المعرفة بيروت- لبنان.

ص: ۱۶۳

الناحيـة التى فيها الإمام بحيث يكون خلفه أو إلى جانبه كما فى غير المسـجد، واحتج عليه فى المنتهى بأن موقف المأموم خلف الإمام أو إلى جانبه وهو إنما يحصل فى جهـة واحـدة فصـلاة من غايرها باطلـة، وبأن المأموم مع الاسـتدارة إذا لم يكن واقفاً فى جهـة الإمام يكون واقفاً بين يـديه فتبطلصـلاته. أقول: لم أقف فى هذا المقام على نصّ عنهم عليهم السـلام وطريق الاحتياط فيما ذهب إليه العلامة (أجزل اللّٰه تعالى إكرامه) واللّٰه العالم (۱).

فصاحب الحدائق وإن لم يصـرّح بالمنع إلّاأنه اختار طريق الاحتياط فيما ذهب إليه العلامة رحمه الله وهو منع جواز اسـتدارة المأمومين حول الكعبة المشرفة وبطلانصلاتهم إذا لم يكونوا واقفين خلف الإمام.

وأما من قال بالمنع كالعلامـة رحمه الله فإنه ذكر أن حصول الجماعـة منوط بالموقف الـذى يقف فيه الإمام ثم إن وقف المأموم خلف الإمام أو إلى جانبه فى جهة واحدة فيحصل بذلكصورة الجماعة وإلّا فصلاة من غايرها باطلة.

هـذا، وقصارى ما يمكن أن يقال: إن العلامـة رحمه الله ومن تبعه فى هذا الحكم، لم يفرّقوا بين المسـجد الحرام والصـلوة حول الكعبة المشرفة وبين ساير الأماكن والمساجد الأخرى، سواء أكانت قريبة أم بعيدةً عن الكعبة المشرّفة والقبلة. مع أنه يمكن أن يقال:

إن الخصوصـية التى تكون فى المسـجد الحرام تقتضـى أن تؤدى الصـلوة فيه مع الجماعـة مسـتديرة بشـرط أن يكون الإمـام أقرب من المأمومين إلى الكعبة المعظمة، وبذلك يحصل عنوان الإمامة، فى أن المأمومين كانوا متأخرين عنه بالنسبة إلى الكعبة المعظمة وإن لم يكونوا واقفين خلفه أو إلى جانبه، أضف إلى ذلك أنّ العرف يشـهد بأن ذلك الشـخص الـذى يكون أقرب إلى الكعبـة المعظمـة أمّ وصلّى بالناس، والناسصاروا مأمومين بالنسبة له.

وسترى قول بعض الأعاظم

۱- ۱ الحدائق الناضرة ۱۱: ۱۱۸- ۱۱۹.

ص: ۱۶۴

القائلين بالجواز: إن الأئمة عليهم السلام رأوا إدارة الصفوف ولم ينكروا تلك الصورة من الجماعة وهذا يدلّ على جوازها أيضاً.

وقال الشيخ الأنصارى رحمه الله:

«... نعم هنا كلام آخر فى أصل جواز استدارة المأمومين من جهة كون الجماعة هيأة توقيفية لابد من الاقتصار فيها على المتيقن وهو ما إذا لم يتقدم المأموم على الإمام عرفاً وإن لم يكن تقدم بالنسبة إلى الجهة التى توجّها إليها أعنى الكعبة.

بيانه: أن التقدم قد يلاحظ بالنسبة إلى جهة خاصة من الجهات المطلقة المنتهية إلى محدّد الجهات، وبهذا الاعتبار يقال لكلّ من الإمام والمأموم المتقابلين أنه متقدم عليصاحبه بالنسبة إلى الجهة التى توّجه إليها، وقد يلاحظ بالنسبة إلى جهة الكعبة وحينئذٍ لا يصدق على أحد المتقابلين التقدم عليصاحبه؛ لأنهما متوجهان معاً إلى جهة واحدة، وحيث إن معاقد الإجماعات على عدم تقدم المأموم ظاهرة فى إرادة التقدم العرفى وهو الملحوظ بالنسبة إلى مطلق الجهة ولا- أقل من احتمالها، وحينئذ فمجرد كون المأموم متقدماً على الإمام باعتبار ملاحظة وجهة الإمام يكفى فى البطلان، وإن كان الإمام أيضاً متقدماً على المأموم بملاحظة وجهته، فتأمل.

وأما ما ادّعاه فى الذكرى من الإجماع عليه فى كلّ الأعصار فهو مسلّم إلّاأن حجية تلك السيرة محل تأمل؛ لعدم كشفه عن رضا النبى أو أحد الأوصياءصلوات اللَّه عليه وعليهم، إلّاأن يقال عدم بلوغ النكير من واحد منهم عليهم السلام ولا- من غيرهم من الصحابة والتابعين يكشف عن رضاهم عليهم السلام والمسألة لا تخلو من إشكال كمسألةصلوة المأموم فى جوف الكعبة مع توجّهه إلى الجهة المقابلة لجهة الإمام. واللَّه العالم ثم رسوله ثم أوصياؤه الكرامصلوات اللَّه عليهم (۱).

۱- ۱ كتاب الصلوة، للشيخ مرتضى الأنصارى قدس سره: ۳۵۴.

ص: ۱۶۵

وأنت ترى أن الشيخ الأعظم رحمه الله بعد أن تأمّل فى حجية السيرة قال: إلّا أن يقال عدم بلوغ النكير من المعصومين عليهم السلام يكشف عن رضاهم، والمسألة لا تخلو من إشكال. فهو رحمه الله اعترف بعرفية استدارة المأمومين إذا لم يتقدم المأموم على الإمام، مع أنه لم يفت بشىء فى هذه المسألة، بل ركّزها (كما هو دأبه وديدنه) باحتمالات يمكن أن يستفيد منها المحقق على الجواز، واللَّه العالم.

أدلة الجواز والقائلون به:

نقل عن ابن الجنيد (۱) والإسكافى (۲) والشهيد فى الذكرى، جواز استدارة المأمومين حول الكعبة المشرّفة بشرط أن لا يكونوا أقرب إلى الكعبة من الإمام عملًا بالأصل والإطلاقات والإجماع. ووافقهم فى ذلك الكثير من الفقهاء، وبما أن لهذه المسألة أهمية بالغة وهى محلّ للابتلاء، فلذلك ننقل ما عثرنا عليه من الأقوال والآراء حول هذه المسألة وباللَّه تعالى التوفيق:

قال المولى أحمد النراقى رحمه الله:

فرعٌ: يجوز استدارة المقتدين بإمام واحد حول الكعبة بشرط أن لا يكونوا أقرب إلى الكعبة من الإمام وفاقاً للمحكى عن الإسكافى والذكرى مدّعياً عليه الأخير للإجماع، للأصل والاطلاقات، وخلافاً للفاضل فى جملة من كتبه فأوجب وقوف المأموم فى الناحية التى فيها الإمام لوجهٍ غير تام (۳).

وقالصاحب الجواهر رحمه الله:

... وكيف كان فالأقويصحة الجماعة مع الاستدارة، والأحوط عدم أقربية المأموم فيها إلى الكعبة بحسب الدائرة. وأحوط منه ملاحظة الكعبة مع ذلك، وأحوط منه أقربية الإمام إليها دائرة وعيناً، واللَّه أعلم (۴).

وقال السيد اليزدى،صاحب العروة الوثقى رحمه الله فى بحثصلاة الجماعة: المسألة ۲۴: يجوز- على

۱- ۱ أنظر الحدائق الناضرة ۱۱: ۱۱۸.

۲- ۲ أنظر مستند الشيعة، للنراقى: ۵۳۳.

۳- ۳ مستند الشيعة، للمولى أحمد النراقى رحمه الله ت ۱۲۴۵ ه: ۵۳۳، أحكام الجماعة.

۴- ۴ جواهر الكلام، للشيخ محمد حسن النجفى رحمه الله ت ۱۲۶۶ ه، ۱۳: ۲۳۰.

ص: ۱۶۶

الأقوی- الجماعة بالاستدارة حول الكعبة، والأحوط عدم تقدم المأموم على الإمام- بحسب الدائرة- وأحوط منه عدم أقربيته مع ذلك إلى الكعبة، وأحوط من ذلك تقدم الإمام- بحسب الدائرة- وأقربيّته مع ذلك إلى الكعبة (۱).

وقال الإمام الراحل الخمينى الكبير- سلام اللّه عليه- فى جواب مسألة: رجلٌصلّى فى المسجد الحرام على نحو الاستدارة ووقف فى الصلاة مقابل الإمام أو فى طرفيه هل هذه الصلاة تحتاج إلى الإعادة أم لا؟

قال رحمه الله: لا تحتاج فى الوضع الراهن إلى الإعادة (۲).

ولا يخفى أن الإمام الخمينى رحمه الله قال سابقاً فى حاشيته على العروة الوثقى فى ذيل هذه المسألة (الجماعة بالاستدارة): لا يخلو من إشكال (۳).

وقال السيد الحكيم رحمه الله:

... وعن الذكرى الإجماع عليه عملًا فى الأعصار السابقة، وهو العمدة ... لكن الظاهر ثبوت السيرة عليه فى عصر المعصومين عليهم السلام، من دون نكير منهم عليهم السلام- كما أشار إليه فى محكى الذكرى- فيكون دليلًا على الصحة فى قبال ما ذكر (۴).

وقال السيد الميلانى رحمه الله فى تعليقته على هذه المسألة:

الظاهر أن الأقربية (إلى الكعبة) هى ملاك التقدم لا أنهما أمران (۵).

وقال السيد الگلپايگانى رحمه الله:

يجوزصلاة الجماعة بالاستدارة، والأحوط أن لا يتقدم المأموم بحسب الدائرة على الإمام ... (۶).

وقال الشيخ محمد على الأراكى رحمه الله: يجوز الجماعة الاستدارة حول الكعبة بشرط تأخر المأموم عن موضع سجدة الإمام وعدم أقربيته من الكعبة عنه بحسب الدائرة (۷).

وقال الأستاذ الشيخ محمد الفاضل اللنكرانى:

إنصلّيصلاة الجماعة بالاستدارة مراعياً التقيّة فصلاته

۱- ۱ العروة الوثقى ۱: ۷۸۳.

۲- ۲ مناسك الحج محشى: ۴۳۲- ۴۳۳.

۳- ۳ العروة الوثقى ۱: ۷۸۳.

۴- ۴ مستمسك العروة الوثقى ۷: ۲۴۸- ۲۴۹.

۵- ۵ العروة الوثقى ۱: ۷۸۳.

۶- ۶ مناسك الحج محشى: ۴۳۳.

۷- ۷ المصدر نفسه.

ص: ۱۶۷

صحيحة وليس عليه الإعادة، ولا يجوز فى غير موردها (۱).

وقال الإمام الخامنئى فى جواب هذه المسألة كما يلى:

س ۱۰۰: هل تجزيصلاة الجماعة التى تقام بشكل دائرى حول الكعبة؟

ج: تجزى.

نتيجة البحث:

۱- لا نرتاب فى فضل الصلاة بالجماعة لما فيه من الأحاديث الكثيرة حول فضلها وتأكيدها.

۲- قد بيّنا فضل الصلاة فى المسجد الحرام، خصوصاً إذا كانت مع الجماعة.

۳- ذكرنا فضل الاقتداء فى الصلاة بأهل السنة.

۴- من الناحية التأريخية ذكرنا أن ساحة المسجد الحرام كانت على حدّ المطاف (۵/ ۲۶ ذراعاً) فقط ثمصارت واسعة لمرات عديدة على مرّ العصور حتى بلغت ۳۵۶۰۰۰ متراً وهى مساحة تتسع لأكثر من ۷۷۰ ألف من المصلين فى وقت واحد.

۵- استفدنا من بعض النصوص التأريخية وقوع الصلاة جماعة فى المسجد الحرام وبالاستدارة حول الكعبة المشرفة منصدر الإسلام. واستفدنا من بعض النصوص أيضاً أن مَن الذى أدار الصفوف أوّلًا حول الكعبة المشرفة؟

۶- نقلنا عن الفاكهى والأزرقى أن خالد بن عبد اللّه القسرى هو أول من أدار الصفوف حول الكعبة.

۷- ذكرنا ما جرى فى المسجد الحرام من تعدد الجماعات لكل وقت من أوقات الصلوات المفروضة فى فترةٍ وإنكار العلماء له فى فترةٍ أخرى.

۸- بيّنا أنصلاة الجمعة انعقدت فى المسجد الحرام من دون تعدد لكل جمعة حتى فى فترة التعدد ووجود المحاريب الأربعة فيه ولم يمكن وقوعها إلّامستديرة.

۱- ۱ المصدر نفسه.

ص: ۱۶۸

۹- من الناحية الفقهية ذكرنا أقوال علماء العامة والخاصة وقلنا إن أهل السنة أجمعوا على جواز استدارة المأمومين حول الكعبة اقتداءً بإمام واحد.

وذكرنا أيضاً أقوال العلماء والفقهاء الشيعة بين متوقف، ومحتاط، ومنكر، ومجيز وقوّينا قول الُمجيزين لما فيه من المتانة، وأن هيئة الجماعة فى المسجد الحرام خاصة به، ويصدق عرفاً أن هذه الهيئة من الجماعة هيئةصحيحة لا بأس بها بشرط أن لا يكون المأموم أقرب من الإمام إلى الكعبة المشرفة.

وبما أنصلاة الجماعة بالاستدارة وقعت قطعاً فى عصر الأئمة المعصومين عليهم السلام ولم ينكروا هذا الأمر، سلكنا طريق الجواز.

فعدم الإنكار منهم عليهم السلام أوّلًا وتصديق العرف لتلك الهيئة من الجماعة حول الكعبة ثانياً وإفتاء الأعاظم من الفقهاء على الجواز ثالثاً هى الدلائل التى لا يمكن غض النظر عنها، واللّه تعالى هو العالم بحقائق الأمور.

وفى الختام أرجو من الأفاضل والعلماء أن يبحثوا ويتفحّصوا فى أمثال هذه البحوث التى لم يوجد نص قطعى حولها ولما فيها من الفوائد المهمة وإنصَعب الفحص فيما لا نصّ فيه.

ص: ۱۶۹

الهوامش:

هل طاف النبیُّ صلی الله علیه و آله و سلم حول الأصنام فی عمرهٔ القضاء

ص:۱۷۰

ص: ۱۷۱

هل طاف النبیُّصلی الله علیه و آله و سلم حول الأصنام فی عمرة القضاء؟

محمد هادی الیوسفی

أفاد الشیخ المفید فی «الإرشاد» فی فصل خصّه بصلح الحدیبیة قال: لما ضرع سهیل بن عمرو إلی النبیّصلی الله علیه و آله و سلم فی الصلح، نزل علیه الوحی بالإجابة إلی ذلک، وأن یجعل أمیر المؤمنین علیه السلام کاتبه یومئذٍ والمتولی لعقد الصلح بخطّه (۱)فقال لعلی علیه السلام: اکتب: بسم اللَّه الرحمن الرحیم.

فقال سهیل: ما أدری ما الرحمن .. إلّاأنّی أظنّه هذا الذی بالیمامة، ولکن أُکتب کما نکتب: باسمک اللّهمّ [فکتب: باسمک اللّهمّ].

فقال: واکتب: هذا ما قاضی علیه رسولُ اللَّه سهیلَ بن عمرو.

فقال سُهیل: فعلام نقاتلک یا محمد؟!

فقالصلی الله علیه و آله و سلم: أنا رسول اللَّه وأنا محمد بن عبد اللَّه.

فقال الناس: أنت رسول اللَّه (۲).

فقال سهیل بن عمرو: لو علمنا أنک رسول اللَّه ما حاربناک. اکتب: هذا ما

۱- ۱ الارشاد ۱: ۱۱۹، وأشار الیه الحلبی فی مناقب آل أبی طالب ۱: ۲۰۳ ط قم المقدسة.

۲- ۲ روضة الکافی عن الصادق علیه السلام: ۲۶۸، ۲۶۹ ط النجف الأشرف.

ص: ۱۷۲

تقاضی علیه محمد بن عبد اللَّه. أتأنف من نسبک یا محمد؟!

فقال رسول اللَّه: أنا رسول اللَّه وإن لم تُقرّوا. ثم قال: امحُ یا علی واکتب: محمد بن عبد اللَّه.

فقال أمیر المؤمنین علیه السلام: ما أمحو اسمک من النبوة أبداً! فمحاه رسول اللَّه بیده.

ثم کتب [علی علیه السلام]:

«هذا ما اصطلح علیه محمد بن عبد اللَّه والملأ من قریش وسهیل بن عمرو، اصطلحوا علی:

۱- وضع الحرب بینهم عشر سنین (۱)علی أن یکفّ بعض عن بعض وعلی أنه لا إسلال ولا إغلال (۲) وأن بیننا وبینهم غیبة مکفوفة.

۲- وأنه من أحبّ أن یدخل فی عهد محمد وعقده فعل، وأنّ من أحبّ أن یدخل فی عهد قریش وعقدها، فعل.

۳- وأنه من أتی من قریش إلی أصحاب محمد بغیر إذن ولیّه یردّوه الیه، وأنه من أتی قریشاً من أصحاب محمد لم یردّوه الیه.

۴- وأن یکون الإسلام ظاهراً بمکة، لا یُکره أحد علی دینه ولا یؤذی ولا یُعیّر.

۵- وأن محمداً یرجع عنهم عامه هذا، وأصحابه، ثم یدخل فی العام القابل مکة، فیقیم فیها ثلاثة أیام. ولا یدخل علیها بسلاح الا سلاح المسافر: السیوف فی القِراب» وشهد علی الکتاب المهاجرون والأنصار، وکتب علی بن أبی طالب (۳).

کذا ذکر شروط الصلح القمی فی تفسیره، وکذا فی سائر مصادر السیرة والتاریخ، وزاد فی «تفسیر العیاشی» فی خبر عن الإمام الصادق علیه السلام قال: «کان من شرط رسول اللَّه علیهم: أن یرفعوا الأصنام ..» (۴) أی فی هذه الأیام الثلاثة

۱- ۱ وکذلک فی روایة الطبرسی فی مجمع البیان ۹: ۱۷۹ عن الزهری عن المسور بن مخرمة، وذکر الحلبیفی المناقب ۱: ۲۰۳: سبع سنین. والیعقوبی ۲: ۵۴: ثلاث سنین. ط بیروت.

۲- ۲ الاسلال: سل السیف، والإغلال من الغُل أی الأسر.

۳- ۳ تفسیر القمی ۲: ۱۱۳ ط النجف الأشرف.

۴- ۴ تفسیر العیاشی ۱: ۷۰.

ص: ۱۷۳

موعد قضاء عمرته والمسلمین معه. وسنعود علی دراسة هذا الشرط.

عمرة القضاء:

فلما دخل هِلال ذی القعدة من سنة سبع، أمر رسول اللَّه الذین شهدوا معه الحدیبیة أن لا یتخلّف أحد منهم عن قضاء عمرتهم معه هذه السنة (السابعة) وسمح لمن لم یکونوا معه.

فروی الواقدی بسنده عن ابن عباس قال: فقال رجل من حاضری المدینة من العرب: یا رسول اللَّه، ما لَنا من یُطعمنا؟

فأمر رسول اللَّه المسلمین أن یتصدّقوا علیهم فی سبیل اللَّه.

فقالوا: یا رسول اللَّه، بِمَ نتصدق وأحدنا لا یجد شیئاً؟

فقال رسول اللَّه: بما کان، ولو کان بِشقّ تمرة، ولو بِمِشقص (۱) یحمل به أحدکم فی سبیل اللَّه (۲).

واستقدم رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم ستین بدنة، ثم قام فقلّدها بنفسه بیده، ثم أمر ناجیة بن جُندب الأسلمی ومعه أربعة فتیان من بنی أسلم، وعُبید بن أبی رُهْم الغفاری، وأبو هریرة الدوسی- وقد قدم علی النبی فی خیبر تلک السنة- فساقوا هَدْی رسول اللَّه، یسیرون أمامه یطلبون الرَعی فی الشجر والکلاء والمَرعی.

وأمر رسول اللَّه محمد بن مَسلمة الأنصاری فأعدّ مئة فرس.

وأمر بشیر بن سعد أن یُعدّ بیضاً ودروعاً ورماحاً وسلاحاً لتلک الکتیبة.

فقیل: یا رسول اللَّه! حملت السلاح! وقد شرطوا علینا أن لا ندخل علیهم إلا بسلاح المسافر: السیوف فی القُرُب؟!.

فقال رسول اللَّه: إنا لا نُدخلها علیهم الحرم، ولکن تکون قریباً منّا، فإن هاجَنا هَیْجٌ من القوم کان السلاح قریباً منّا.

۱- ۱ المِشقص: نصل السهم الطویل غیر العریض.

۲- ۲ تمام الخبر: فأنزل اللَّه فی ذلک قوله سبحانه: «وأنفقوا فی سبیل اللَّه ولا تُلقوا بأیدیکم إلی التهلکة، وأحسِنوا، إن اللَّه یحبّ المحسنین» البقرة: ۱۹۵. وقبلها آیة الشهر الحرام، وبعدها خمس آیات فی الحج، وهذا یتلاءم وفحوی الخبر، ولعل هذا مما یفسّر کون الآیات من سورة البقرة بأنها أُلحقت بالبقرة فیما بعد.

ص: ۱۷۴

وخرج المسلمون ألْفین (۱) وأحرم رسول اللَّه من الجُحفة (۲) وسار رسول اللَّه یلبّی ویلبّی المسلمون معه.

وفی مَرّ الظَّهْران التقی نفر من قریش بمحمد بن مَسلمة وبشیر بن سعد فرأوا معه سلاحاً کثیراً، فخرجوا سِراعاً فأخبروا قریشاً بالذی رأوا من الخیل والسلاح.

وفی بَطْن یأجَج قُرب أنصاب الحرم تلاحق النبیّ فی أصحابه والهَدْی والسلاح.

مبعوث قریش:

وبعثت قریش مِکرز بن حفص بن الأحنف فی نفر من قریش، فالتقوا بالنبیّ فی بطن یأجَج، فقالوا:

یا محمد! واللَّه ما عُرفْتَ-صغیراً ولا کبیراً- بالغدر، تَدخل بالسلاح الحرم علی قومک وقد شرطت أن لا تدخل الا بسلاح المسافر: السیوف فی القُرُب؟!

فقال رسول اللَّه: لا ندخلها الا کذلک.

فرجع مِکرز الی مکة مُسرعاً یقول لهم: إنّ محمداً لا یدخل بسلاح، وهو علی الشرط الذی شرط لکم.

ثم خلّف علی السلاح هناک فی بطن یأجَج مئتی رجل، وجعل علیهم أوس بن خَوْلیّ.

وأمر رسول اللَّه أن یذهبوا بالهَدْی أمامَه فیحسبوه فی ذی طُوی. وخلّف مئتی رجل علی السلاح علیهم أوس بن خَوْلیّ.

وخرج رسول اللَّه علی ناقته القَصْواء (۳) وأصحابه محدقون به متوشّحین

۱- ۱ مغازی الواقدی ۲: ۷۳۱- ۷۳۳.

۲- ۲ فروع الکافی ۴: ۲۵۱ و ۲۵۲ ح ۱۰ و ۱۳؛ وکتاب من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۷۵ ح ۷؛ وفی مغازی الواقدی: أحرم من باب المسجد ۲: ۷۳۳ و ۷۳۴.

۳- ۳ سیأتی عن الصادق علیه السلام أن الناقة کانت العَضباء.

ص: ۱۷۵

السیوف یلبّون، حتی انتهی إلی ذی طُوی، ولهم یقطع التلبیة حتی بلغ عروش مکة (۱) ثم دخل من الثنیّة التی تطلع علی الحَجون.

وقالت قریش: لا ننظر إلیه ولا إلی أصحابه، فخرجوا من مکة إلی رؤوس الجبال (۲) وقد رفعوا الأصنام حسب شرط الصلح (۳).

وروی ابن اسحاق عن ابن عباس: أن جمعاً اصطفّوا له عند دار الندوة لینظروا الیه والی أصحابه- وتحدّثوا فی ما بینهم: أنّ محمداً وأصحابه فی عسرة وجَهد وشدة! (۴) فدخل مکة حتی طاف بالبیت.

فروی الکلینی فی «الکافی» بسنده عن الصادق علیه السلام قال: طاف رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم علی ناقته العَضباء، وجعل یستلم الارکان (والحجر) بمحجنه ویُقبّل المِحجَن (۵).

وطاف علی راحلته حتی ینظر الناس الی هیئته وشمائله وقال: خذوا عنّی مناسککم. وکان تحته رَحْلٌ رثٌّ، وقطیفة قیمتها أربع دراهم (۶).

وکان عبد اللّه بن رَواحة آخذاً بخطام راحلة الرسول وهو یقول:

خلّوا بنی الکفّار عن سبیله خلّوا، فکل الخیر فی رسوله

یا ربّ إنی مؤمن بقیله (۷) أعرف حقّ اللّه فی قبوله (۸) فنهَره عمر بن الخطّاب قال: یابن رواحة! فردّ علیه رسول اللّه قال: یا عمر؛ إنی أسمع!.

فلما أتم الشوط السابع نزل فصلی رکعتی الطواف خلف مقام إبراهیم علیه السلام (۹).

ثم رکب راحلته فسعی بین الصفا والمروة علی راحلته، فلما أتم المشوار السابع عند المروة نحرَ هدْیَه هناک، أو بین المروة والصفا، وقال: هذا المنحَر، وکل فجاج مکة منحر (۱۰) ثم حلق رأسه خراش بن أمیة عند المروة (۱۱).

۱- ۱ النص: حتی جاء عروش مکة، ذلک أن أکثر بیوت مکة کانت بیوت شَعر قائمة علی الأعواد. فَسُمّیت عروشاً- النهایة ۳: ۸۱.

۲- ۲ مغازی الواقدی ۲: ۷۳۴، ۷۳۵.

۳- ۳ انظر شروط الصلح، وتفسیر العیاشی ۱: ۷۰.

۴- ۴ ابن اسحاق فی سیرة ابن هشام ۴: ۱۲.

۵- ۵ فروع الکافی ۴: ۴۲۶؛ وعنه فی وسائل الشیعة ۱۳: ۴۱۴ ط آل البیت، والمحجَن: العصا المعقوفة الرأس.

۶- ۶ عوالی اللئالی ۴: ۳۴ ح ۱۱۸؛ وعنه فی مستدرک الوسائل ۹: ۴۲۰ ح ۴ ط آل البیت.

۷- ۷ إعلام الوری: ۱۰۲.

۸- ۸ ابن اسحاق فی سیرة ابن هشام، وبعده: نحن قتلناکم علی تأویله- کما قتلناکم علی تنزیله، ضرباً یزیل الهام عن مَقیله- ویذهل الخیل عن خلیله: وعلق ابن هشام علی هذا یقول: نحن قتلناکم علی تنزیله الی آخر الابیات لعمار بن یاسر فی غیر هذا الیوم ؟صفّین! قال: فإنما یُقتل علی التأویل من أقرّ بالتنزیل- ۴: ۱۳. والغریب: أن ابن اسحاق روی هذا الغلط علی عبد اللّه بن أبی بکر! والواقدی فی المغازی ۲: ۷۳۵ رواه بعینه بسنده عن امّ عُمارة ویتفطّن الی هذا الإشکال، وکذلک الطبرسی فی أعلام الوری: ۱۰۲ والحلبی فی مناقب آل ابی طالب ۱: ۲۰۵، بلا التفات الی تنبیه ابن هشام.

۹- ۹ روی الکلینی فی فروع الکافی ۴: ۲۲۳ ح ۲ والصدوق فی کتاب من لا یحضره الفقیه ۲: ۱۵۸ ح ۱۲ بسندهما عن الإمام الباقر علیه السلام قال: «موضع المقام الذی وضعه إبراهیم علیه السلام عند جدار البیت، فلم یزل هناک، حتی حوّله أهل الجاهلیة الی المکان

الـذی هو فیه الیوم وکـذلک کـان فی عمرة القضـاء فلما فتـح النبیصـلی الله علیه و آله و سـلم مکـة ردّه إلی الموضع الـذی وضـعه فیه إبراهیم علیه السـلام. فلم یزل هنـاک إلی أن ولی عمر بن الخطاب، فسأل الناس: من منکم یعرف المکان الـذی کان فیه المقام؟! فقال رجل: أنا، قـد کنت أخـذت مقداره بنَشع قید من جلد فهو عندی! فقال: ائتنی به، فأتاه به، فقاسه، ثم ردّه الی ذلک المکان». ولقائل ان یقول: فلماذا لم یردّه أمیر المؤمنین علی علیه السـلام؟! وفی جوابه روی الکلینی ایضاً فی روضة الکافی: ۵۱ عنه علیه السلام خطبة قال فیها: «قد عملت الولاة قبلی أعمالًا خالفوا فیها رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم متعمّدین لخلافه، ناقضین لعهده، مغیّرین لسنّته، ولو حملت الناس علی ترکها وحوّلتُها الی موضـعها والی ما کانت علیه علی عهد رسول اللَّهصـلی الله علیه و آله و سـلم لتفرق عنی جُندی حتی أبقی وحـدی ... أرأیتم لو أمرت بمقـام ابراهیم علیه السـلام فرددته إلی الموضع الـذی وضـعه فیه رسول اللَّه ... اذاً لتفرّقوا عنی». ومن اهل السـنة روی السجستانی فی مسند عائشة: ۸۲ برقم ۷۳ عن هشام بن عروة عن خالته عائشة قال: قالت: «کان رسول اللَّه یصـلی بعـد فتـح مکـة الیصِـ قع البیت لیس بینه وبین البیت شـیء، وأبو بکر، وعمرصـدراً من إمـارته، ثم إن عمر ردّ النـاس الی المقام» بل ردّ المقام إلی ما عمله الناس فی الجاهلیـة، ولم یترکهم علی السـنة النبویـة الشـریفة. رواه الفاکهی فی أخبار مکـة ۱: ۴۴۲، والأزرقی فی أخبار مکة ۲: ۳۰، وابن حجر فی فتح الباری ۸: ۱۶۹، والبیهقی فی السنن الکبری ۵: ۷۵.

۱۰- ۱۰ مغازی الواقدی ۲: ۷۳۶؛ وانظر وسائل الشیعة ۱۴: ۸۸؛ ومستدرک الوسائل ۱۰: ۸۳.

۱۱- ۱۱ مغازی الواقدی ۲: ۷۳۷.

ص: ۱۷۶

ثم أمر رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم مئتین من أصحابه أن یذهبوا الی أصحابهم فی بطن یأجَج فیقیموا علی السلاح، لیأتی الآخرون فیقضوا نُسکهم، ففعلوا (۱).

أذان بلال:

ثم أرسل رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم الی المشرکین لیدخل الکعبة، فأبوا وقالوا: لم یکن فی شرطك! فدخل فی فناء البیت، فلم یزل هناك حتیصار الزوال، فأمر بلالًا أن یصعد علی الکعبة فیؤذّن، فصعدَ وأذّن فوق الکعبة ..

فحین سمعه سُهیل بن عمرو ومعه رجال غطّوا وجوههم!

وقال خالد بن أَسید: الحمد للَّهالذی أمات أبی ولم یشهد هذا الیوم، حین یقوم بلال ابن امّ بلال ینهق فوق الکعبة!

وقال عکرمة بن أبی جَهل: لقد أکرم اللَّه أبا الحکم حیث لم یسمع هذا الیوم العبد یقول ما یقول!

وقالصفوان بن أمیة: الحمد للَّهالذی اذهب أبی قبل أن یری هذا (۲).

وکان عقیل بن أبی طالب قد باع منزل رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم ومنزل إخوته من الرجال والنساء بمکة .. فقالصلی الله علیه و آله و سلم: لا أدخل البیوت .. وضرب له مولاه ابو رافع قبةً من الأدم (الجلود) بالحَجون (من الابطح) .. فاقبل رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم حتی انتهی الی القبّة ومعه أم سلمة. وکان یأتی للصلاة الی المسجد من الحَجون فی عمرة القضاء (۳).

وماذا عن الأصنام؟

بدأت المقال بذکر شروطصلح الحُدیبیة نقلًا عن «تفسیر القمی» وکما فی سائر مصادر السیرة والتاریخ، ولم یکن فیها شرط رفع الأصنام، فهل کانت

۱- ۱ مغازی الواقدی ۲: ۷۴۰.

۲- ۲ مغازی الواقدی ۲: ۷۳۷، ۷۳۸.

۳- ۳ مغازی الواقدی ۲: ۸۲۹.

ص: ۱۷۷

وطاف حولها رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم والمسلمون؟!.

أما القمی فی تفسیره فقد قال هنا: إن قریشاً کانت قد وضعت أصنامها بین الصفا والمروة، وکانوا یتمسّحون بها إذا سعوا. فلما کان من أمر رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم ما کان فی الحدیبیة وصدوه عن البیت، شرطوا له أن یخلّوا له البیت فی عام قابل حتی یقضی عمرته ثلاثة أیام ثم یخرج عنها. فلما کان عمرة القضاء فی سنة سبع من الهجرة دخل مکة وقال لقریش: ارفعوا أصنامکم من بین الصفا والمروة حتی أسعی. فرفعوها، فسعی رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم بین الصفا والمروة وقد رُفعت الأصنام (۱).

هذا وقد مرّ أن رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم أرسل الیهم أن یدخل الکعبة فأبوا وقالوا:

لم یکن فی شرطک. وهذا هو المنسجم مع أخلاق مشرکی قریش، فکیف بما هو فوقه من رفع الأصنام بلا شرط سابق؟!

وتمام کلام القمی: فلما فرغ رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم من الطواف ردّت قریش الأصنام بین الصفا والمروة .. وبقی رجل من المسلمین من أصحاب رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم لم یَطُفْ .. فجاء الرجل الذی لم یَسْعَ الی رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم فقال: قد ردّت قریش الأصنام بین الصفا والمروة ولم أسع؟! فأنزل اللّه عزّ وجل: «إنّ الصفا والمروة من شعائر اللّه فمن حجّ البیت أو اعتمر فلا جُناح علیه أن یطّوّف بهما ...» (۲).

وفی «فروع الکافی» و «تفسیر العیاشی» عن الصادق علیه السلام قال: إن رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم کان (من) شرطه علیهم: أن یرفعوا الأصنام .. فتشاغل رجل من أصحابه حتی أُعیدت الأصنام، فجاؤوا الی رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم فسألوه: إن فلاناً لم یَطُف، وقد أُعیدت الأصنام؟ فأنزل اللّه: «إنّ الصفا والمروة من شعائر اللّه فمن حجّ البیت أو اعتمر فلا جُناح علیه أن یطّوّف بهما ...» قال: أی والأصنام علیها (۳).

۱- ۱ تفسیر القمی ۲: ۶۴.

۲- ۲ المصدر نفسه.

۳- ۳ تفسیر العیاشی ۱: ۷۰.

ص: ۱۷۸

ولعلّ هـذا الخبر ومثله هو الذی أشار الیه الشیخ الطوسی فی «التبیان» وخصّ الأصـنام فقال: هذا جواب لمن توهّم أن فی السعی بهما جَناحاً، لصنمین کانا علیهما: إساف ونائلة .. روی ذلک عن أبی جعفر وأبی عبد اللَّه علیهما السلام.

وقال به الشعبی وکثیر من أهل العلم.

ولکنّه واصل الکلام قائلًا: «وکان ذلک فی عمرة القضاء ولم یکن فتح مکة بعد، وکانت الأصنام علی حالها حول الکعبة».

فلو کـانت الأصـنام حول الکعبـة أیضاً فی الطواف بها قبل السـعی، فما الـذی خصّ توهّم الجناح فی السـعی دون الطواف بالکعبـة من قبل؟! فلعلّه لدفع هذا أضاف:

وقال قوم: سبب ذلک: أن أهل الجاهلیة کانوا یطوفون بینهما، فظن المسلمون أن ذلک من أفعال الجاهلیة، فأنزل اللَّه الآیة (۱).

وقـد أورد هـذا الطباطبـائی فی تفسـیره «المیزان» عن «فروع الکافی» فی حـدیث حـجّ النبیّصـلی الله علیه و آله و سـلم عن الصادق علیه السـلام قال: إن المسلمین کانوا یظنون أن السعی بین الصفا والمروة شیءصنعه المشرکون، فأنزل اللَّه: «إنّ الصفا والمروة من شعائر اللَّه ..» فبعدما طاف (النبیّ) بالبیت وصلی رکعتیه (قرأ): «إنّ الصفا والمروة من شعائر اللَّه ..» وقال: أبدأ بما بدأ اللَّه عزوجل (۲).

وقـد اعتمـد الطبرسـی فی «مجمع البیان» علی هذا الخبر ثم قال: ورویت روایة أخری عن أبی عبد اللَّه علیه السـلام، فروی الخبر السابق عن «فروع الکافی» و «تفسیر العیاشی» (۳).

وفی «تفسـیر العیاشـی» عن الصادق علیه السـلام أیضاً قال: کان علی الصفا والمروة أصنام، فلماأن حجّ الناس لمیدروا کیف یصنعون؟ فأنزلاللَّه هذه الآیة: «إنّ الصفا والمروة من شعائر اللَّه ..» فکان المسلمون یسعون والأصنام علی حالها (۴).

۱- ۱ التبیان ۲: ۴۴.

۲- ۲ تفسیر المیزان ۱: ۳۸۷.

۳- ۳ مجمع البیان ۱: ۴۴۰.

۴- ۴ تفسیر العیاشی ۱: ۷۱.

ص: ۱۷۹

والتنافی فیما بین الروایتین فی شأن نزول الآیهٔ ظاهر (۱) بل بین الروایات.

وعلیه فلابدّ من ترجیح.

فما هو المظنون الراجح؟

مرّ أن رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم أمر بلالًا فأذّن فوق ظهر الکعبهٔ، فهل أذّن بین ظُهرانیّ الأصنام؟! ولو کان لذکر لغرابته. ولو کانت الأصنام منصوبهٔ علی المروهٔ وقد قدّموا هَدْیهم عندها، أو کانت الأصنام بینها والصفا وقد قدّموا هدْیهم هناک، لکان غریباً یُذکر وضَبْط الألفین من المسلمین وانضباطهم عن أن یمدّ أحدهم یده أو لسانه بالإهانهٔ الی الأوثان والأصنام فی المسعی وحول البیت الحرام بعید أیضاً، ولا أقلّ من خوف المشرکین من ذلک وقد شرطوا للنبیّ أن یخلّوا له البیت والمسجد والمسعی ومکهٔ، وهذا مما یقرّب تقبّلهم لاشتراط النبیّ علیهم رفع الأصنام، أقرب من أن یبقوا فی خوف وقلق وحذر من أن تُمسّ أصنامهم بسوء بید أو لسان.

ولعلهم کانوا قد جمعوها فی داخل البیت ولذلک لم یسمحوا للنبیصلی الله علیه و آله و سلم بدخول البیت. ومهما کان فلا أقل من محاولهٔ النبیّ والمسلمین اشتراط رفعها علیهم، فی حین لم یذکر ذلک فیما سوی هذا الخبر عن الصادق علیه السلام. فأظن أن کل هذه مرجّحات الی جانبه دون سائر الأخبار.

الهوامش:

حوار مع ممثّل الولی الفقیه فی شؤون الحج والزیارهٔ حول موسم الحجّ لهذا العام

۱- ۱ انظر المیزان ۱: ۳۸۷؛ وأسباب النزول للواحدی: ۴۷، ۴۸ ط بیروت، فیه أخبار عن أنس بن مالکوعائشهٔ وابن عباس کلها فی الأصنام علی الصفا والمروهٔ، والأخیر یفید أن ذلک کان بعد فتح مکهٔ وکسر الأصنام!.

ص: ۱۸۰

ص: ۱۸۱

ص: ۱۸۲

حوار مع ممثّل الولی الفقیه فی شؤون الحج والزیارهٔ حول موسم الحجّ لهذا العام ۱۴۱۶

سؤال ۱: ما هی خصوصیات حجّ هذا العام؟ وما التحوُّل أو الحدث المهم الذی شهدتموه فی حجّ هذه السنهٔ قیاساً مع حج العام الفائت؟

جواب: لقد کانت بفضل اللَّه ورعایته هناک خصوصیات اتَّسمَ بها حجّ هذا العام میزته عن حجّ العام الماضی. ومن أولی تلک الخصوصیات:

النشاطات والتحرّکات الاعلامیهٔ والثقافیهٔ المتمیزهٔ. لقد شهدنا حقاً حجّاً نَشِطاً واستثنائیاً وفعّالًا للغایهٔ کانت له آثاره الواضحهٔ علی الاعلام الخارجی.

أما الخصوصیهٔ الثانیهٔ، فهی تزامن الصلابهٔ والعزّهٔ مع حفظ روح رباطهٔ الجأش فی حجّ هذا العام.

والواقع أنّ حجّ زوّار بیت اللَّه الحرام الایرانیین اتّصف دوماً بالعزّهٔ والصلابهٔ وذلک بعد انتصار الثورهٔ الإسلامیهٔ. إلا أنهما أکثر وضوحاً فی هذا العام، کما أن کل ذلک ترافق معصفتی الهدوء والسکینهٔ، وقد شعر بهذا کلّه الحجاج

ص: ۱۸۳

الآخرون ومن کان متواجـداً فی الـدیار المقدسـة. لقد شـعر زوّار بیت اللّه الحرام من الایرانیین وغیر الایرانیین، وأحسّوا بذلک ولمسوه عن قرب وأدرکوا معنی ومفهوم هذه العزّة والصلابة ..

والخصوصـیة الثالثة هی أنّنا لم نواجه أیّة مشـکلة حقیقیة فی هذه السـنة، لا فی المجال التنفیذی ولا فی المجال الثقافی والاعلامی، ولا أُریـد أن أجزم بعـدم وجود أیّة مشـکلة علی الاطلاق، إلّاأنّه ومقارنة بالسـنین الماضـیة فقد کانت هذه السـنة أقلَّ مشاکل وأقل عقبات وصعوبات.

وفیما یتعلق بالخصوصـیة الرابعة، یمکن القول: إن المحور الذی دارت حوله بعثة القیادة کان له بُعْدٌ سیاسی إضافة الی البعدین الفقهی والدینی وقد أُدرِک ذلک بالقیاس الی السـنوات الماضـیة، فقد ازدادت مراجعات زوّار بیت اللّه الحرام من الایرانیین وکذلک الشـیعة والمسلمین عموماً من أنحاء وأقطار مختلفة وتوالت علی البعثة أکثر من السنین الخوالی.

ویمکن الجزم هنا أنَّ هذه السـنة کانت فی الواقع سـنة ترسـیخ سـیاسة الجمهوریة الاسـلامیة فیما یتعلق بأُمور الحجّ، تلک السیاسة التی رسم سماحة الإمام الخمینی قدس سره خطوطها العریضة واکَّدَ سماحة القائد المعظّم الامتثال لها دوماً.

نتمنی من العلی القـدیر أن یوفّقنا فی السـنوات القادمة لأداء خدمات أکثر فعالیةً فی الحج وتحقیق الأهداف والأمانی التی سـعی الإمام الراحل قدس سره وسماحة القائد المعظّم إلی تحقیقها.

سؤال ۲: إنَّ الضغط والاصرار اللذین اتّبعهما سماحتکم فی سبیل إقامة مراسیم البراءة من المشرکین أدی الی إقامتها فعلًا فی عرفات. ما هو تحلیل معالیکم لهذه المسألة؟

جواب: انّی اعتبر إقامة مراسیم البراءة بکلّ عظمتها فضلًا إلهیاً کبیراً، وأمّا اصراری فإنّما کان من أجل

ص: ۱۸۴

تحقیق أوامر سماحة الإمام الخمینی قدس سره وسماحة القائد المعظّم السید الخامنئی- مدّ ظله- وکذلک من أجل أداء واحد من الواجبات والتکالیف الشرعیة الإلهیة، ولقد کان أعلنَ وزیر الحج السعودی فی العام الماضی بعد لقائه بسیادة رئیس هیئة الحج المحترم والوفد المرافق له، أنّه تمَّ اغلاق ملفّ البراءة الی الأبد ولن یُسمَح بفتحه ثانیةً، وانّه لو تمَّ الاصرار علی ممارسة البراءة فإنَّه- أی الوزیر المذکور- لا یستبعد وقوع حوادث مشابهة لتلک التی وقعت فی مجزرة یوم الجمعة فی عام ۱۴۰۷ ه وقد أقدمتُ شخصیاً علی إقامة تلک المراسیم فی عرفات مستلهماً عملی هذا من توصیات سماحة القائد المعظم الذی تفضَّل قائلًا: إنَّ علینا العمل وفقاً للتکلیف الشرعی المُناط بنا ما استطعنا الی ذلک سبیلًا، ومستمدّاً الإعانة من الباری عزّوجل، وتوسُّلًا بحضرةصاحب الأمر عجل اللَّه تعالی فرجه الشریف.

ولقد أدرکت حکومة السعودیة بعد إقامة هذه الشعیرة من قِبَلِنا فی العام الماضی أنّنا مُصمّمون وجادّون فی إقامة تلک الشعیرة مهما کانت الظروف الی الحدّ الذی نؤدّی فیه واجبنا الشرعی علی أکمل وجه. من هذه المنطلقات کان أداؤنا لمراسیم البراءة فی عرصة عرفات موفقاً وعلی هذا فلا یمکنهم منعنا من ممارسة واجبنا الشرعی بالرّغم من تواجد الآلات الحربیة وقوات الأمن، ولذا فقد شهدنا فی العام الحالی تهدیدات أقلَّ ممّا شهدناه فی العام الماضی من قِبَل الحکومة السعودیة. ومع أنَّ وزیر الحج السعودی کان قد أرسل مُذکّرةً تحثُّ علی الامتناع عن ممارسة شعیرة البراءة وشدَّدَ علی احتمال وقوع حوادث غیر متوقَّعة، إلّاأنّه، وبفضل اللَّه سبحانه ودعاء الصالحین، تمَّ اقامة هذه الشعیرة فی عرفات أفضل من ذی قبل. وأظُنُّ أنَّ المسؤولین السعودیین أدرکوا أنَّ أیّ أذیً أو ضَرر نتیجة

ص: ۱۸۵

مقابلة مُؤدّی مراسیم البراءة بخشونة لن یکون فیصالحهم، خصوصاً أثناء الحالة التی تواجد فیها الحجاج فی عرفات وتجمّعهم هناک وانشغالهم بالدّعاء والتّضرّع.

سؤال ۳: ما هو هدفکم من الإصرار علی إقامة مراسیم البراءة؟

جواب: إنَّ لإصرار الجمهوریة الإسلامیة علی أداء مراسیم البراءة له أساسٌ وجذور عمیقة فی ثقافتنا الدینیة، وکذا فی المبادئ الأساسیة للإسلام فی مجال إقامة الحج الإبراهیمی. وإزاء ذلک فإنَّ الحجَّ لیس مجرد إقامة سلسلة من الأعمال والعبادات الجافة أو عدیمة الرّوح، ذلک أنّ مثل هذه الاعمال کانت تُمارَسُ فی الجاهلیة أیضاً حیث کان الناس یجتمعون حول الکعبة للطواف ومن ثَمَّ یشرعون بالذهاب الی المشعر ومنیً، وقد قال الإمام الباقر علیه السلام: «هکذا کانوا یطوفون فی الجاهلیة».

إنَّ الکعبة بیت ومحطّ التوحید، وکلمة التوحید تتضمّن کلمة «لا إله» و «إلّا اللَّه»، وعلی من یُوحِّد اللَّه أن یسعی فی نفی الآلهة المزیّفة، ثم یسعی بعدها فی تثبیت کلمة «اللَّه».

إنَّ إظهار مسألة التوحید علی أنّها مسألة ذات بعد واحد، هی السیاسة عینها التی اتّبعها بنو أمیة کافة. وقد ذکر الامام الصادق علیه السلام ذلک بقوله: «إنّ بنی أُمیة أطلقوا للناس تعلیم الإیمان ولم یطلقوا تعلیم الشرک لکی إذا حملوهم علیه لم یعرفوه (۱).

إنَّ البراءة من المشرکین هی الهدف الأصولی من معرفة الشّرک ومحاربة المشرکین.

إنَّ الحج هو أفضل محلٍّ لتنویر عقول الشعوب المسلمة وتنبیههم فی هذا المجال، وعلی المسلمین هنا أن یواجهوا مشاکلهم واحتیاجاتهم، وبحث القیادة الإلهیة للعالم الاسلامی، واتحاد ووحدة المجتمع الإسلامی والسُّبل الکفیلة لتحقیقها، والوقوف بوجه عالَم الشرک والقوی الاستعماریة.

۱- ۱ أصول الکافی ۴: ۱۴۳.

ص: ۱۸۶

ولهـذافإنَدفع النـاس نحو ممارسـة سلسـلة من الأعمـال الجافّـة والجامـدة إنما هو فی الواقع تحریفٌ لمفهوم الحـجّ وتحریف للاسـلام الحقیقی کذلک.

ولذا فإصرار سماحة الإمام الخمینی قدس سره وسماحة القائد المعظّم- مد ظلّه- وبصفتی المُنَفِّذ لأوامرهما، یُعتبر محاربةً ضد تحریف الحجّ، واعتباره حلّاً لمشاکل العالَم الاسـلامی، إنَّ مشـکلة المجتمعات الاسـلامیة الرئیسـیة فی عصـرنا الحاضـر هی القوی الاسـتعماریة والرأسـمالیة، وفی حال زوال هذه السـلطة واسترداد المسلمین لاستقلالهم وعزّتهم فإنَّ الکثیر من مشاکل المجتمعات الإسلامیة ستزول أیضاً. وتعقیباً علی الآیة القائلة:

«لیشـهدوا منافِعَ لهم» فقدصـرَّح سـماحة الإمام الخمینی قدس سـره: أیّة منفعة أعظم وأهمُّ من تلک التی یتمّ من خلالها قطع ید القوی الاستکباریة عن المصادر المادیة والثروات الموجودة تحت الارض وعموم الثروات فی الأقطار الإسلامیة؟!

سؤال ۴: لقد شهدنا فی هذا العام بعض المسلمین من أقطار مختلفة وخصوصاً اللبنانیین اتّخذوا من شعب البراءة الایرانی مثالًا ونموذجاً احتذوه فردّدوا شعارات مدوّیة، مثل: «الموت لأمریکا والموت لإسرائیل» فی الطواف ورمی الجمرات، فما هو تقییمکم لهذا الحَدَث؟

جواب: إنَّ العمل الشجاع والمقدام لمسلمی لبنان والأقطار الإسلامیة الأخری فی العام الماضی وهذه السنة، یدلُّ علی الوعی التدریجی الحاصل لمسـلمی العالَم، وتأثیر المقاومة والإصـرار اللذین تبدیهما الجمهوریة الاسـلامیة فیما یتعلّق بإقامة مراسـیم البراءة، وعلی الرّغم من التبلیغ المضـاد الـذی وضـعه وعّـاظ السـلاطین علی عاتقهم فإنّ هـذا الوعی فی تزایـدٍ مسـتمر. أتمنی من اللّه العلی العظیم أن نری ذلک الیوم الذی یَعُمُّ فیه هذا الوعی کلّ المسلمین، وأن یؤدی

ص: ١٨٧

المسلمون واجباتهم الدينية والإلهية وهى مواجهة السلطات الاستكبارية والاستعمارية بشكل فعّال دون اضطرابات أو حالة من اللا أمن فى مكة المكرمة.

سؤال ۵: نتلَمَّسُ من خلال الخُطب التى يُلقيها بعض الخطباء فيصلاة الجمعة فى موسم الحج بعض الأُمور التى تُشاع ضد التشيّع ومراسيم البراءة من المشركين، فما هو ردّكم فى مقابل هذه الحركة التى تسعى الى تفرقة المسلمين؟

جواب: إنَّ هدف علماء الوهّابية إنما هو الفصل بين الدين والسياسة وإحداث الخلاف فيما بين الأُمة الاسلامية، ولا شك فى أنَّ ذلك ممّا يُفرِح أعداء الإسلام وأعداء الرسولصلى الله عليه و آله و سلم والقرآن الكريم. إن جميع القوانين والقرارات الاسلامية والمبادئ ممزوجة بعضها مع بعض، وكما قال الإمام الراحل قدس سره: «حتى انَّ الأخلاق فى الإسلام هى سياسة». والواقع أنَّ تصريحات وعّاظ السلاطين إنّما هو بمثابة تجويف الإسلام وتجريده من مفاهيمه الأساسية. وللأسف الشديد فإن هذا العمل الخطير يتمّ تنفيذه اليوم على يد العناصر الوهابية العميلة.

وجواباً على تلك التصريحات المغلوطة، فقد قدّمنا اعتراضاتنا فى السنة الماضية والسنة الحالية أيضاً.

وباعتقادى فإنَّ مثل هذه التصريحات قد تُسبّب- لا سمح اللَّه- فُقدان السيطرة على النفس من قِبَل شعبنا والمسلمين من غير الوهابيين وبالتالى تتمّ مواجهة بعضهم للبعض الآخر وبأساليب ينأى عنها الخلق الإسلامى والمبادئ الرسالية، ممّا لن يكون فيصالح المسلمين عموماً والمسؤولين عن تنظيم الحج خصوصاً.

إن المسلمين فى الحج يتبعون مذاهب متعددة وعلى المسؤولين أن يحترموا هذه المذاهب وليس من حقّهم فرض العقيدة الوهابية على الجميع، واجبار الآخرين على الالتزام بما جاء

ص: ۱۸۸

بهـا. وفى حـال عـدم تمكننـا من السـيطرة على النـاس واحترام مـذاهبهم وآرائهم سـيتولّون الإجابـة على هـذه التصـريحات والإشـارات بأنفسهم.

وستعمّ الفوضى ويُفقد الأمان.

سؤال ۶: ذه السـنة جميع المصـاحف وكُتب الادعيـة الأُـخرى من الحجّـاج الاـيرانيين فى المطـارات، وقـد أدّى هـذا الأـمر الى ازعاج الحجّاج. ما هو تحليلكم لهذا العمل؟ وهل تمّت هناك خطوات لاسترجاع تلك الكتب؟

جواب: قد لا يكون سبب هذه الاعمال سياسياً، بل إنَّ منشأه التَّحجُّر العقائدى وفرض العقائد الوهابية على الآخرين. لقد كان هدفنا من اصطحاب المصاحف هو أولًا: أن يتمكن الزوّار من تلاوة القرآن فى أوقات مختلفة، واستلهام البركات المعنوية من تلك التلاوة. ثانياً: دحض الشايعات والافتراءات المنسوبة الى الشيعة والتى مفادها أنَّ قرآن الشـيعة يختلف عن قرآن سائر المسـلمين، فإن الجميع سـتُتاح لهم فرصـة مشاهـدة قرآن الشـيعة وبـذلك فإنَّ هذه الشـبهة ستزول عنهم، وكذلك لإهداء أعداد كثيرة من تلك المصاحف الى أكبر عدد ممكن من مسلمى الأقطار الأخرى.

وطبيعى أن يؤدى هـذا العمل الى إسـقاط التُّهم الوهابيـة، وربما كان هذا السـبب هو ما دعى السـلطات السـعودية الى منع دخول تلك المصاحف والكتب الى الديار المقدسة.

وعلى أيّة حال فإن هذا العمل قد وَجَّه ضربة الى الوهابية وسياستها العاجزة والجهولة قبل أن يُوجهها الينا.

واعتقـد أن مجلـة ميقات الحج وكذلك سائر الصـحف والمجلات الأخرى تسـتطيع قطع شوط مؤثر وفعّال فى سبيل إفشاء وفضح هذه الحركة الحمقاء.

وفيما يتعلّق باسترجاع المصاحف والكتب الأخرى، فقد تمَّ الاتصال بالمسؤولين فى الأماكن

ص: ۱۸۹

المقدسة ووعدوا بدورهم بإرجاعها لنا، إلّاأنّه ولحدّ تسجیل هذا الحوار لم یتمّ العمل بذلک الوعد. مع أننا نأمل بإعادتها الی أصحابها وان لا یتکرر مثل هذا العمل فی السنین القادمة.

سؤال ۷: یتمّ فی کل عام إصدار ونشر الکثیر من الکتب فی السعودیة والتی تحمل فیصفحاتها أفکاراً معادیة للتشیّع، فما هو تقییمکم لانتشار مثل تلک الکتب؟ وما هی الخطوات المُتَّخَذَة من قِبَلِ ممثلیة الولیّ الفقیه لمواجهة تلک الحملة؟

جواب: لا شک فی أن اصدار ونشر مثل تلک الکتب یمثلان سیاسة استعماریة وذلک للحیلولة دون توحید کلمة المسلمین واتحادهم، ولإشعال نار الحرب الطائفیة والمذهبیة، فمعظم المواضیع المطروحة فی تلک الکتب إنّما هی محض افتراءات وأکاذیب منسوبة الی الشیعة وهی لیست فقط مرفوظة من قِبَلِ الشیعة، بل إنَّ الشیعة تعمل علی محاربتها وبشدة أیضاً، وأعتقد أنَّ الجواب علی هذه الشبهات وتلک الافتراءات لیس من واجب بعثة الولیّ الفقیه وحسب، مع أننا وبدورنا قمنا بواجبنا تجاه تلک الاباطیل وسنظلُّ نقوم بذلک، ولکن اقترح أن تطلب معاونیة التربیة والتحقیقات من جمیع المؤسسات والمنظمات ذات العلاقة، وکذلک من الشخصیات الدینیة والعلمیة الذین یمکنهم فعل الکثیر من الاعمال المفیدة والمؤثرة فی هذا المجال، وذلک بوضع الکتب التی تحوی مثل تلک الشبهات والافتراءات المطروحة فی متناول المحققین وأن تتمّ عملیة الإجابة علیها بتقسیم العمل فیما بینهم کلٌّ حسب اختصاصه. وعلی الاخوة أن یوفّروا الوقت والمال اللّازمین لتألیف الکتب المفصّلة والمختصة فی مختلف المستویات ونشرها حتی یتمّ الوقوف بوجه هذه الحرکات العنصریة والمنحرفة. وعلی الجمیع أن ینظر الی هذا الموضوع بشکل اصولی وبجدّیة اکبر وعندها سنجد ونلمس آثاره

ص: ۱۹۰

وثماره.

والامر المهم الآخر هو أن تُقام علاقات شخصیة مع مؤلفی مثل تلک الکُتب، ومراسلتهم، وسوف یکون ذلک المؤلف مستعداً لمناقشة الامر، إن لم یکن عمیلًا بالطبع، ولطالما کان لمثل هذه العلاقات والروابط وَقْعُها المؤثر والمطلوب، مِمّا سَیضطر الکثیر من أولئک المؤلفین الی التحوّل من طریق إدامة هذا السلوک الی جادة الصواب.

علی کلٍّ فإنّی اعتقد أن مثل هذه العلاقات سیکون لها تأثیرٌ إیجابی حتماً.

من جهة أخری فإننا نعلن عن طریق هذه المجلة، أنَّ من یُرید البحث معنا حول مفاهیمنا العقائدیة والفقهیة، فإننا مستعدون لعمل ذلک عن طریق المحاورات والمناظرات الاذاعیة والتلفازیة الحیّة، أو عن طریق اللقاءات والمراسلات، ولا ـ شک فی أنَّ مثل هذا العمل سیُعطی النتیجة المطلوبة والمتوقعة.

ویجب التنویه هاهنا الی أنَّ معاونیة التربیة والتحقیقات فی بعثة ممثلیة القیادة المعظمة قامت ولحد الآن بمحاولات جیدة فی هذا المجال، وقامت بنشر حوالی ثلاثین کتاباً وملزمة، ونتمنی أن تحوز علی رضی الحقّ تعالی.

سؤال ۸: لقد قامت بعثة القیادة المعظمة فی حجّ هذا العام بعقد تجمّعات ولقاءات متعددة فی مکة المکرمة، ما مدی أهمیة مثل تلک التجمعات بنظرکم، وما هو تقییمکم لأثر تلک اللقاءات؟

جواب: إن التجمعات التی تُقام بهِمَّة بعثة القیادة المعظمة کلّ سنة فی مکة المکرمة والمدینة المنورة، کان لها أثرٌ ونفع بالغین خصوصاً فی هذا العام، وأقلّ تأثیر أبرزته هذه التجمعات هو مدی اهتمام الجمهوریة الإسلامیة بالمسائل الإسلامیة الدولیة وسعیها المتواصل فی سبیل تقریب وجهات النظر بین المذاهب الإسلامیة المختلفة.

إنَّ التجمعات الموسومة ب: أهل

ص: ۱۹۱

البیت، البوسنهٔ، افغانستان، العراق، الهند وما شابه، کلّها اشارت الی هذا الاهتمام، وأوضحت أنَّ مشاکل العالم الإسلامی یجب أن تُبحثَ فی مثل هذه الأماکن المقدسهٔ تزامناً مع أداء أعمال ومناسک الحجّ، وعلی عاتق الشعوب الإسلامیهٔ یقع حلّ تلک المشاکل، وتَحُثُّ المسلمین علی الوقوف بوجه اعداء الدین فی نفس الوقت الذی یتمّ فیه اتصالهم مع خالقهم وتقویهٔ البنیهٔ المعنویهٔ لهم، وأنَّ علیهم وضع خلافاتهم جانباً فی سبیل تحقّق أهداف الإسلام، والتمسُّک بحبل اللَّه تعالی والقرآن وآل البیت علیهم السلام، والسّعی من اجل إنشاء حکومهٔ الإسلام العالمیهٔ.

إضافهٔ إلی ذلک فإنَّ اللقاءات التی تتمُّ بین العلماء والمفکرین والمسلمین من شتی الاقطار لها أثرٌ مهمّ وطیّب، وهو ما حقّقته تلک اللقاءات لحدّ الآن.

ولو أنَّ مثل هذه اللقاءات تمّتْ علی شکل إرسال هیئات تبلیغیهٔ إلی الأقطار المختلفهٔ، لکلَّفت الکثیر من المبالغ والمشاقّ الجمهٔ، ولکن وببرکهٔ بیت اللَّه الحرام والحجّ تمت هذه اللقاءات فی جوٍّ من المحبّهٔ والصّدق وفی محیط بعید عن کلّ ما هو رسمیّ، وتمّ ذلک بسهولهٔ ویسر ودون بذل الکثیر من المبالغ.

إلّا انّه یمکن لمثل هذه الاعمال أن تُقام بصورهٔ أوسع وباطلاع ما یُقارب من ملیونی حاجّ علی الامور والمسائل المهمهٔ، ولکن وبسبب العقبات والصعوبات التی یضعها البعض فی طریق إقامهٔ مثل هذه اللقاءات وترتیب مثل تلک التجمعات، فقد اضطُرِرْنا الی تشکیل تلک اللقاءات والتجمعات فی مقرّ بعثهٔ القیادهٔ المعظمهٔ وبشکل محدود.

سؤال ۹: کانت الفعّالیات التربویهٔ والتحقیقیهٔ التی قامت بها حوزهٔ ممثلیهٔ الولی الفقیه فی أُمور الحج والزیارهٔ فی السنوات الاخیرهٔ، تنمو وتزداد بسرعهٔ مذهلهٔ، ما هو تقییم

ص: ۱۹۲

سماحتكم لما مضى من ذلك؟ وما هى مجالات التحقيق التى اقترحتموها للمستقبل؟

جواب: لحسن الحظ قامت ممثليـة الولى الفقيه بأعمال جـديرة بالثناء لحـد الآن وذلك فيما يتعلّق بنشـر الكتب والملازم المطلوبـة فى موسم الحـجّ، وقـد تمَّ تأليف تلك الأعـداد من الكتب ذات العلاقـة بالحـجّ والتى يحتاج اليها الحجّاج الكرام ونشـرها، والحقّ يُقال إنَّ ايجاد مثل هـذه الكميـة من الكتب المتعلقة بمسائل الحجّ وخلال زمن محدود وقياسـى لم يسـبق له مثيل لا خلال الثورة ولا فى تأريخ ايران قاطبـة. وفى الواقع، تمَّ إنجـاز كـل تلـك الاعمال بلطف البارى عزّوجل وجهود معاونيـة التربيـة والتحقيقات على أكمل وجه ممّا يستحقّ منّا كل تقدير واحترام.

لكن وبالرغم من ذلك فإنى أعتقـد أنَّه ما زال يمكن إنجاز الكثير من تلك الأعمال، على سبيل المثال لا الحصـر: تأليف كتاب يتناول الأبعاد السياسـية للحجّ وفلسـفة البراءة من المشـركين، لذا فإنى أطلب من الأخوة تحضير وتهيئة عناوين رئيسية لموضوعات تخصّ هذا الهدف ووضعها فى متناول يد المحققين والمثقفين داخل وخارج البلاد ليتمكنوا من كتابة وتأليف ما يلزم فى هذا الخصوص.

والموضوع الآخر الـذى لا يقلّ أهميـة عن سابقه، هو تبيين وتوضـيح الأبعاد الفقهيـة للحـجّ ووضع الحلول للمشاكل الفقهية التى تواجه الحجّاج، وذلـك نظراً لوجود بعض التفـاوت فيمـا يتعلق بفتاوى مراجع التقليـد. وكـذلك يجب بحث المواضـيع المهمـة الأخرى مثل مسألة تقديم القرابين، والاستظلال وحدود الطواف وما شابه ممّا يتطلَّبُ اهتمام المحققين الواسع فى هذا المجال.

فعندما يتمّ ذبح الآلاف من الخراف وغيرها فى منىً وذلك يوم عيد الاضحى، تبقى هذه الكمّيات الهائلة من اللّحوم دون نفع أو فائدة، وعندئذٍ

ص: ۱۹۳

تقوم السلطات بإحراق تلك اللّحوم فى حين يوجد ملايين المسلمين فى العالَم فى حالةٍ يُرثى لها من الجوع والفقر. فما هو الحلّ الذى يمكن بواسطته أن يقوم الحاج بأداء وظيفته الشرعية وفى نفس الوقت الحيلولة دون هدر تلك الكميات الكبيرة من اللحوم وذهابها سدىً؟ إنَّ مثل هذه الأمور تتطلَّبُ توظيف امكانات تحقيقية جبّارة حتى يتمَّ وضع الحلول المناسبة لها وتقديم المشاريع والبرامج التحقيقية ووضعها أمام المحققين، مِمّا سيضمن لنا الوصول الى حلٍّ أُصولى ومنطقى بعد دراسة الموضوع من كلّ جوانبه.

وامّا الاقتراح الآخر الذى أُقدّمه هو تنظيم وترتيب الكراريس الاعلامية بشكل فنّى دقيق ومحسوب بما يتناسبُ والمواضيع المتنوعة والمفيدة ذات العلاقة بالحج ووضعها فى متناول يد الافراد فى داخل وخارج القطر؛ لكى يتمكن أولئك الافراد من التعرّف على ثقافة الحج إذا كانوا لا يرغبون كثيراً فى مطالعة الكتب المفصّلة.

وكذلك تأليف ونشر الكتب الخاصة بالحجّ بما يتناسب والمستوى العلمى والثقافى للافراد سواء كانوا ذوى تحصيلات علمية بسيطة أو جيدة ولمختلف الأعمار والمستويات. اتمنى أن تستطيع معاونية التربية والتحقيقات من الخَطْوِ بثقة فى هذا المجال ايضاً فى المستقبل القريب.

سؤال ۱۰: علمنا أنّ مئات من حجّاج بيت اللّه الحرام كانوا يتردّدون يومياً على بعثتكم للّقاء بكم. كيف تقيّمون تأثير تلك اللّقاءات؟

جواب: لقد كانت تلك اللقاءات مع البعثة ابتكاراً جيداً قُمنا بتشكيلها بعد استشارة سماحة القائد المعظم فى السنة الاولى لتشرُّفى بهذا المنصب وهو ممثّل الولى الفقيه، وقد كانت لتلك اللقاءات آثارٌ محمودة بحمد اللّه وبركاته.

فأولى تلك الآثار: هى اقامة رابطة وثيقة بين الناس والبعثة، وثانياً

ص: ۱۹۴

بإمكـان الكثير من الخطبـاء والوعّـاظ عن طريق تلك اللقاءات القاء الخُطَب التی يمكنها التأثير على الحجّاج روحيّاً وأخلاقياً ويقومون بتذكيرهم بالتّوصيات المهمة اللازمة، مِمّا سيترك أثره البالغ فی نفسية الحجّاج. إنَّ تقييمی لإقامة مثل هذه اللقاءات والجلسات ايجابی الی حدّ كبير.

سؤال ١١: لقـد انخفض عـدد المخالفات التی ارتكبها الحجاج الی حدّ جدير بالملاحظة، فما هی برأيكم أهم الاسباب والعوامل التی أدّت الی مثل ذلك الانخفاض فی المخالفات؟

جواب: إن الدور الذی قام به الرّوحانيون الأفاضل المرافقون لقوافل الحجاج كان له الأثر الكبير فی انخفاض نسبة المخالفات، وذلك بإرشاد الحجاج عن طريق المواعظ وتذكيرهم بواجباتهم وتجنُّبِ مثل تلك التصرفات التی لا تليق بهم.

والعمـل المهم الآخر الـذی قُمنا به هو إنشاء مراكز خاصـة للأمر بالمعروف والنهی عن المنكر داخل قوافل الحـجّ والتی اقيمت من قِبَلِ معاونيـة التربيـة والتحقيقـات، وقـد تمَّ انتخاب عـدد من الحجّاج للقيام بمهمـة الأمر بالمعروف والنهی عن المنكر بصورة فخريـة داخل قوافلهم وأثنـاء تنقُّلاتهم المختلفـة وقـد قـدَّم هؤلاء المنتخبون نصائحهم وارشاداتهم للزوّار الكرام. وقـد كان لهـذا العمل أثره الواضـح أيضـاً فی التقليـل من المخالفات وإن لم يتمّ اختفاء تلك الظاهرة بالكامل، إلّاأننا نأمل أن تكون المخالفات فی هـذه السـنة قليلـة قـدر الامكان وذلك عن طريق اجراء البرامج الخاصة والمؤثرة للاستفادة القصوی من تلك المراكز.

سؤال ١٢: هل تمّ اجراء الخطوات اللازمة فی مجال تعليم اللغة العربية إجباراً؟

جواب: إنَّ تعلُّمَ اللغـة العربيـة من قِبَلِ مُنظّمی الحجّ هو أحد الاعمال المهمة التی نتمنی أن تأخذ طريقها سـريعاً نحو التنفيذ إن شاء اللَّه تعالی ...

ص: ۱۹۵

فالـذين لا يُجيـدون اللغـة العربيـة سـتكون انجازاتهم وفاعليتهم أقلَّ من غيرهم بالطبع، ولـذا فإننا سـنعتبرُ تعلُّم اللغـة العربيـة ميزةً واقعية وتفاضـلية، ولهـذا فانني اوصـى الروحانيين والمساعـدين والمـدراء المحترمين فى القوافل البـدء بتعلُّم اللغـة العربيـة من الآن. وفى هذا المضمار تمَّ اصدار ونشر كتاب فى اللغة العربية بعنوان «العربية المعاصرة» من قِبَلِ معاونية التربية والتحقيقات لتسهيل تعلّم العربية.

سؤال ۱۳: لقـد كانت هناك دعوات كثيرة فى السـنين القليلـة الماضـية تـدعو الى توحيـد زىّ الحجّاج الايرانيين، فهل تمَّ اتّخاذ تدابير خاصة فى هذا المجال؟

جواب: الواقع أنَّ سـبب عـدم تنفيذ مثل تلك التوصـيات والدعوات، هو المشاكل التيصادفت بعض حجّاجنا الكرام، إلّاانّنا وبفضل اللَّه تعالى وجهود منظمـة الحـج والزيارةصـمّمنا على تنفيذ تلك التوصـيات وهى توحيد زىّ الحجّاج الايرانيين، وذلك فى السـنة القادمة، وسـيكون لكـلّ من الرجـال والنسـاء زىّ مُوحَّد خاصّ به يلتزمون به فى تنقلّاتهم فيما بين الحرمين الشـريفين. وممّا يؤسف له أنَّ بعض الرجال والنساء من الحجّاج الايرانيين يرتـدون ملابس لا تناسب ذوق الزائر الايرانى، بل لا تليق بمقام الجمهوريـة الإسـلامية فى ايران. أتمنى أن نستطيع تنفيذ هذا المشروع وذلك عن طريق وضع البرامج الصحيحة، واستخدام الدقّة المتناهية فى تنفيذ تلك البرامج.

سؤال ۱۴: إذا كان لدى سماحتكم توصيات أو آراء تخصّ مُنظّمى الحجّ بما فيهم المسؤولون والموظفون فى البعثة والمنظمة وكذلك الرّوحانيون ومدراء القوافل، فتفضلوا بها مشكورين.

جواب: التوصـية الأولى التى أُقـدمها الى منظّمى الحـجّ هو أن يتّصـفوا بالإخلاـص فى العمـل وفَهْمِ واجباتهم وانعكاس ذلك فى كلّ أعمالهم

ص: ۱۹۶

وسلوكهم؛ لأنهم يعملون للّه‌تعالى وخصوصاً الاعمال الخاصة بالحجّ والتى تُعتبرُ أحد أهم المسائل العِبادية والسياسية فى الإسلام.

وتوصيتى الثانية هى أن يقوم الاخوة المسؤولون بأعمالهم بجديّة اكبر.

لقد كان سماحة الإمام الخمينى قدس سره وسماحة القائد المعظم- مدّ ظله- يعيران أهمية كبيرة للحجّ وما زال الامر كذلك الى الآن، وهو ما نَسْتَشِفُّهُ من الأحاديث والخُطَبِ الكثيرة لهذين العزيزين بدقّة.

وكان الاهتمام بالحج فى نظرهما يقع فى مَصافّ أهم الانجازات المقدسة للجمهورية الإسلامية، ومن هنا يتحتَّمُ علينا جميعاً اتّباع كلّ البرامج والسّياسات وفى كلّ أبعادها التنفيذية والثقافية الخ. بجدّيةٍ وسعى كبيرين.

وامّا توصيتى الثالثة هى الاهتمام الخاص بالبرامج المطروحة سواء أكانت تلك البرامج تتعلّق بالأُسس التنفيذية أو بقدر تعلّقها بالأُمور التربوية.

إنَّ الظروف التى يعيشها معظم زائرينا تتطلَّبُ إجراء وتنفيذ البرامج التربوية بأسرع ما يمكن، وهذا يعتمد بالدرجة الاولى على تعيين الرّوحانيين ومساعدى القوافل فى أقصر وقت حتى يتمّ تشكيل القوافل بسرعة والبدء بتنفيذ البرامج التربوية للزوّار بعد ذلك مباشرة.

الواقع أنَّ فى ذهنى الآن أمراً وهو أنّنا نعطى الأولوية لأُولئك الذين لديهم اطلاع واسع وقدرة على التنفيذ الصحيح لأعمال الحجّ، ومعنى هذا أنَّ الذين يجدون فى أنفسهم نقصاً أو ضعفاً فى هذا المجال عليهم الاشتراك فى البرامج التربوية لوقت أكثر، والحضور فى الجلسات الخاصة المُعدَّة لذلك الغرض حتى يتمّ رفع وزوال ذلك النقص أو الضعف، وإلّا فإنّه سيتمّ استبدالهم بآخرين ممّن يفوقونهم فى هذا المجال وإرسالهم مع القوافل.

سؤال ۱۵: ما هى توصيات سماحتكم للزوّار الذين سيتمّ تشرّفهم

ص: ۱۹۷

بالحجّ فی العام المُقبل؟

جواب: إنَّ أهمّ التوصیات التی أرید تقدیمها لزوّار بیت اللّه الحرام هی الاهتمام بتعلُّم المسائل والمناسک الخاصة بالحجّ. فالّذین هم فی مستویات ثقافیة لا بأس بها علیهم القیام بقراءة ومطالعة الکتب ذات العلاقة، والتی قامت بإصدارها معاونیة التربیة والتحقیقات بعد جهود جبّارة، والتعرّف علیها من الآن وتسجیل ملاحظاتهم علیها. فکلّما کانت اطّلاعاتهم کثیرة، ازدادت قدراتهم للاستفادة والتمتّع بهذه الفرصة الإلهیة.

وامّا التوصیة الأخری فهی أنَّ علی الذین لا یستطیعون القراءة ولا الکتابة الاعتماد علی أفراد عائلتهم أو أقاربهم أو أصدقائهم وطلب المعونة منهم؛ لکی یتمکّنوا من تعلّم المناسک والأحکام والأسرار والعلوم الخاصة بالحجّ، والتعرّف علی أهم الأماکن المقدسة هناک، وأن یُخصِّص أولئک الذین تشرّفوا بحجّ هذه السنة أو الذین ستُتاح لهم الفرصة للحجّ فی السنین التالیة ساعات معینة منذ الآن وفی کلّ اسبوع؛ لیتمکّنوا من تعلّم مسائل الحجّ ویستفیدوا بصورة اکبر من محتویات هذا السَّفَر المعنوی والربّانی الذی یُتیح لصاحبه القیام به مرة واحدة فی حیاته علی الأغلب.

سؤال ۱۶: ولغرض حُسن الختام لهذا الحوار نرجو من سماحتکم أن تذکروا لقرّاء مجلة میقات إحدی الخواطر الطریفة التی مرّت بکم فی حجّ هذا العام.

جواب: من الخواطر الجمیلة التی لا تُنسی والتی مرّت بی هذا العام، هو المنظر الذی شهدْتُه بعد الانتهاء من مراسیم البراءة فی عرفات. فقد جاء الأخوة بشخص إلیَّ حائز علی ثلاث شهادات دکتوراه، وقد اختار مذهب أهل البیت علیهم السلام بعد مطالعاته ودراساته التی استغرقت عشرین سنة.

وقد کان القصد من مجیئه الیّ کذلک هو تقدیم الولاء والبیعة لقائد الثورة المعظم

ص: ۱۹۸

عن طريقى بصفتى ممثّل الولى الفقيه.

وعنـدما وضع يده فى يدى اعترته حالة عجيبة ثم شـرع بالبكاء طويلًا، وقال بعد ذلك بالعربية: إننى وبالنيابة عن زوجتى وأطفالى أبايع آية اللّه الخامنئى وسأظَلّ مخلصاً لهذه البيعة ولو بروحى.

وللأسف فإنَّ البعض غافلٌ عن مثل هذه الأرضـية الثقافية المناسبة، ولا يُعيرُها أهمية تذكر. إنَّ هذه الحالة هى واحدة من مئات مشابهة لها، وأعتقـد أنَّ هـذا المنظر وكثيراً غيره، يُهِمّ المسؤولين فى المراكز الثقافية فى الجمهورية الإسـلامية فى ايران بل ويؤثِّر فيهم باعتباره خير درس وعبرة.

الهوامش:

ص: ۱۹۹

رجال من الحرمين الشريفين (۴)

حمزة بن عبد المطلب رضی الله عنه

حمزة بن عبد المطلب، أسد اللَّه، وأسد رسوله، وأحد نجباء العرب فی الحسب والنسب، وأحد سادات قریش وكبار أشرافهم فی الجاهلیة والإسلام، ومن المسلمین الأوائل، الصحابی، الصندید، البطل الشجاع، الشاعر، الفصیح، عمّ النبیصلی الله علیه و آله و سلم وأخوه فی الرضاعة، اتصف بالكرم والنخوة والشجاعة، ولد ونشأ فی مكة، وعند إعلان إسلامه، أعز اللَّه الإسلام به، لأنه كان من أقوی رجال قریش وأشدّها شكیمة، وقام یمنع الأذی عنالرسولصلی الله علیه و آله و سلم وصحبهالكرام، وكان من كثرة میله للإسلام وحبّه للرسولصلی الله علیه و آله و سلم أنه ضرب أبا جهل زعیم المشركین.

شارك الرسولصلی الله علیه و آله و سلم والمسلمین فی محنة الحصار الذی فرضه مشركو قریش علیهم، وهاجر إلی المدینة، وقاد أول سریه فی سبیل اللَّه، كما شارك فی بقیة الغزوات، وقاتل بین یدی الرسولصلی الله علیه و آله و سلم ببسالة نادرة، ضارباً فی ذلك أروع أمثلة التضحیة والفداء والإخلاص، استشهد فی معركة أحد بعد أن أبلی بلاء

ص: ۲۰۰

عظيماً، وقتل عدداً من زعماء ورؤوس الشرك فأثبت بذلك أنه جندى شديد البأس يُقاتل بكفاءة وبسيفين، وبحماس منقطع النظير. وببركـة استشـهاد حمزة، ورهطه الكرام فى معركة أُحد، عمّ الإسـلام واتسع انتشاره فيما بعد، إذ غرست شـهادتهم فى نفوس الصـحابة فضيلة حبّ الجهـاد والتضـحية والإخلاص المتزايـد، فالشـهيد هو الـذى يصـنع النصـر المسـتمر، ويصـنع الحياة الجديـدة، ويضع اللبنة الأساسية والقوية للتاريخ المشرق، الذى تفتخر به الأجيال إلى الأبد.

وماأحوجنا إلى احياء شخصـياتنا التأريخيـة أمثال حمزةبن عبـدالمطلب رضـى الله عنه وغيرهم من القادة الأفذاذ الذين سطرواصـفحات التاريخ بالآثار والأفعال العظيمة والأخلاق الحميدة.

اسمه ونسبه وكنيته:

هو حمزة بن عبـد المطلب بن هاشم بن عبد المناف بن قصـى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك، وينتهى نسبه بعد ذلك بعدنان (۱). وأُمه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهى أمصـفية (۲) ويلتقى نسب أبيه من نسب أُمه فى كلاب بن مُرّة ويصعد النسبان معاً إلى عدنان ثم إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وقـد ورد عن نسب أُمه فى كـلّ من الكتابين «نسب قريش» للمصـعب الزبيرى (۳) وكتاب «الطبقات الكبرى» لابن سـعد (۴) بأنها هالة بنت أُهيب بن عبـد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة، حيث يلتقى عمود النسب كما أسـلفنا بعدنان فإسـماعيل بن إبراهيم. ومما يجدر ذكره فى هذا الصدد، أن عبد مناف بن زهرة ولد «وهباً»، وهو جدّ رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم، لأمّه، آمنة بنت وهب (۵).

۱- ۱ راجع كتاب «نسب قريش» ۱: ۵ وبعدها فى مادة «ولد عدنان».

۲- ۲ تاريخ اليعقوبى ۲: ۱۱، ذخائر العقبيص ۱۷۲.

۳- ۳ نسب قريش ۱: ۱۷.

۴- ۴ الطبقات الكبرى ق ۱ ۳: ۳.

۵- ۵ نسب قريش ۸: ۲۶۱.

ص: ۲۰۱

وأما كنيته، فهی كما وردت فی تاريخ العيقوبی:

«وحمزة، وهو أبو يُعِلی، أسد اللَّه، وأسد رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم» (۱).

وذكر ابن سعد فی الطبقات الكبرى:

«وكان يكنى أبا عمارة، وكان له ولد من الولد، يُعلى، وكان يكنى به حمزة، أبا يُعلى ...» (۲).

وكتب عنه «شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبی» فی كتابه سير أعلام النبلاء، وهو يكمل على ما سبق، فی ذكر كناياته وألقابه التی كان يلّقب بها، فقال عن حمزة بأنه «الإمام، البطل، الضرغام، أسد اللَّه، أبو عمارة، وأبو يُعلى، القريشی، الهاشمی، المكی، المدنی، ثم البدری، الشهيد، عم رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم، وأخوه فی الرضاعة» (۳).

وتحت عنوان (ذكر اسمه وكنيته رضی الله عنه يقول العلّامة الحافظ محب الدين الطبری:

«ولم يزل اسمه فی الجاهلية والإسلام حمزة، ويكنى أبا عمارة، وأبا يعلى ...

كنيتان له، بابنيه عمارة ويُعلى، وكان يدعى أسد اللَّه وأسد رسولهصلی الله علیه و آله و سلم».

عن يحيى بن عبد الرحمن بن أبی لبيۀ عن أبيه عن جده أن رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم قال: «والذی نفسی بيده إنه لمكتوب عند اللَّه عزّ وجلّ فی السماء السابعۀ، حمزة أسد اللَّه وأسد رسولهصلی الله علیه و آله و سلم» أخرجه البغوی فی معجمه (۴).

معنى حمزة فی اللغۀ:

أما معنى حمزة فی اللغۀ العربيۀ، فهو كما ورد فی كتاب «مختار الصحاح» لمحمد بن أبی بكر الرازی فی مادة- ح م ز- (حمز الرجل، من باب، ظَرُفَ أی اشتد، فهو حَميز الفؤاد، و (حامزه). وفی الحديث عن ابن عباس رضی الله عنه:- «أفضل

۱- ۱ تاريخ العيقوبی ۸: ۲۶۱.

۲- ۲ الطبقات الكبرى لابن سعد ۳ ق ۱: ۳- ۴ طبقۀ ليدن.

۳- ۳ سير أعلام النبلاء/ الذهبی ۱: ۱۲۷.

۴- ۴ ذخائر العقبى فی مناقب ذوی القربيص ۱۷۳.

ص: ۲۰۲

الأعمال (أخمرها) أى أمتنُها وأقواها» (۱).

ولادته ووفاته:

ولد سيدنا حمزة بن عبد المطلب فى مكة المكرمة سنة (۵۴ قبل الهجرة/ ۵۶۸ ميلاديه). وتوفى شهيداً فى معركة أُحد، سنة (۳ للهجرة/ ۶۲۵ ميلادية) (۲)، ودفن جنوبى جبل أُحد، حيث وقعت المعركة فى المدينة المنورة فى السنة المذكورة آنفاً، فقد ورد فى مجلة آخر ساعة المصريه، العدد ۱۹۷۴۲۰۴۶- ۱۶ ذى الحجة سنة ۱۳۹۳، تحقيق عن المدينة المنوره بقلم:

عدنان العبد جاء فيه .. «وجنوبى الجبل- جبل أُحد- وفى وادى قناة وعلى جانبه توجد قبور الشهداء من أبطال المسلمين وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عمّ رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم وسيد الشهداء» (۳) ... وقد «قتل على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة، وكان يوم قتل، له سبع وخمسون سنه ودفن هو وابن أخيه عبد اللَّه بن جحش فى قبر واحد» (۴).

نشأة سيدنا حمزة بن عبد المطلب الأولى:

يلاحظ من تتبع ودراسة حلقات حياة حمزة بن عبد المطلب الأولى أنه نشأ نشأةً مستقيمة، خالية من عيوب وسلبيات المجتمع القريشى، وكبر وسط هذا المجتمع، وهو يجتمع على كلّ الخصال السليمة، والمواقف الرشيدة، فكان يحمل عقلًا نافذاً، وضميراً حيّاً، ينبض بالشجاعة وحب الخير، وكان يعتد بذاته، ولا يحب التجبر والتهور، والعدوان على الغير، ويأنف من الظلم، كما كان فى نفس الوقت لا يحب أن يعتدى عليه أحد، أو على أقربائه .. وكان الناس يعرفون له قدره ومكانته. وكان يحمل معه كلّ الصفات الهاشمية الأصيلة كالصدق والوفاء

۱- ۱ مختار الصحاح، محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازيص ۱۵۴.

۲- ۲ المدائح النبويه المتضمنه لسور القرآن الكريم للسيد هاشم الخطيب- هامش الصفحة ۸۵.

۳- ۳ المدائح النبوية- هاشم الخطيبص ۸۷.

۴- ۴ ذخائر العقبيص ۸۵ فى موضوع ذكر تاريخ مقتله.

ص: ۲۰۳

والكرم والفتوه والشجاعة بكل معناه.

ومع قلة ورود الأخبار المتناثرة فی بطون التاريخ فی الفترة ما قبل الإسلام، إلّا أنها جميعاً تؤكد تجسيم الشخصية الكاملة فيه، وتؤشر الملامح الصحيحة للإنسان الفاضل الذی سيدخل التاريخ من أوسع وأشرف أبوابه، ويسجل له فيه مجداً خالداً إلى الأبد، وفعلًا دخل التأريخ وسطر له حروفاً نورانيه مشحونة بالمجد والخلود وبقاء الذكر (۱).

وكان حمزةصاحب إرادة قوية، عزيز النفس، كريم الطباع، نشأ وقد تأثر بمركز والده عبد المطلب القائم على الشرف والسيادة والرئاسة وحب الناس له، وكان معدن حمزة نقياً، ومعروفاً باستقامة الضمير ونفاذ البصيرة وحب الخير، والتمثل بالشمائل الطيبة، المبنية على الإرادة والتصميم وسلامة اتخاذ المواقف، ومن هنا دخل حمزة التاريخ ومن أحسن أبوابه، وسجل له التأريخ بدوره جميع مواقفه البطولية (۲).

العلاقة بن حمزة ومحمّدصلى الله عليه و آله و سلم.

تكشف لنا أخبار حمزة بن عبد المطلب أنه كان شديد التعلق بابن أخيه محمد بن عبد اللَّه، والرعاية له، والدفاع عنه إذا مسّه سوء من أحد، والاستجابة لمطالبه وتلبية رغباته على أتم الاستعداد وعلى جناح السرعة بالإرادة والتصميم، ودون تردد أو إحجام.

فهو عمّ محمدصلى الله عليه و آله و سلم، وأخوه فی الرضاعة، فقد كتب اليعقوبی عن مولد الرسولصلى الله عليه و آله و سلم: «فكان أول لبن شربه بعد أمه لبن ثويبة مولاة أبی لهب. وقد أرضعت ثويبة هذه حمزة وجعفر بن أبی طالب، وأبا سلمة بن عبد الأسد المخزومی ...» (۳)، وكان أكبر من رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم بأربع سنين وقيل سنتين (۴).

۱- ۱ حمزة أسد اللَّه ورسوله- جميل إبراهيمص ۲۵- ۲۶.

۲- ۲ حمزة أسد اللَّه ورسوله- جميل إبراهيمص ۲۶.

۳- ۳ تاريخ اليعقوبی ۲: ۹.

۴- ۴ ذخائر العقبيص ۱۷۲.

ص: ۲۰۴

وكان حمزة كما بيّنا سابقاً، يعرف ويشعر بعظمة مكانة ابن أخيه محمدصلى الله عليه و آله و سلم وكماله، وكان على بينةٍ من حقيقة أمره، ومعرفة جوهره، وصفاته الجيدة، وكانت رابطة حمزة بمحمدصلى الله عليه و آله و سلم رابطة عمومة وأخوة وصداقة متفاعلة ببعض، ذلك أن الرسول وحمزة كانا من جيل اجتماعی واحد، وسن متقاربة، نشأ كل واحد منهم مع الآخر. وكانت تخيم عليهما عائلة عبد المطلب المعروفة، وقد تآخياً فی ظل هذه العائلة الطيبة، منذ المراحل المبكرة من حياتهما وسارا معاً على الدرب، من الخطوات الأولى.

اشترك محمدصلى الله عليه و آله و سلم وحمزة بنشأتهما الأولى فی أرفع بيوتات العرب فی قريش فی السيادة والكرم والحلم والشجاعة والمنزلة الرفيعة، فمحمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب، وحمزة بن عبد المطلب، كلاهما يشتركان بالاعتزاز بهاذ الفضل الذی رسمه عبد المطلب وحاز به فی المجتمع، فهو سيد بطحاء مكة وزعيم قريش بلا منافس.

وقد اكسب الزمن تاريخ هذه العائلة الذی ينتمی إليه كل من محمدصلى الله عليه و آله و سلم وحمزة بالتجارب الواسعة فی الحياة والتبصر فی فهم شؤون المجتمع. وقد استمرت العلاقات القائمة بين الرسولصلى الله عليه و آله و سلم وحمزة على مدى الأيام وهی تزداد قوة على قوة، وتوثقت أكثر فأكثر بعد انضمام حمزة للمسلمين وإعلان إسلامه. فكانت علاقتهما على هذا الأساس قائمة على المصير المشترك والمسؤولية الواعية، وعلى التضحية من أجل المبادئ العليا، وهكذا سجّل التاريخ فی لوحاته المجيدة لكل منهما المواقف المشرفة والأدوار البطولية الخالدة بأحرف من نور.

إسلام حمزة فی الميزان

إن إعلان إسلام حمزة بن عبد المطلب يعدُّ نصراً عظيماً للإسلام

ص: ۲۰۵

والمسلمين فهو ممن أعزّ اللَّه به الإسلام، وكان موقفه مع الرسولصلى الله عليه و آله و سلم والمسلمين قبل إسلامه موقفاً سليماً وطبيعياً ... حيث لم يسجل عليه التاريخ أية بادرة سلبية، أو تشنجاً يشم منه رائحه العناد والمعارضة ضد الدعوة الإسلامية الأولى ... بل بالعكس كان يحب الرسولصلى الله عليه و آله و سلم، ولم يتغير عليه، ولقد دافع عنه وعن المسلمين ضد أبى جهل بل ضرب أبا جهل أمام الملأ وكان ذلك قبل أن يسلم حمزة.

وقد دُرس الوضع الجديد المتمثل بإسلام حمزة رضى الله عنه، ووجدوا بأن إسلام حمزة رضى الله عنه فتحصفحة جديدة رائعة فى تاريخ الدعوة، وفسح المجال الرحب لرغبة جماعات للانضمام إلى هذا الدين الجديد، لذلك قام المشركون بوضع استراتيجية جديدة، وهى إعلان الحرب الأهلية والنفسية والاقتصادية، لإلحاق الأذى بالمسلمين، وتعذيبهم، وفرض المضايقات المختلفة عليهم، وإثارة الأراجيف الكاذبة ضدهم، وسبيهم ومحاربة مصالحهم وإثارة النزاعات فى وجوههم، وقد عرف حمزة ما تحملة الأوضاع الجديدة من نتائج حاسمة، وكان مثال المجاهد الصبور.

ملازمة حمزة للرسول وعدم هجرته إلى الحبشة:

لما أصرت قريش على مناصبة النبيصلى الله عليه و آله و سلم ومن معه العداء، أذن الرسولصلى الله عليه و آله و سلم لبعض المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، فقد جاء فى كتاب تاريخ العيقوبى: «ولما رأى رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم ما فيه أصحابه من الجهد والعذاب، وما هو فيه من الأمن، بمنع أبى طالب عمّه إياه، قال لهم: ارحلوا مهاجرين إلى الحبشة، إلى النجاشى، فإنه يحسن الجوار، فخرج فى المرة الأولى اثنا عشر رجلًا وفى الثانية سبعون رجلًا، سوى أبنائهم ونسائهم، وهم المهاجرون الأوائل، فكان لهم

ص: ۲۰۶

عند النجاشی منزلة، وكان یرسل إلی جعفر فیسأله عما یرید ... الخ» (۱) .. «وأقام المسلمون بأرض الحبشة، حتی ولد لهم أولاد، وجمیع أولاد جعفر ولدوا بأرض الحبشة، ولم یزالوا بها بأمن وسلام، واسم النجاشی» (۲).

وقد بقی حمزة بن عبد المطلب رضی الله عنه فی مكّة ملازماً للرسولصلی الله علیه و آله و سلم یتحمل القسط الأكبر من العذاب والقسوة التی وجهتها قریش للرسولصلی الله علیه و آله و سلم ولم یهاجر إلی الحبشة، وكان سلاحه الإیمان باللّه والصبر والثبات.

حمزة والهجرة إلی المدینة:

بعدما نال المسلمون أنواع العذاب والمقاومة وصنوف الضغوط الملیئة بالقسوة والعنف والإجحاف والعناد من المشركین، أمر الرسولصلی الله علیه و آله و سلم المسلمین بالهجرة من مكة إلی المدینة، وكان حمزة ممن استجاب لأمر النبیصلی الله علیه و آله و سلم، وهاجر إلی المدینة تاركاً مسقط رأسه مكة، ما دامت المسألة تتعلق بالمبدإ والعقیدة.

وقد اختلفت الروایات التاریخیة فی منزل حمزة بن عبد المطلب فی المدینة بعد هجرته من مكة، فبعض الروایات تقول إنه نزل علی كلثوم بن الهدم والأخری تقول علی سعد بن خثیمة، وغیرها تقول علی غیر هؤلاء المذكورین.

وقد ورد حول هنا الموضوع فی الطبقات الكبری لابن سعد قال «أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا محمد بنصالح عن عمران بن مناح، قال: لما هاجر حمزة بن عبد المطلب إلی المدینة نزل علی كلثوم بن الهدم، قال محمد بنصالح:

وقال عاصم بن عمر بن قتادة: نزل علی سعد بن خثیمة» (۳).

وورد عن الموضوع نفسه فی السیرة النبویة لابن هشام عن ابن إسحاق قال: «قال ابن إسحاق: ونزل حمزة بن عبد المطلب وزید بن حارثة وأبو مرشد كناز بن حِصن. قال ابن هشام: ویقال: هو ابن حُصین. قال ابن إسحاق: وابنه

۱- ۱ تاریخ الیعقوبی ۲: ۲۹.

۲- ۲ تاریخ الیعقوبی ۲: ۳۰.

۳- ۳ الطبقات الكبری لابن سعد ۳ ق ۱: ۴.

ص: ۲۰۷

مرشـد الغُنويان، حليف حمزة بن عبـد المطلب، وأنَسةُ، وبكشة، موليا رسول اللّهصـلى الله عليه و آله و سـلم على كلثوم بن الهدم أخى بنى عمرو بن عوف بقباء، ويقال: بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زرارة أخى بنى النجار، كل ذلك، يقال» (۱).

شخصية حمزة العسكرية:

يعود سـبب شـجاعته إلى عاملين رئيسـيين، أولهماصـفاته البدنيـة اللآئقـة، والثانى الصـفات المعنويـة العاليـة التى كانت تتوفر فى جوهر شخصـيته ... فعن العامل الأول ورد فى طبقات ابن سعد عنصفاته البدنية: بأنه ... «كان رجلًا ليس بالطويل ولا بالقصير» (۲). وتعتبر هذه الصفة البدنية من الصفات التى يمتاز بها أكثر رجال العرب والعسكريون الشجعان المقاتلون الأشداء.

وأما بالنسبة للصـفات المعنويـة وهى العامل الثانى، فقد كان حمزة بن عبد المطلب قوياً جلداً فى الحروب، لا يعرف التراجع. واثق فى نفسه أثناء القتال، وعرف عنه فى الحروب أنه ذلك المجاهـد الصـبور وكان يقاتل بسـيفين كما فعل ذلك فى معركـة أحـد وبشـهادة الصـحابة عنه. فقـد ورد فى كتاب سـير أعلام النبلاء للـذهبى قال: عن ابن عون، عن عمير بن إسـحاق، عن سـعد بن أبى وقاص: «كان حمزة يقاتل يوم أحـد بسـيفين ويقول: أنا اسد اللّه» (رواه يونس بن بكير عن ابن عون عن عمير مسترسـلًا) (۳). وخلاصة القول كانت شخصية حمزة العسكرية متكاملة ومبنية على الثقة بالنفس والإقدام فى تنفيذ الواجب بإتقان تام، وإلقاء الرعب فى قلوب الأعداء.

مشاركة حمزة فى الغزوات الأولى:

كان حمزة عسكرياً فذاً وجندياً ماهراً فى القتال، يحارب ويجاهد تحت

۱- ۱ السيرة النبوية لابن هشام ۲.

۲- ۲ الطبقات الكبرى لابن سعد ۳ ق ۱: ۴- ۵.

۳- ۳ سير اعلام النبلاء- الذهبى ۱: ۱۳۱.

ص: ۲۰۸

قیادة الرسولصلی الله علیه و آله و سلم، وقد شارک فی الغزوات الأولی بعد هجرته من مکة إلی المدینة، ابتداءً من رئاسته لأول سریه غزاها، إلی مشارکته فی معرکة أحد والتی نال فیها شرف الاستشهاد، وقد أجمع المؤرخون وکتّاب السیر علی مشارکته الفعّالة ومساهمته البارعة فی المشاهد الأولی تحت زعامة الرسولصلی الله علیه و آله و سلم، ولم یورد المؤرخون اسم حمزةصراحة فی هذه الغزوات، وإنما ذکروه فی بعضها بشکلصریح وتارة أخری یلمّحون إلی اسمه بصورة غیر مباشرة. وکان لحمزة البطل الدور البارز والفعال فی هذه الغزوات، فقد أبدیصنوف الشجاعة والإقدام والإخلاص للّٰهولرسوله ولعقیدته (۱).

سریة حمزة بن عبد المطلب:

أجمع المؤرخون وکتّاب السیر والمغازی الأولی علی أن أول سریة عقدها رسول اللّٰهصلی الله علیه و آله و سلم کانت لحمزة بن عبد المطلب، ووصل حمزة بهذه السریة إلی سیف البحر فی ثلاثین راکباً «یعترض عیر قریش» وهی منحدرة إلی مکة، وقد جاءت من الشام، وفیها أبو جهل بن هشام فی ثلاثمائة راکب، فانصرف ولم یکن بینهم قتال ... قال محمد بن عمر: هو الخبر المجمع علیه عندنا أن أول لواء عقده رسول اللّٰهصلی الله علیه و آله و سلم لحمزة بن عبد المطلب» (۲). وقد جاء فی تاریخ الیعقوبی عن هذه الغزوة فقال: «وأقام رسول اللّٰهصلی الله علیه و آله و سلم، یتلوّم ویتهیأ للقتال حتی أنزل عزّ وجل:

«أُذن للذین یقاتلونَ بأنهم ظُلموا وإن اللّٰهَ علی نصرهم لقدیر» (۳)

والآیة الأخری. قال: «فقاتِل فی سبیل اللّٰه لا تُکلّفُ إلّانفسَکَ» (۴)

إلی آخر الآیة. فکان الرجل من المؤمنین یُعدُّ بعشرة من المشرکین، حتی أنزل عزّ وجل «الآن خفَّف اللّٰهُ عنکم وعَلِمَ أن فیکم ضعفاً فإن یکن منکم مائةصابرة یغلبوا مائتین وإن یکن منکم ألف یغلبوا ألفین ...» (۵)

وأنزل عزّ وجل سیفاً من السماء له غمد، فقال له

۱- ۱ المدائح النبویة- هاشم الخطیبص ۸۴- ۸۵.

۲- ۲ الطبقات الکبری لابن سعد ۳ ق ۱: ۴.

۳- ۳ الحج: ۳۹.

۴- ۴ النساء: ۸۴.

۵- ۵ الأنفال: ۶۶.

ص: ۲۰۹

جبرئيل: ربک يأمرک أن تقاتل بهذا السيف قومک حتى يقولوا: لا إله إلّااللَّه، وأنک رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم، فإذا فعلوا ذلک حرمت دماؤهم وأموالهم، فكانت أول سريه سارت هى لحمزة بن عبد المطلب (۱). ويقول المداينى: «إن أول سرية بعثها رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم. لحمزة بن عبد المطلب فى ربيع الأول من سنة اثنين إلى سيف البحر من أرض جهينة [وسيف البحر يعنى ساحله] أخرجه أبو عمر وصاحب الصفوة ولفظة أول لواء عقده رسول اللَّه لحمزة حيث قدم المدينة» (۲).

مقتل حمزة بن عبد المطلب:

كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل بشدة، وكان يحارب بيقين، وقد قُتل بعد أن قتل رجالًا من قريش، حيث «رماه وحشى، عبد لجبير بن مطعم فسقط ومثلت به هند بنت عتبة بن ربيعة وشقت عن كبده فأخذت منه قطعة فلاكتها، وجدعت أنفه، فجزع عليه الرسولصلى الله عليه و آله و سلم جزعاً شديداً وقال: لن أصاب بمثلك، وكبّر عليه خمس وسبعين تكبيرة» (۳).

جاء فى السيرة النبوية لابن هشام عن وحشى فقال: «ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له: وحشى، يقذف بحربة له قذف الحبشة، قلّما يخطئ بها، فقال له: أخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عمّ محمدصلى الله عليه و آله و سلم بعمّى وطعيمة بن عدى، فأنت عتيق» (۴).

وهكذا خرج وحشى مع رجال قريش ومعهم بعض النسوة وكانت «هند بنت عتبة كلما مرت بوحشى أو مرّ بها، قالت: ويها أبا دسمة اشف واستشف، وكان وحشى يكنى بأبى دسمة، فأقبلوا حتى نزلوا بعينين، بجبل بيطن السّبخة من قناة على شفير الوداى، مقابل المدينة» (۵).

وقد تكلم وحشى عن قتل حمزة، كما جاء فى السيرة النبوية لابن هشام

۱- ۱ تاريخ اليعقوبى ۲:ص ۴۴.

۲- ۲ ذخائر العقيبص ۱۷۶.

۳- ۳ تاريخ العقبى ۲: ۴۷.

۴- ۴ السيرة النبوية لابن هشام ق ۲ص ۶۱.

۵- ۵ السيرة لابن هشام ق ۲ص ۶۲.

ص: ۲۱۰

«قـال وحشـى، غلام جبير بن مطعم: واللَّه أنى لأنظر إلى حمزة يهـدّ الناس بسـيفه ما يُليق به شـيئاً، مثل الجمل الأورق، إذ تقـدمنى إليه سباع بن عبد العزى، فقال له حمزة: هلم إلىّ يا ابن مقطعة البظور، فضـربه ضـربة، فكأن ما أخطأ رأسه وهززت حربتى حتى إذا رضيت منهـا دفعتهـا عليه، فوقعت فى ثنته حتى خرجت من بين رجليه، فأقبل نحوى، فغُلِب فوقع، وأمهلتُه حتى إذا مات جئت فأخـذت حَربتى، ثم تنميت إلى العسكر، ولم تكن لى بشيء حاجة غيره» (۱).

مدفن حمزة سيد الشهداء رضى الله عنه بأُحد

تاريخ قتل حمزة بن عبد المطلب:

قتل على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة وكان يوم قتل له سبع

۱- ۱ السيرة لأبن هشام ق ۲ص ۶۹- ۷۰.

ص: ۲۱۱

وخمسون سنۂ، ودفن هو وابن اخته عبد اللّه بن جحش فی قبر واحد، وفی روایۂ کان سنّه یوم قتل ابن تسع وخمسین سنۂ، وکان أصغر من رسول اللّه بأربع سنین (۱).

بکاء النبیصلی الله علیه و آله و سلم علی حمزۂ بن عبد المطلب:

قال ابن هشام: لما وقف رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم علی حمزۂ قال: لن أصاب بمثلک أبداً وما وقفت موقفاً قط أغیظ لی من هذا.

وعن ابن عباس قال: لما انصرف المشرکون عن قتلی أُحد، انصرف رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم فرأی منظراً ساءه ورأی حمزۂ قد شقّ بطنه واصطلم [أی قطع] أنفه، وجدعت أذناه، فقال: لولا أن تجزع النساء ویکون سنّۂ من بعدی لترکته حتی یبعثه اللّه من بطون السباع والطیر ...، ولأمثلنّ مکانه بسبعین قتیلًا منهم. ثم کفن ببردۂ غطی بها وجهه وجعل علی رجلیه شیئاً من الأذخر [الأذخر وهو حشیشۂ طیبۂ الرائحۂ] ثم قدم وصلی علیه عشراً ثم جعل یجاء بالرجل وحمزۂ مکانه حتیصلی علیه سبعینصلاۂ، وکان عدد القتلی سبعین، فلما فرغ منهم نزل قوله تعالی: «ادع إلی سبیل ربک بالحکمۂ» (۲)

إلی قوله «واصبر وماصبرک إلّا باللّه» (۳).

لقد عرفنا من خلال هذه الروایات، مدی حزن الرسولصلی الله علیه و آله و سلم علی مقتل حمزۂ رضی الله عنه وإحاطۂ الرسولصلی الله علیه و آله و سلم وأصحابه بالجثمان الطاهر لحمزۂ وهو مسجی علی الأرض، یبکون علیه.

ذکر غسل الملائکۂ حمزۂ رضی الله عنه:

عن الحسن علیه السلام: قال رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم: رأیت حمزۂ تغسله الملائکۂ (۴).

۱- ۱ الطبقات لابن سعد ۳: ۴- ۵.

۲- ۲ النحل: ۱۲۵.

۳- ۳ النحل: ۱۲۷.

۴- ۴ ذخائر العقبیص ۱۸۵.

ص: ۲۱۲

ذكر وصيته رضى الله عنه:

قال ابن اسحاق: أوصى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فيما بلغنا إلى زيد بن حارثة، وكان رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم آخى بينهُ وبينه، أوصى إليه يوم أحد لما حضر القتال إن حدث به حادث الموت (۱).

حمزة يطلب من الرسولصلى الله عليه و آله و سلم أن يشرّفه اللّه برؤية جبريل:

كانصلى الله عليه و آله و سلم لا يرفض لحمزة أى طلب، مهما كان نوعه، وقد طلب من الرسول ذات مرة أن يشرفه اللّه برؤية جبريل عليه السلام عليصورته، وقد ورد الخبر فى الطبقات الكبرى لابن سعد حيث نقل:-

«قال: أخبرنا موسى بن إسماعيل، قال أخبرنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبى عمار: أن حمزة بن عبد المطلب، سأل النبيصلى الله عليه و آله و سلم أن يُريه جبريل فيصورته، فقال: «إنك لا تستطيع أن تراه» قال: «بلى». قال: «سأقعد مكانك». قال: فنزل جبريل على خشبة فى الكعبة كان المشركون يضعون ثيابهم عليا، إذا طافوا بالبيت، فقال: «أرفع طرفك فانظر» فإذا قدماه مثل الزبرجد الأخضر، فخر مغشياً عليه» (۲).

ذكر أنه أسد اللّه ورسوله:

عن يحيى بن عبد الرحمن بن أبى لبيبة عن أبيه عن جده قال: قالصلى الله عليه و آله و سلم «والذى نفسى بيده إنه مكتوب عن اللّه عزّ وجلّ فى السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب أسد اللّه وأسد رسوله» وقال ابن هشام: قالصلى الله عليه و آله و سلم «جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب فى أهل السماوات السبع أسد اللّه ورسوله» (۳).

۱- ۱ ذخائر العقيبص ۱۸۵.

۲- ۲ الطبقات لأبن سعد ۳ ق ۱: ۶.

۳- ۳ ذخائر العقيبص ۱۷۶.

ص: ۲۱۳

ذكر أنه خير أعمام النبيصلى الله عليه و آله و سلم:

عن عبد الرحمن بن عابس عن أبيه قال قالصلى الله عليه و آله و سلم «خير أعمامى حمزة» (۱).

ذكر أنه سيد الشهداء:

عن جابر بن عبد اللَّه: قالصلى الله عليه و آله و سلم: «سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر قام ونهاه». وفى رواية «حمزة خير الشهداء».

وعن أبن مسعود قال: قالصلى الله عليه و آله و سلم «ألا أنبئكم بأفضل الشهداء عند اللَّه بعد حمزة بن عبد المطلب، قيل: بلى يا رسول اللَّه. قال: رجل أتى أميراً جائراً فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر، فإن هو لم يقتله لم يجر عليه ذنب ما دام حياً، وإن قتله كان أفضل الشهداء عند اللَّه بعد حمزة بن عبد المطلب (۲).

شهادة النبيصلى الله عليه و آله و سلم له بالجنة:

قالصلى الله عليه و آله و سلم: «دخلت البارحة الجنة فإذا حمزة مع أصحابه» (۳).

حمزة أحد نجباء الرسولصلى الله عليه و آله و سلم:

فى رواية عن قطر بن خليفة عن كثير النواء، سمعت عبد اللَّه بن مالك، سمعت علياً عليه السلام يقول: قالصلى الله عليه و آله و سلم: «لم يكن نبىّ قط إلّاوقد أعطى سبعة نجباء ووزراء، وإنى أعطيت أربعة عشر أحدهم حمزة» (۴).

اعتزاز على بن أبى طالب عليه السلام بعمّه حمزة:

كان على بن أبى طالب عليه السلام يعتزّ جداً بعمه حمزة بن عبد المطلب، وقد سمى

۱- ۱ ذخائر العقبيص ۱۷۶.

۲- ۲ ذخائر العقبيص ۱۷۶.

۳- ۳ ذخائر العقبيص ۱۷۶- ۱۷۷.

۴- ۴ سير أعلام النبلاء الذهبى ۱: ۲۹۵.

ص: ۲۱۴

ابنه الحسن أول الأمر بحمزة من كثرة محبته له، فقد جاء فی باب ذكر تسمیتهما الحسن والحسین كانتا بأمر اللّه تعالی». فی كتاب ذخائر العقبی ذلک: «عن علی علیه السلام قال: لما ولد الحسن سماه حمزة، فلما ولد الحسین سماه باسم عمه جعفر، قال: فدعانی رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم وقال: إنی أُمرت أن أغیر اسم هذین، فقلت: اللّه ورسوله أعلم، فسماهما حسناً وحسیناً» (۱).

علی لا یفارق ذكر حمزة:

كان علی علیه السلام لاـ یفارق ذكر اسم عمه حمزة إجلالًا لقدره واعتزازاً به، وقد ورد ذلک فی كتاب ذخائر العقبی فی موضوع: «ذكر برّ علی علیه السلام به- یعنی عمه العباس- ودعائه له». وذلک «عن ابن عباس قال: اعتلّ أبی العباس، فعاده علی علیه السلام، فوجدنی أضبط رجلیه، فأخذهما من یدی، وجلس موضعی، وقال:

أنا أحقّ بعمی منک، أن كان اللّه عز وجل قد توفی رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم، وعمی حمزة وأخی جعفراً، فقد أبقی لی العباس، عمّ الرجلصنو أبیه وبره به كبره بأبیه، اللهم هب لعمی عاقبتک وارفع له درجة، واجعله عندک فی علیین» (۲).

حدیث الرسولصلی الله علیه و آله و سلم علی قبر حمزة رضی الله عنه:

ورد فی الطبقات الكبری لابن سعد قال: أخبرنا عبد اللّه بن سلمة بن قعتب، قال: أخبرنا محمد بنصالح بن یزید بن زید عن أبی أسید الساعدی، قال:

أنا مع رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم علی قبر حمزة، فجعلوا یجرون النمرة، فتنكشف قدماه وبجرونها علی قدمیه فینكشف وجهه فقال رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم: «اجعلوها علی وجهه وجلعوا علی قدمیه من هذا الشجر». قال: فرفع رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم رأسه فإذا أصحابه یبكون، فقال: ما یبكیكم؟ قیل یا رسول اللّه لا نجد لعمک الیوم ثوباً

۱- ۱ ذخائر العقبیص ۱۲۰.

۲- ۲ ذخائر العقبیص ۲۰۲.

ص: ۲۱۵

واحداً یسعه: فقالصلی الله علیه و آله و سلم: «إنه یأتی علی الناس زمان یخرجون إلی الأریاف، فیصیبون رفها مطعماً وملبساً ومرکباً أو قال: مراکب، فیکتبون إلی أهلهم هلموا إلینا فإنکم بأرضٍ جردیه، والمدینهٔ خیر لهم لو کانوا یعلمون لا یصبر لأوانها وشدتها أحد إلّاکنتُ له شفیعاً، وشهیداً یوم القیامهٔ» (۱).

حمزهٔ فی عالم الشعراء:

یحفل الأدب العربی بکثیر من القصائد الشعریهٔ عن سیدنا حمزهٔ بن عبد المطلب، أما بشکلصریح أو بالکنایهٔ، والأبیات التی قیلت فی حقه موزعه بین رثاءٍ له، أو مفاخره لشجاعته أو ورود اسمه فی المدح النبوی.

فی ذکر أوصافه:

بنوه سراهٔ کهلُهم وشبابُهم تفلّق عنهم بیضهٔ الطائر الصقر قُصیُّ الذی عادی کنانهٔ کلَّها ورابط بیتَ اللّه فی العُسر والیُسر

وأبقی رجالًا سادهً غیر عُزّل مصالیت أمثال الردینیهٔ السُمر

أبو عُتبهٔ المُلقی إلیّ حِباؤه أغرُّ هِجان اللون من نفر غر

وحمزهٔ مثل البدر یهتزّ للندی نقی الثیاب والذمام من الغدر (۲) قال ابن اسحاق: وقال حسان بن ثابت یبکی حمزهٔ بن عبد المطلب :(۳)

أتعرفُ الدارَ عفا رسُمها بعدکَصوبُ المسْبِل الهاطلِ

بین السرّادیح فأُدمانهٍ فمدفع الرّوحاء فی حائلِ

ساءلتُها عن ذاک فاستعجمت لم تدرِ ما مرجوعهُ السائل

دع عنک داراً قد عفا رسمُها وابکِ علی حمزهٔ ذی النائل

المالیِ الشّیزی إذا أعصفت غبراءُ فی ذی الشّیِم الماحل

۱- ۱ الطبقات لابن سعد ۳ ق ۱:ص ۸.

۲- ۲ السیرهٔ النبویهٔ لأبن هشام ق ۱ص ۱۷۴- قصدیهٔ حذیفهٔ.

۳- ۳ السیرهٔ النبویهٔ ق ۲ص ۱۵۵- ۱۵۶.

ص: ۲۱۶

أظلمت الأرضُ لفقدانه واسودّ نور القمر الناصل

صلى عليه اللَّه فى جنّةٍ عاليةٍ مُكرمة الداخل

كنا نرى حمزة حِرزاً لنا فى كل أمر نابنا نازل

وكان فى الإسلام ذا تُدْرَأ يكفيك فقدَ القاعد الخاذل

غداة جبريل وزيرٌ له نعم وزيرُ الفارس الحامل الهوامش:

ص:۲۱۷

ص: ۲۱۸

مختصر معجم معالم مكة التأريخية

(۳)

عاتق بن غيث البلادی

الرَّدْم:

يسمى ردم بنى جُمح، ويسمى ردم بنى قُرَاد، قالوا فى سبب تسميته: إنّ بنى جُمح وبنى مُحارِب- وكلاهما من قريش- قد اقتتلوا بمكة، فردمت بنو جُمح على قتلاها هناك فسمى بذلك، فقال أحدهم:

سأحبس عَبْرة وأفيض أخرى إذا جاوزت رَدْم بنى قُراد ومساكن بنى جُمح كانت فى الجانب الجنوبى الغربى من المسجد الحرام، أى يسار من يستقبل الركن اليمانى، وكنت كتبت فى (معجم معالم مكة) هكذا: قلت:

(موضع هذا الردم أول شارع الجودرية مما يلى المعلاه، إذا افترق شارع الجودرية الذى فى نهايته المدعى عن شارع الغَزّة فذلك هو الرَّدْم) غير أنه اتضح الآن أن النصوص لا تنطبق على هذا.

والردوم فى مكة كثيرة، منها: ردم آل عبد اللّه بن أسيد، قرب أذاخر، كانوا

ص: ۲۱۹

يدفنون موتاهم فيه، وفيه دفن عبد اللّه بن عمر، زمن تولى الحجاج على مكة.

وردم الحذائين: كان قرب المروة.

ولم تعد هذه الردوم بالأهمية التى تستحق الاستقصاء والتمحيص، ولكن لمجرد الذكرى، والذى لا يسر فى النصوص الجغرافية فى تواريخ مكة المكرمة أنها مشوشة، وقد يرد المعلم الواحد فى مكانين مختلفين، وقد يحددون بيت فلان، وبالأراكة والمأجل، ونحو ذلك، وهم معذورون، فهم يكتبون فى مدينة تتغير المسميات فيها من جيل إلى جيل.

وردوم أخرى، منها: ردم الحزامية، وردم عمر، وردم الزبير، وردم السويقة، وغيرها. وقد أفاض فيها الأزرقى فى أخبار مكة.

ريع الرسام: انظر كُدَىً.

ريع الحجون: انظر: الحجون، وكَدَاء.

ريع الكحل: هو الريع الذى يوصل بين وسط العتيبية والزاهر، طريقه من الزاهر فحى العتيبية.

فريع الحجون، ندباً لا عوج فيه.

سَرِف:

بفتح السين وكسر الراء وآخره فاء: وادٍ كبير من روافد مر الظهران، يسيل من جبل أظلم وما حوله، وفيه هناك الجعرانة، ثم ينحدر فيسمى وادى الزاوية، نسبة إلى زاوية أقامها السنوسى هناك وعليها مزرعة، ثم ينحدر فيسمى وادى الوسيعة، وفيه زراعة على آلات الضخ، ثم يقطعه طريق مكة إلى المدينة شمال مكة على اثنى عشر كيلًا، ثم يصب فى مرّ الظَّهْران عند دف خُزَاعة، فيه منهل النوارية على الطريق، وفيه قريتان لقبيلة بنى لحيان التى تسمى ديارها اللحيانية،

ص: ۲۲۰

وهى الأرض الممتدة بين مكة ومر الظهران، وهذا المكان من سرف- حيث يقطعه الطريق- قد تسور أخيراً، وقامت فيه عمارات بعضها يرتفع عدة طوابق، فصارت مدينة حديثة تسمى النوارية.

وفيه- أى حيث يقطعه الطريق- قبر السيدة ميمونة بنت الحارث أُمّ المؤمنين، وفى هذا المكان بنى بها رسول اللّه (صلى الله عليه و آله و سلم) سنة سبع للهجرة، ثم ماتت بنفس المكان. ويبلغ وادى سرف «۳۶» كيلًا طولًا، كلّه لقبيلة لحيان.

وفى سرف يقول عبيد اللّه بن قيس الرُّقَيّات (۱):

لم تكلِّمْ بالجَلْهتَين الرسومُ! حادث عهد أهلها أم قديمُ؟

سرف منزل لسَلْمةَ، فالظَّهْ - رانُ منازل فالقصيمُ وقال قيس بن ذَرِيح الكنانى (۲):

الحمد للّهقد أمست مجاورةً أهل العقيق وأمسينا على سَرِفِ

حى يمانون والبطحاءُ منزلنا هذا لعمرك شكل غير مؤتلفِ

قد كنت آليتُ جهداً لا أفارقها أفٍّ لأكثر ذاك القيلِ والحلفِ حتى تكنفنى الواشون فافتلتت لا تأمَنْ أبداً إفلاتَ مُكْتَنفِ وقوله: فالقصيم. هكذا نص الأصل، ولا أعلم معناه.

سَلْع مكَّة:

بفتح السين المهملة وسكون اللام، ثم عين مهملة: جبل غير عظيم الارتفاع، يقع شرق مكة يظله العشى جبل الطارقى، ويصفق فيه من الشرق سيل وادى عُرَنة، إذا كنت عند علمى طريق نخلة اليمانية، رأيت سلعاً جنوباً رأى العين، وقبل مدة عثر أحدهم على نقش فى هذا الجبل يعود تاريخه إليصدر الإسلام، نشرت ذلك مجلة المنهل، ولكن ذلك الباحث سماه «السلوع» وهذا ليس

۱- ۱ معجم البلدان سرف

۲- ۲ معجم ما استعجم سرف

ص: ۲۲۱

غريباً فعادة العرب من زمن بعيد تثنية المفرد وجمعه مع ما حوله، إلا أن هذا غالباً فی الشعر. وكثير من الناس لا يعرف سوى سلع المدينة، فسلع المدينة شهرته كشهرة المدينة إياها غير أن سَلْعاً هذا غير مجهول ولا خامل الذكر فی شهر هذيل.

وهذا البريق الهذلی يقول:

سقى الرحمن حزم ينابعات من الجوزاءِ أنواءً غزارا

بمرتجزٍ كأنَّ على ذُرَاه ركاب الشام يحملن البهارا

يحط العُصْم من أكناف شِبْعرٍ ولم يترک بذی سَلْع جمارا وتجدر الملاحظة أن فی فصل الجوزاء التی ذكرها البريق تكثر الأمطار فی الحجاز وليس هذا إلا بمشيئة مكون الكون. وسَلْع اليوم من ديار قُرَيش، وحدود الحرم على جانبه الغربی، فهو كلّه أو جلّه فی الحل.

شعْب علی:

الشعاب فی مكة كثيرة، ذلک أنها منطقة جبلية، ولذا ضرب بشعابها المثل، فقيل (أهل مكة أدرى بشعابها)- والحقيقة أنه ليس كلّ أهل مكة أدرى بشعابها-، ولذا فبإمكانک إضافة هذا المثل أيضاً، وقد ذكرنا الكثير منها فی المعجم (۱). هذا الشعب هو الذی لجأ إليه بنو هاشم عندما تحالفت قريش ضدهم، فعرف بشعب بنی هاشم، ثم بشعب أبی طالب عندماصار عميد البيت الهاشمی.

ثم اشترى فيه أبو يوسف أخو الحجاج الثقفی بيوتاً فعرف الشعب باسم (شعب أبی يوسف). ثم سمی بعد ذلک شعب علی، وهو اسمه اليوم، وهو منازل بنی هاشم قبل النبوة، وقد ولد فيه الرسول الأعظمصلوات اللّه عليه، وفيه اليوم فی موضع المولد الشريف (مكتبة مكة المكرمة)، وإذاً فقد أصبح من أوليات

۱- ۱ معجم معالم الحجاز.

ص: ۲۲۲

المواضع التاريخيـة، وذا اسم بارز في السـيرة. يأتي هذا الشـعب من بين أبي قبيس عن يساره والخنادم عن يمينه فيصب في بطحاء مكة فيما يعرف اليوم بسوق الليل، فوق المسـجد الحرام بما يقرب من ثلاثمائـة متر، وكانت بئر بَـذَّر- بتشديـد الذال المعجمة- عند مصـبه، فدخلت اليوم في توسعة شارع الغزَّة، فدم فمها ولم يبق له رسم.

وكـان شـعب على مأهولًـا، ومن أشـدّ أحيـاء مكـة ازدحامـاً، غير أن كـلّ بنيانه أزيل سـنة ۱۴۱۰ ه ليكـون من المرافـق العامـة ومواقف للسيارات بعد التوسعة الجديدة، وبقى مبنى مكتبة مكة ماثلًا منفرداً بعد أن نقلت إلى الزاهر تمهيداً لهدم المحل.

إلّا أن مفاهمات أهل الخير حالت دون هدمه، ويقال: إنه مقترح اليوم أن يكون متحفاً لمكة، وسلامات يا سيد الموالد!

ويقول أبو طالب في هذا الشعب معاتباً قريشاً: (۱)

جزى اللَّه عنا عبد شمس ونوفلا وتَيماً ومَخْزوماً عُقوقاً ومأثما

بتفريقهم من بعد ودٍّ وأُلفةٍ جماعتنا كيما ينالوا المحارما

كذبتم وربّ البيت نُبْزِى محمداً ولما تروا يوماً لدى الشعب قائما شِعْب الصُّفَيّ:

كذا ذكره الأزرقى، منسوباً إليصفى السباب، وسيأتيصفى السباب، وقرنه في مواضع أوجبت إيراد شاهد هو:

إذا ما نزلتم حذو نزاعة الشوى بيوت ابن قطر فاحذروا أيها الركبُ وهذا الشـعب مكانه، واللَّه أعلم، بين البياضـية وخطم الحجون مقابل ريع أذاخر من الجنوب الشرقى (۲).

۱- ۱ من قصيدة طويلة في السيرة النبوية.

۲- ۲ وهذا خلاف لما كتبته في مؤلفاتي السابقة إذ تبين لي خطل ذلك القول.

ص: ۲۲۳

شِعْب ابن عامر:

ذكره الأزرقى حين قال: ولهم- بنو أسيد- دار الحارث، ودار الحصين اللتان بالمعلاة فى سوق ساعة، عند فوهة شعب ابن عامر، والحصين ابن عبد اللّه بن خالد بن أَسيد.

أقول: و هذا الشعب يطلق عليهاليوم شعب عامر، يصب على الغَزَّة مقابل مسجد الراية، يأتى من الخنادم. وسوق ساعة الذى ذكر فيه، يعرف اليوم بسوق الزِّلّ، لأن أكثر تجارته فى الزل والبسط. وهو منسوب إلى عبد اللّه بن عامر بن كريز.

شعْب آل قُنْفد (شعبة النور):

قال الأزرقى: شعب آل قنفد: هو الشعب بالذى فيه آل خلف ابن عبد ربه بن السايب مستقبل قصر محمد بن سليمان، وكان يسمى شعب اللئام، وهو قنفد بن زُهَير من بنى أسد بن خُزَيمة، وهو الشعب الذى على يسارك وأنت ذاهب إلى مِنَى من مكة فوق حائط خُرْمان، وفى هذا الشعب مسجد مبنى يقال: إن النبىّ (صلى الله عليه و آله و سلم)صلى فيه، وينزله اليوم فى الموسم الحضارمة (۱).

قلت: هذا الشعب اليوم يسمى الشعبة، وهى تأخذ بسفح جبل المعابدة من الغرب فتمر بينه وبين قرن الغراب (۲) فتصب فى الأبطح مقابلة لتلعة الملاوى من الشمال، ولا يزال المسجد المنسوب إلى رسول اللّه قائماً فى ذلك الشعب داخلًا بعيداً عن الطريق العام يصلّى فيه، ونحن اليوم نسميها أيضاً شعبة الحرث: لأن الأشراف بنى الحارث ينزلون هذه الشعبة.

الصِّفَاح:

كجمعصفحة، والصفحة تطلق فى الحجاز على الأرض البيضاء الملساء،

۱- ۱ أخبار مكة ۲: ۲۸۶.

۲- ۲ كان فى النصفى السباب وهذا أصح.

ص: ۲۲۴

وهذا الاسم يشهد أنها لغة لهم قديمة أصيلة: أرض خارج حدود الحرم على محجة العراق، إذا خرجت من أنصاب الحرم متجاوزاً ثنية خَلّ سرت فيها، وهي جَرَد أبيض سيله جنوباً إلى المُغَمّس ثم عُرَنة، ويشرف عليها من الشمال جبل السِّتَار ويغذيها بقسم كبير من مياهه. خرج الحُسَين بن عليّ رضي اللّه عنهما يريد العراق، في خرجته التي قتل فيها، فلقيه الفرزدق الشاعر فعذله ونصحه قائلًا: إن قلوب الناس معك ولكن سيوفهم مع بني أُميّة، ولكن الحُسين رضي الله عنه لم يقبل، فقال الفرزدق: (۱)

لقيتُ الحسينَ بأرضِ الصِّفَاحِ عليه اليَلَامقُ والدُّرقُ وقال ابن مقبل يرثي عثمان بن عفان:

عفا بطحان من سُليمى فيثربُ فملقى الرحال من مِنىً فالُمحصَّبُ

فعسفان سِرّ السرّ، كلّ ثنية بعسفان يأويها مع الليل مِقْنَبُ

فنعف وداعٍ فالصِّفَاح فمكة فليس بها إلّادماءٌ ومَحْربُ وقال عمر بن أبي ربيعة: (۲)

قامت تراءى بالصِّفَاحِ كأنّما عمداً تريد لنا بذاك ضرار وتركنا شواهد غير ما ذكرنا للاختصار وقد أفضنا القول عن الصفاح في (معجم معالم الحجاز).

كتب هذا النص سنة ۱۴۰۰ ه ثم ما لبث هذا البياض أن خطط فقامت فيه مدينة حديثة ذات فلل جميلة، ولها بلدية وأسواق، وهي متسعة بحيث دخل بعض المغمس فيها، وسميت (الشرائع الجديدة) وليست من الشرائع في شيء، ولكن المخططين أرادوا اسم الشرائع بشهرته وموسيقاه. فصار لدينا من ضواحي مكة بلد ثلاث تسمى الشرائع: الشرائع القديمة (حنين) (۳)، وشرائع المجاهدين، والشرائع الجديدة.

۱- ۱ معجم البلدان الصفاح

۲- ۲ ديوانه: ۱۱۷.

۳- ۳ انظر: معجم معالم الحجاز.

ص: ۲۲۵

عُرَنَة: «۱» بضم العين المهملة والراء ثم نون فهاء ..

وادٍ من كبار أودية مكة يتكون رأسه من شعبتين يمانية وتسمى البجيدى:

وادٍ يلى جبل كبكب من الشمال، فيه نزل وزارعه على الضَّخّ الآلى، وأهله ذوو جازان الأشراف، وبه مركز إمارة يتبع قائمقام العاصمة، وشمالية وهى وادى حُنَين ويعرف اليوم بوادى الشرائع يشترك فيه الأشراف وهُذَيل، وأسفله واقع فى حدود قريش، فإذا التقت الشعبتان على مرءى من عَلَمى طريق نجد شرقاً، سمى الوادى عُرَنة، وكلّه واقع فى ديار قريش، وجلّ الأرض التى يسير فيها إلى عرفة تسمى المُغَمّس، ومن روافده: ذو مجاز يأتيه من كبكب، تنظر إليه وأنت عند العلمين المتقدم ذكرهما ولا زالت آثار سوقه ترى بصعوبة.

وقد افضت فى تفاصيله فى كتابى (أودية مكة) وفيه بحث فى مجلة المنهل، ويتجه عُرَنة إلى الجنوب بين كبكب على يساره وجبال مكة على يمينه، فيمر بطرف عرفة من الغرب حيث يكون نَمِرة بعضه فى عُرَنَة (بالنون) وتوهم بعض الباحثين وأهل المناسك أن عُرَنة- بالنون- هو فقط المكان الذى فيه المسجد ..

وهذا خطأ، من أجله توسعنا فى وصف عرفة. فإذا تجاوز عرفة- بالفاء- أخذ جنوباً غربياً فيأتيه من اليسار وادى نَعْمان وفى التقائهما تقع عين العابدية وبعض العامة يطلق اسم وادى العابدية على وادى نعمان هناك، وقد توقفت عين العابدية الآن، لأن ارتوازات ضربت قريباً منها، فنضب ماؤها. فإذا اجتمع الواديان أطلق اسم عُرَنة- بالنون- على الوادى كلّه فيمر جنوب مكة على أحد عشر كيلًا، ويعتبر منذ تجاوزه عرفة حتى جبال لبينات جنوب غربى مكة، حداً للحرم فى هذه الناحية الواسعة: ثم يصب فى البحر، قال أحدهم:

أبكاكَ دون الشِّعْب من عَرَفَات بمدفع آياتٍ إلى عُرَنَاتٍ وقيل فى أبى الكِنّات المكى المغنى:

أحسن الناس فأعلموه غناءً رجلٌ من بنى أبى الكنّات

حين غَنّى لنا ما شاءَ غناء يهيج لى اللذات

عفت الدار فالهضاب اللواتى بين (توز) فملتقى عُرنَات ولعل «توز» هناصوابها «ثور» بالمثلثة وآخره راء.

العَيْرة:

بلفظ أنثى العير: جبل بمكة ينحنى عليه المنحنى، بين الحُجُون ومنيً، يدعه المتجه إلى منى يمينه ويقابله من الشمال جبل شاهق يسمى اليوم جبل العابدة، وكان يعرف بسقر وسمى أبا دُلامة، وقيل كان يسمى العَيْر فيجمع من العيرة السابقة، فيقال: العَيْرتان، ولا يقال العيران، أما العيرة فتعرف اليوم بجبل الشَّيْبى، لبئر حفرها أحد بنى شيبة بسفح الجبل من مطلع الشمس، قال الحارث بن خالد المخزومى:

أقوَى من فُطيمة الحَزمُ فالعَيْرتان فأوْحشَ الخَطْمُ الحزم: مكان غشاه اليوم العمران بظل جبل المعابدة السابق ذكره من مطلع الشمس (۱). والخطم: خطم الحجون عندما يكنع فى الأبطح (۲). والأبطح يسمى اليوم- هناك-: الخريق، بين الخرمانية إلى مقبرة الحُجُون.

وورد اسم عير فى لامية أبى طالب:

وَعَيرٍ ومن أرسى ثَبيراً مكانه وراقٍ لِيَرْقَى فى حِراءٍ ونازل وخاض المتقدّمون فى عير هذا وعير المدينة.

انظرهما فى الجزء السادس من معجم معالم الحجاز. وقال أحدهم:

إلى بئر مَيْمون إلى العَيْرة التى بها ازدحم الحُجَّاج بين المشاعر وبئر ميمون كانت قرب الخرمانية، التى أقيم فيها اليوم مبنى أمانة العاصمة، وقد تقدم بحثها بإسهاب.

الهوامش:

المساجد والأماكن الأثرية المجهولة لزائر المدينة المنوّرة الميمونة

۱- ۱ دخل اليوم فى حى الخنساء.

۲- ۲ هـذا الخطم فيما يبـدو هو النعف من جبال الخنادم الـذى بطرفه راس جسـر الحجون، مقابل المقبرة القديمـة من الجنوب، وهـذا خلاف ما قررته سابقاً، وهذا أصح.

ص:۲۲۶

ص:۲۲۷

ص: ۲۲۸

المساجد والأماكن الأثرية المجهولة لزائر المدينة المنوّرة الميمونة

(۳)

عبد الرحمن خويلد

۱۳- الزبية (الحفرة)

التى سقطت فيها دابة النبيّصلى الله عليه و آله و سلم فى غزوة أُحد.

دو فصلنامه «ميقات الحج»،ص: ۲۲۹

تقع هذه الحفرة خلف قبور شهداء أُحد، وتبعد عنها بمائة متر بالاتّجاه إلى الشمال، وهى البقعة الوحيدة التى لم تُسفّل من بين المساحة الواسعة المسفّلة، والتى يمرّ منها المتّجه إلى جبل أُحد.

والزُبية هى المَصْيَدة التى حفرها المشركون فى طريق دابّة النبيّصلى الله عليه و آله و سلم، وغطّوها بالقَش حتى وقعت فيها دابّتهصلى الله عليه و آله و سلم، ثمّ أصابه عُتبة فجرح شفته السفلى، وكسر رباعيته، ثمّ شجّه ابن قمئة وابن شهاب، فسارع بعض الصحابة ورفعوه منها (۱).

وقد كان فى مكان هذه الحفرة مسجدٌصغيرٌ يُسمّى مسجد الثنايا أو قبة الثنايا، وسُمّى بذلك لأنّه كُسرت فيه ثنايا النبيصلى الله عليه و آله و سلم فى غزوة أُحد. وقد تهدّمت القبة وأُزيل المسجد، وبقيت- كما هى عليه الآن- (۲) أرضاً خالية.

۱۴- مسجد الفسح (المسجد المسوّر)

۱- ۱ سيرة ابن هشام ۲: ۲۱؛ والدرّ الثمين: ۱۷۷- ۱۷۸.

۲- ۲ تاريخ معالم المدينة المنوّرة: ۱۲۷.

ص: ۲۲۹

ص: ۲۳۰

مكان هذا المسجد إلى الشمال من قبور شهداء أُحد ومن الزبية، ويقع على سفح جبل أُحد، وكان ملاصقاً له، وهو على يمين الذاهب إلى الشِعب الذى فيه المهراس (۱)، ويبعد عنه بمسافة تقدّر بمائة وخمسين متراً.

وهو مسجدصغير بُنى بالحجارة منذ زمن الأتراك، وسوِّر بأسلاك حديدية، حتى عُرف عند أغلب الساكنين هناك بالمسجد المسوّر.

وقد توهّم الأُستاذ غالى الشنقيطيصاحب كتاب الدرّ الثمين (۲)بقوله:

«وقد بُنى فى عهد المملكة العربية السعودية بناءً حديثاً وجميلًا». فقد زرته فى شهر رجب عام ۱۴۱۲ ه، ووجدته على حالته السابقة، ولا زال السور الحديدى محيطاً به.

ويظهر أنّه لم يره رأى العين المجرّدة، لأنّ المتبقى منه جدار واحد فقط، وهو الذى فيه المحراب، وأنّه رأى مسجداً حديثاً وظنّه هو، والواقع أنّ المسجد الذى بُنى بناءً حديثاً هو مسجد عبد اللَّه المفوز، وسألتُ أحد ساكنى المحلة قديماً بقولى:

هل كان مكان هذا المسجد (مسجد عبد اللَّه المفوز) بناءً قديماً من الحجر؟ فكان جوابه: بعدم وجود أىّ حجر فى مكانه، وأنّ أصله أرض بيضاء.

وسبب تسميته بمسجد الفسح قيل: (۳) إنّ النبيّصلى الله عليه و آله و سلمصلّى فيه بعد انتهاء معركة أُحدصلاتى الظهر والعصر جلوساً، وصلّى الصحابة معه جلوساً، وذلك لما أُجهدوا من الجراح، ونظراً لضيق مساحته لم يجد بعضهم محلًا للصلاة فيه فنزل قوله تعالى: «يا أيّها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسَّحوا فى المجالس فافسحوا يفسحِ اللَّه لكم» (۴).

وقيل: (۵) إنّ هذه الآية نزلت بسبب ضيق المكان فى المسجد النبوى، وكان يوم جمعة. واللَّه أعلم.

ويغلب على هذا المسجد اسم مسجد الفسح منذ القِدم، وهو مشهور

۱- ۱ وهو شقّ فى جبل أُحد، والذى سيأتى بيانه لاحقاً إن شاء اللَّه تعالى.

۲- ۲ الدر الثمين: ۱۷۸.

۳- ۳ الدرّ المنثور: ۱۷۸.

۴- ۴ المجادلة ۵۸: ۱۱.

۵- ۵ أسباب النزول: ۲۷۶.

ص: ۲۳۱

بذلك (۱).

۱۵- المهراس

هو نَقْر فی جبل أُحد، کان یرشح ماءً، وبعدصعود النبیّصلی الله علیه و آله و سلم إلیه غُسل عن وجهه الدم والجراح التی لحقت به بسبب إسقاط دابته فی الزبیهٔ التی حفرها الکفار- کما مرّ سابقاً- ثمّ نزفت جراحه مرّهٔ أُخری، فجاءت ابنته فاطمهٔ الزهراء رضی اللَّه عنها وأحرقت قطعهٔ من حصیر ثمّ أخذت رمادها وکمّدت بها جراح أبیهاصلی الله علیه و آله و سلم فتوقف الدم (۲).

ویبعد المهراس عن قبور شهداء أُحد بمسافهٔ تقدّر بثمانمائهٔ متر، ومکانه شمال مسجد الفسح وأعلی منه قلیلًا.

۱- ۱ وفاء الوفاء ۳: ۸۴۸؛ والدرّ المنثور: ۱۷۸.

۲- ۲ الدرّ الثمین: ۱۷۸؛ وجاء فی سیرهٔ ابن هشام ۳: ۲۶ وغُسل عن وجهه الدم وصب علی رأسه وهو یقول: غضب اللَّه علی مَن دمی وجه نبیه.

ص: ۲۳۲

ويرتاد المهراس بعض الزوّار للصلاة فى داخله.

۱۶- قبر النبىّ هارون عليه السلام

يقع هذا القبر على جبل أُحد فى الجهة الشمالية الغربية منه، وقد أُحيط ببناء شبيه بالقلعة، له باب رئيسى، ومنفذانصغيران لتسرب ماء المطر منهما، وتوجد فوق القبر كتابات قديمة، وإلى جانبه غرف، وفى الوسط ساحةصغيرة، ويبعد عن قبور شهداء أُحد بحوالى خمسة كيلومترات ومائتى متر، ويسهل الوصول إليه بالسير بمحاذاة جبل أُحد، وهو قبل محطة المهندس للبنزين- والتى تقع على طريق الخواجات (غير المسلمين)، وتقابل نهاية جبل أُحد- بمسافة تقدّر بأربعمائة متر.

وفى ذلك المكان شِعب يُعرف بشعب هارون (۱).

۱- ۱ وفاء الوفاء ۳: ۹۲۰.

ص: ۲۳۳

وروى ابن شبه (۱) عن جابر بن عبـد اللَّه الأنصارى عن رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله و سـلم، قال: (خرج موسـى وهارون حاجَّيْن أو معتمرين، حتى إذا قدما المدينة خافا اليهود، فنزلا أُحداً وهارون مريض، فحفر له موسى قبراً بأُحد وقال:

يا أخى أدخل فيه فإنّك ميّت، فدخل فيه، فلمّا دخل قبضه اللَّه، فحثا موسى عليه التراب).

۱۷- مسجد الكاتبية

يقع هـذا المسـجد فى بدايـة طريق قباء الطالع فى أول شارع من الجهـة اليمنى بعد جسـر الصافية، وخلف الإشارة الضوئية الأولى، وهو قريب من مجمّع جوازات المدينة من جهته الشرقية.

وبناء هذا المسجد عثمانى، ويوجد فى جهته الجنوبية قبرصحابى جليل من

۱- ۱ تاريخ المدينة المنورة ۱: ۸۵- ۸۶.

ص: ۲۳۴

ويظهر مكان القبر واضحاً، وهو الربوة المرتفعة تحت الشجرة

شهداء أُحد اسمه (رافع بن مالك الزراقى) (۱)، وإنّ موقع القبر الآن على يسار المحراب من الخارج، وهو ملاصق للمسجد، ومكانه بارز ومرتفع، ومبنىّ من الحجارة السوداء، ومطلىٌّ بالاسمنت الأبيض.

۱۸- مسجد المغيسلة

مكان هذا المسجد إلى الجنوب الغربى من مسجد الكاتبية، وفى الجهة الغربية من متوسطة سعد بن الربيع للبنين، ويغلب على المحلة التى يقع فيها هذا المسجد اسم المالحة.

وهو على ربوة مرتفعة محاصرة بالمنازل، وقد جُدّد بناؤه حديثاً.

ويسمى هذا المسجد قديماً بمسجد بنى دينار بن النجار من الخزرج، روى

---

۱ - ۱ هو رافع بن مالك بن عامر بن زريق، من بنى الخزرج، ويُكنّى بأبى مالك، وله من الأولاد رفاعة وخلّاد، وقد شهد غزوة بدر، وكان من الكَمَلَة، والكامل فى الجاهلية هو الذى يُحسن الكتابة والرمى والعوم، ينظر: عنوان النجابة فى معرفة مَن مات من الصحابة: ۱۰۶؛ وتاريخ معالم المدينة: ۱۴۲.

ص: ٢٣٥

-صورتين-

ص: ۲۳۶

ابن شبه (۱) عن عبد اللَّه بن عتبهٔ بن عبد الملک «أنّ النبیّ (صلی الله علیه و آله و سلم) کان کثیراً ما یصلّی فی مسجد بنی دینار عند الغسّالین»

وقد رأی السمهودی (۲) حَجَراً فی هذا المسجد مکتوباً علیه کتابهٔ کوفیهٔ ما لفظه: (مسجد رسول اللَّهصلی الله علیه و سلم).

الهوامش:

ابو الولید الازرقی وکتابه أخبار مکهٔ

۱- ۱ تاریخ المدینهٔ المنورهٔ ۱: ۷۰؛ وینظر: تحقیق النصرهٔ: ۱۴۹؛ وتاریخ معالم المدینهٔ: ۱۱۴- ۱۱۵.

۲- ۲ وفاء الوفاء ۳: ۸۶۷.

ص: ۲۳۷

أبو الوليد الأزرقی و كتابه «أخبار مكة»

محمد علی مهدوی راد

مكّة مدینة عریقة وذات مكانة رفیعة، استقطبت إلیها اهتمام الأمم والشعوب علی مرّ الأجیال، ولها بُعد تاریخی موغل فی القِدَم. كانت لهـذه الربوع المقدّسـة أهمیة أقدم وأكبر من أی موضع آخر فی تاریخ الإسـلام، وفی حقبة تدوین الآثار التاریخیة والجغرافیة. سبق لنا وأن عرضنا مقالة عن قِدَم الكتابات المدوّنة بشأن مكَّة (۱)ووعدنا خلالها بتقدیم عرض مسهب عن كتاب آخر قیّم وقدیم حول تاریخ مكّة، واسم هذا الكتاب «أخبار مكّة ...» لمحمد بن عبد اللَّه الأزرقی. ویبدو أن كتاب الأزرقی هذا یمكن عدُّه أقدم كتاب موجود عن تاریخ مكّة (۲).

مؤلفه:

مؤلف الكتاب محمـد بن عبـد اللَّه بن أحمـد بن محمّد بن الولید بن عقبة الغسانی المعروف ب «أبی الولید الأزرقی المكّی»، وهو من المحدّثین والمؤرخین،

۱- ۱ مجلة میقات الحج، العدد ۳: ۲۲.

۲- ۲ كما ذكرنا سابقاً هنالك كتاب اسـمه «تاریخ مكّة» وینسب إلی الحسن البصری ویبدو أنَّ نُسخة منه موجودة فی مكتبة تیمور فی دار الكتب المصریة تاریخ المدینة المنوّرة، ج ۱، المقدّمة إلّاأنه لا توجد معلومات دقیقة عن محتویاتها وصحّة نسبتها.

ص: ۲۳۸

بيد أنه لاتوجد بين أيدينا- وللأسف- معلومات دقيقة عن سنة ولادته.

قال عنه ابن النديم:

«هو محمّد بن عبد اللَّه ... عقبة بن الأزرق ... وله من الكتب كتاب مكة وأخبارها وجبالها وأوديتها «كتاب كبير» (۱).

قال محقق الكتاب:

«ولد الأزرقى فى مكّة المكرّمة فى القرن الثانى للهجرة، ولم يعرف بالضبط تاريخ ولادته، ولا أشار إليه أحد من المؤرخين؛ لأن الأقدمين أهملوا ذكره بتاتاً. وترجمته التى وصلت إلينا من رواية المتأخّرين» (۲). وسنة وفاته لم تُعرف أيضاً.

قال الحاج خليفة لما أتى على ذكر كتابه:

«الإمام أبو الوليد محمّد بن عبد الكريم الأزرقى، المتوفى سنة ۲۲۳» (۳).

فيما أشار البعض الآخر إلى أن وفاته كانت فى عام ۲۱۲ (۴)، إلا أنَّ الفاسى يعتقد أنه كان على قيد الحياة حتى سنة ۲۴۸ (۵).

أما وستنفيلد الألمانى الذى نشر الكتاب لأوّل مرّة فقد استند إلى الحوادث المنقولة فى الكتاب، وعارض كلام الفاسى مؤكداً أن وفاته كانت فى عام ۲۴۴. إلّاأن محقّق الكتاب خالف آراءه وصرّح بأن رواية الفاسى ليست خاطئة. ويبدو أن الأزرقى كان على قيد الحياة حتّى سنة ۲۴۸ (۶).

قال خير الدين الزركلى: إن وفاته كانت حوالى سنة ۲۵۰ للهجرة، وأورد فى الهامش أسماء المصادر التى ترجمت حياته، وتعرّض إلى اختلاف الأقوال فيه (۷).

وعلى كلّ حال ليست ثمّة معلومات عن حياة الأزرقى وأحداثها.

والأثر الوحيد المتبقّى عنه هو هذا الكتاب الذى يعدُّ كتاباً نفيساً وثميناً ومفيداً.

اسم الكتاب:

سبق وأن أشرنا إلى أن ابن

۱- ۱ الفهرست: ۱۲۴- ۱۲۵.

۲- ۲ أخبار مكّة المقدمة: ۱۳.

۳- ۳ كشف الظنون ۱: ۳۰۶.

۴- ۴ أخبار مكّة المقدّمة: ۱۳.

۵- ۵ العقد الثمين.

۶- ۶ أخبار مكّة، المقدمة.

۷- ۷ الأعلام ۶: ۲۲، وأيضاً راجع كتاب معجم المؤمنين ۳: ۴۲۹، طبع مؤسسة الرسالة.

ص: ۲۳۹

النديم أورد اسمه على الصورة التالية:

«كتاب مكّة وأخبارها وجبالها وأوديتها» (۱).

وذكره السمعانى باسم «أخبار مكّة» (۲). فيما أشار فؤاد سزگين إلى كتاب الأزرقى تحت عنوان «أخبار مكّة المشرّفة أو كتاب فضائل الكعبة» (۳).

وأخيراً وسمه السيد رشديصالح ملحس باسم. «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار». والاسم الذى جاء ذكره فى كتاب «الفهرست» هو أكثر الأسماء تناسباً مع مضمون الكتاب، ولا يُعرف السبب الذى جعل المحقّق الفقيد يعرض عنه.

أهمية الكتاب:

كان هذا الكتاب النفيس على الدوام موضع اهتمام العلماء والمحدّثين والمؤرّخين، فقد استفاد منه الكثيرُ من الباحثين واستندوا إليه فى تنظيم بحوثهم. قرأه عبد الكريم بن محمّد السمعانى، وهو مؤرخ وكاتب سيرة واسع الاطلاع، على بعض المحدثين، وكان يقول عنه:

«محمّد بن عبد اللّه الأزرقى حفيد أحمد بن محمّد الأزرقى،صاحب كتاب «أخبار مكّة» كتبه بمنتهى الروعة والدقّة» (۴).

يقول محقّق الكتاب:

وقد درسنا كتاب (أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار) درساً وافياً واستقصينا بحوثه استقصاءً تاماً فألفيناه كتاباً مهماً، غزير المادّة، كثير الفائدة رغم خلوّه من الأبحاث السياسية والاجتماعية.

إن رأى المحقّق بشأن أهمية الكتاب وفائدته رأيصائب، أما قوله بخلّوه من الأبحاث الاجتماعية فلا يمكن قبوله؛ لأن نظرة عابرة على فصول الكتاب تثبت لنا أنه يضم بين دفّتيه مواضع مهمّة من نمط الحياة الاجتماعية فى مكّة آنذاك ومعتقدات الناس وميولهم وطبائعهم.

۱- ۱ الفهرست: ۱۲۵.

۲- ۲ تاريخ التراث العربى: ۱، الجزء الثانى: ۲۰۳.

۳- ۳ الأنساب ۱: ۱۲۲، طبعة بيروت.

۴- ۴ الأنساب ۱: ۱۲۲، طبعة بيروت.

ص: ۲۴۰

وعلى أيّة حال فكتاب الأزرقى يعدُّ أقدم كتاب عن تاريخ مكة وتتسم أخباره ومواضيعه بالدقة، ويضم بين طياته نصوصاً لا يمكن العثور عليها فى موضع آخر، ولها أهمية كبيرة ومكانة معتبرة، ولا يستغنى عنها الباحثون فى تاريخ مكّة وتاريخ الإسلام وأوضاع ذلك الزمان.

نظرة خاطفة على أبواب وفصول الكتاب:

انتهج الأزرقى فى تدوين الكتاب أسلوباً حاذقاً ويتميّز بالسلاسة والبساطة. إذ قسّم مواضيع الكتاب إلى أبواب وفصول وزيّن نصوصه بذكر سلسلة الإسناد.

تبدأ مواضيع الكتاب بالحديث عن الكيفية التى نشأت فيها الكعبة.

ويشير ضمن النصوص إلى السبب فى تسمية مكّة بأم القرى. ثم يأتى برواية منقولة عن الإمام الرابع عليه السلام فيها أيضاً إشارة إلى البيت المعمور» (ص ۳۲- ۳۳).

يتناول الفصل اللاحق كيفية زيارة الملائكة لبيت اللّه الحرام، وهبوط آدم عليه السلام إلى الأرض وبناء الكعبة، وأغلب هذه المواضيع منقولة عن وهب بن منبّه وكعب الأحبار. وقول «قرأته فى كتاب من الكتب الأول» المنقول كذا قول كعب «وجدت فى التوارة ...» لهى أقوال تستوجب التأمل حقاً. ومما يلفت الانتباه هنا رجوع عمر بن الخطّاب إلى كعب وسؤاله عن الحرم والكعبة وما يتعلّق بهما (ج ۱،ص ۴۰).

وهب بن منبه وكعب الأحبار من العلماء المطلعين على الديانة اليهودية- الإسرائيلية-، ولهما دور عميق فى بث الإسرائيليات والأفكار اليهودية فى الديانة الإسلامية. وهذه الأفكار التى يشير إليها العلماء ب «الإسرائيليات» كان لها تأثير كبير فى تغيير أفكار المسلمين. وهذا الموضوع يجب بحثه والتعمّق فيه فى موضعه المناسب.

ص: ۲۴۱

يقول وهب بن منبّه: إننى وجدت فى التوراة كيفية طواف آدم عليه السلام ودعائه، وهو ما تقوم عليه سُنّة الطواف، وفضيلة الكعبة، وأن البيت المعمور كائن بحيال الكعبة. ووردت فى الصفحات التالية وتحت عدّة عناوين مواضيع تتحدّث عن المكانة الأساسية للبيت المعمور (ص ۴۰- ۵۰).

ومما يستلزم الدقّة فى هذا المجال هى مجموعة النصوص المتعلّقة بالبيت المعمور، وما تنطوى عليه من تهافت واختلاف بشأنه. فبناء أو إعمار الكعبة كان بهمّة إبراهيم عليه السلام وهجرته إلى هذه البقعة وإسكان إسماعيل وهاجر فيها، وموضوع الصفا والمروة هى من جملة المسائل التى يستعرضها فى فصل آخر من فصول الكتاب (ص ۵۳- ۶۶).

أمّا الموضوع الذى يلى ذلك فهو كيفية حجّ إبراهيم، الذى نادى بالتوحيد وهو أول معلّم للحج، والصورة التى طرح فيها الحج، نوع الطواف الذى كان يؤدّية الأنبياء من بعده مع وصف لشعائر السعى بين الصفا والمروة، وحكم الصلاة فوق سطحالمقام ومامإلى ذلك (ص ۶۶- ۷۴).

ثم يتحدّث من بعد ذلك عن مكانة الكعبة ضمن تفسير الآية الشريفة «إن أول بيت وضع للناس ...» وشأن نزولها. ويشير إلى حالة تلك الربوع، وشرف أرض الحرم وساكنيها والولاية على تلك المواطن، وعلى مكّة والكعبة، ووصف كذلك زواج إسماعيل من إحدى قبائل العرب آنذاك، وولاية أبنائه على تلك المناطق.

والسبب فى تسمية البيت ب «العتيق» ومكّة ب «بكّة» (ص ۷۴- ۸۰).

يذكر فى فصل آخر من الكتاب أن الولاية على الكعبة ومكّة كانت بيد «جرهم» (۱)، ولكن العار والفساد قد لحق بهم لانتهاكهم حرمة تلك الديار (ص ۸۰- ۹۰). ويصف من بعد ذاك ورود «خزاعة» (۲) وسكناهم أطراف مكّة وسيطرتهم على تلك الاصقاع واتّساع نفوذهم فيها (ص ۹۰- ۱۰۳).

۱- ۱ «جُرهم»، فرع من قحطان، وللاطلاع على مزيد من المعلومات عن تاريخ هجرتهم من اليمن إلى مكّة، وتفرّعهم واتساع نفوذهم فى تلك البقاع، انظر كتاب: معجم قبائل العرب ۱: ۱۸۳، والمصادر الواردة فيه.

۲- ۲ خزاعة، من قبائل العرب الكبيرة فى العصر الجاهلى و ... راجع كتاب: معجم قبائل العرب ۱: ۳۳۸، والمصادر الواردة ذكرها فيه.

ص: ۲۴۲

ينتقل الكتاب بعدَ ذلك للحديث عن حياة ونشأة قصى بن كلاب، وحصوله على ولاية البيت الحرام وما يتعلق بذلك من الحوادث (۱۰۳– ۱۱۶).

ثم يستعرض الكتاب قضية انتشار ولد إسماعيل، وظهور بوادر الانحرافات الفكرية والعقائدية، وظهور عبادة الأصنام، وهى قضّية تحظى بأهمية بالغة من الوجهة التاريخية والاجتماعية. ويضم هذا الموضوع بين ثناياه نقاطاً مفيدة عن المعتقدات والأفكار والآراء الاجتماعية لحياة الناس فى ذلك العصر.

يبدأ بعدها بالحديث عن تبدّل المعتقدات الأساسية للناس، وبداية عبادة الأصنام والاتجاه نحو نحتها فى ربوع مكّة. ويذكر فى هذا الفصل أوّل من ألقى بين الناس عبادة الأصنام، وآتى على ذكر حديث جاء عن النبيصلى الله عليه و آله و سلم يقول فيه:

إن أول من نصب الأوثان حول الكعبة، وغيّر الحنيفية دين إبراهيم هو عمرو بن لحى (ج ۱.ص ۱۱۷).

وذكر أول من وضع الأصنام فى الكعبة، ومن وضع الصنمين على الصفا والمروة ليعتبر بهما الناس إلّاأنهما تحوّلا إلى سنّة منبوذة وعادة مستهجنة فى شعائر الحج حتّى كان يوم الفتح فكسرا مع ما كسر من الأصنام (ص ۱۱۶– ۱۲۵).

تضمن هذا الفصل شرحاً لمكانة الكعبة فى أذهان الناس، واحترامهم لها، والأصنام المختلفة التى كانت تُعبد فى تلك البقاع، والقبائل والطوائف وما تقدسه من الأوثان، وبعض المعتقدات والمراسيم التى كانت تقام عند تلك الأوثان، وبعض ما كان يعتقده الناس بشأن الكعبة والأصنام وما شأنه ذلك.

وينقل كذلك فى موضع آخر من الكتاب وصفاً لبعض معتقداتهم وتقاليدهم، التى تبدو وكأنها ذات طابع أسطورى، بيد أنها على كل الأحوال تعكس وجهاً من أوجه الثقافة التى

ص: ۲۴۳

كانت سائدة فى ذلك العصر. أضف إلى أن بعض المعلومات الواردة فى كتاب «أخبار مكّة» تعد أخباراً نادرة وفريدة من نوعها وذات أهمية قصوى.

يستعرض الكتاب من بعد ذلك حادثتين تاريخيّتين مهمّتين وهما هدم الكعبة والسعى للتقليل من شأن ذلك البيت العتيق. وتحدّث أيضاً عن مآرب أصحاب تينك الحادثتين المعروفتين تاريخياً باسمى «تبع» و «الفيل»، وكان السرد التاريخى لهما دقيقاً ومفيداً، ويعكس المنزلة العظمية للكعبة قبل الإسلام، ومدى الأهمية التى كانت تحظى بها بين العرب وغيرهم من الأمم والأقوام (ص ۱۳۲- ۱۵۴).

كما تناول الأزرقى أيضاً تأثير قصّة أصحاب الفيل فى الأدب العربى، وذكر بعض الأشعار التى أنشدها شعراء ذلك العصر حول هذه الحادثة.

أما الفصل الذى يليه فيتّسم بالإطناب وله فائدة كبيرة، ويتحدث فيه عن إعلاء جدران الكعبة وإعادة بنائها ووضع «الحجر الأسود» وهذا السرد التاريخى منقول بطرق مختلفة، وحافل بالمسائل الاجتماعية والاعتقادية وآراء الجاهلية بشأن الكعبة ومكّة والحرم ... الخ.

وصف أيضاً وبدقّة متناهية الصور والنقوش التى تزيّن جدران الكعبة، وتكلّم بهذه المناسبة عن دخول رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم مكّة منتصراً وإزالته لمظاهر الشرك من بيت التوحيد، وعن دور على عليه السلام فى تحطيم الأصنام وتلاوة سورة براءة على الناس (۱) (ص ۱۵۷- ۱۷۹). وجاء فى سياق هذا الفصل ذكر طواف أهل الجاهلية، وطواف العريان ودور (الحُمس) (۲) فى ذلك.

كان لعرب الجاهلية فى الحج وغيره تقاليد وسنن اجتماعية وسلوكية، وكانوا فى بعض الأحيان يؤدّونها بكل إخلاص ومثابرة. وفى هذا الفصل تحدّث عن بعض التقاليد التى كانت شائعة آنذاك فى شعائر الحج، وعرض

۱- ۱ نقل الأزرقى عن هذه الحادثة، أى إبلاغ سورة براءة على يد على عليه السلام، إلّاأن نقل الوقائع السابقةواللاحقة لها غير تام وغير شامل. ويمكن فى هذا الصدد مراجعة كتاب. إحقاق الحق ۱۴: ۴۹۹، والتبيان ۵: ۱۶۹، ومجمع البيان ۵: ۳، و ... الخ.

۲- ۲ راجع كتاب معجم القبائل العربية ۱: ۱۳۰.

ص: ۲۴۴

شرحاً مفصّلًا للتيار الفكرى- الثقافى الذى كان ينتهجه «الحمس» و «أهل الحل» وكيفية حجّهم.

نقل فى الفصل الذى يليهصورة عن طوافهم وإحرامهم واحترامهم للكعبة وموضوع «النسىء» (۱) وأول من قال به، والآيات النازلة فيه. وتميّز هذا الفصل بالأهمية بسبب ما يتضمنه من أبعاد اجتماعية وثقافية (ص ۱۷۹- ۱۹۴).

تابع الأزرقى فى هـذا الفصل اللاحق بيان موضوع آخر ألا وهو إطعام الحّجاج وضيافتهم، وهو ما اتخذ فى نهاية فترة العصر الجاهلى شكلًا خاصّاً (۲). وهـذا من الأمور التى تلفت الأنظار فى تلك الحقبة التاريخية، إذ تناول الكتاب أيضاً الحديث عن إطعام الزوّار وكيفية إسكانهم وغير ذلك من الشؤون المتعلّقة بالحج (ص ۱۹۴- ۲۰۰).

ينتقل الكاتب من بعد ذلك إلى وصف النفائس والتحف المعلّقة على الكعبة، ويحصى بعض الآثار المتبقية من العهود الغابرة، ثم يواصل متابعة هـذا الموضوع فيتحدث عمّا وُضِع فى الكعبة فى العصر الإسلامى، ويأتى على ذكر حج هارون وأولاده، ويأتى بنص العهد المعقود بين محمد الأمين وعبد اللّه المأمون، وهذا الموضوع له أهمية من الوجهة التاريخية.

ثم يعود إليصلب الموضوع فيتكلم عن البئر الذى حفر فى بطن مكّة على العهد الجاهلى وكانوا يُلقون فيه الهدايا (ص ۲۲۳- ۲۵۳).

كسوة الكعبة:

يتناول الأزرقى فى هـذا الفصل طرح مواضيع كثيرة ومختلفة، فيشير إلى أول من كسا الكعبة (ص ۲۴۹) ونوع تلك الكسوة، وتطييب الكعبة، وأنهم كانوا يكسونها كسوة فوق أخرى إلى أن تراكمت عليها. واسم أول من جرّدها وكشفها.

تتّسم أقوال الأزرقى عن كسوة الكعبة بالتضارب. وقد بادر محقّق

۱- ۱ للاطلاع على مزيد من المعلومات حول «النسىء»، راجع كتاب: التفهيم لأوائلصناعة التنجيم: ۲۲۳، وذيل الآية ۳۶ من سورة التوبة فى التفاسير.

۲- ۲ مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول، أحمد بن إبراهيم شريف،ص ۱۸۸- ۱۸۹، ونظام الحكموالإدارة، محمد مهدى شمس الدين: ۵۱۷.

ص: ۲۴۵

الكتاب إلى درج الأقوال المتضاربة فى الهامش، وأضاف إليها أقوال الفاكهى فى هذا المجال، وضم إليها روايات أخرى، واستنتج فى نهاية المطاف أن معاوية لم يكن فى عداد من كسا الكعبة، وواصل الحديث عن كسوتها إلى يومنا هذا. (ص ۲۵۲– ۲۸۶).

يستعرض الأزرقى فى مطلع هذا الفصل بعض الأخبار التى تشير إلى أنهم كانوا يكسون الكعبة فى يوم عاشوراء و ... إلّاأن الباحثين يؤكدون عدمصحّة مثل هذه النصوص التاريخية، ويذهبون إلى أنّها من وضع جلاوزة معاوية لاضفاء طابع قدسى على يوم عاشوراء.

ينتهج الأزرقى فى كتابه هذا نمطاً من النقل التاريخى لا يأخذ بالحسبان التسلسل التاريخى للوقائع والأحداث، بل ينقلها حسب مناسبات ذكرها.

فيستعرض فى هذا الفصل حادثة حريق الكعبة، ومن ثم يعرّج على ذكر رمى الكعبة بالمنجنيق على يد الحصين بن نمير فى أيام يزيد وكيفية تخريبها وإعادة بنائها فى عهد سلطة ابن الزبير، مع ذكر التغييرات الأخرى التى أجريت على بناء الكعبة. والمواقف التى يذكرها الكتاب فى هذا الصدد رائعة وجديرة بالمطالعة، حيث اعتبر البعض تلك الأحداث خارج نطاق قدرة الإنسان ولا بد من وجود يد للقدر فيها.

يقول الأزرقى:

أول ما تكلم فى القدر حين احترقت الكعبة ...

ونقل فى هذا الفصل من الكتاب خبراً أورده محمد بن كعب القرظى، وهو خبر يستحق التأمل فيه إذ يقول فى مطلعه: «لما حجَّ سليمان بن عبد الملك وهو خليفة طاف بالبيت وأنا إلى جنبه ...» (ص ۲۲۰).

ومحمد بن كعب القرظى هذا من مفسّرى التابعين وأصله يهودى، ومن الذين ساهموا فى إشاعة الإسرائيليات يومذاك. وهو [أول من أو] من أوائل

ص: ۲۴۶

الذین اختلفوا ونشروا قصّة الغرانیق.

وکما أشرنا فیما سلف فقد کان للعلماء والمفسّرین من ذوی الأصول الیهودیة دور فی تشویه العقائد الإسلامیة، ولا بد من إجراء دارسة موسّعة حولصلاتهم الوثیقة بالسلطات الحاکمة آنذاک ولا سیما السلطة الأمویة. ونشیر فی هذا الصدد إلی کلام أحَدِ الباحثین المطلعین قال فیه:

«والطریف فی الأمر أنه کلما کان الرواة أقرب إلی معاویة وسلطانه، کان دورهم فی وضع وإشاعة الإسرائیلیات أوسع» (۱). وما نقلناه یمثّل واحداً من تلک الأمثلة والشواهد.

ولیکون ذلک بالنتیجة تبریراً لسیاستهم الدمویة الظالمة. ویری علماء اللغة أن کلمة عاشوراء لم تطلق علی یوم العاشر من المحرم الحرام إلّامن بعد استشهاد أبی عبد اللَّه الحسین علیه السلام؛ فهذا المصطلح مصطلح إسلامی ولم یکن له وجود فی العصر الجاهلی قط (۲).

وفی الصفحات التالیة من الکتاب وصف لدخول النبیصلی الله علیه و آله و سلم مکة منتصراً فی عام الفتح، وصلاته فی الکعبة، وأذان بلال وموقف قریش إزاء کلّ ذلک، وإخبار النبی عمّا اضمروه له ولبلال. وهذا یدل علی حیرة المشرکین من جهة ویعکس من جهةأُخریعظمة بلال، وعلی معجزة رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم ومعرفته بما یضمرون. دخل النبی المسجد فی عام الفتح وأرسل إلی سادن الکعبة عثمان بن طلحة یدعوه، ولما حضر أخذ منه المفاتیح ودخل الکعبة وصلی فیها، ثم أَعادها إلیه.

یصف الأزرقی فی هذا الفصل کیفیة دخول النبی وأصحابه بدقّة متناهیة.

أشارت التفاسیر والنصوص التاریخیة إلی أن الآیة الشریفة: «إن اللَّه یأمرکم أن تؤدّوا الأمانات إلی أهلها ...» (۳)

. قد نزلت فی الحادثة التی سبق الحدیث عنها وهذا التصور غیرصحیح، إلّاأن المقام هنا لایناسب لطرح المزید من التفاصیل عن هذا

۱- ۱ بحوث مع أهل السنّة والسلفیة، سید مهدی روحانی: ۸۴؛ وأیضاً راجع کتاب: ربیع الأبرار ۲: ۸۴۲- ۸۴۴.

۲- ۲ النهایة ۳: ۲۴۰، والجمهرة ۴: ۲۱۲، وأیضاً انظر: مجلة الهادی، السنة السابعة، العدد الثانی: ۳۶، والصحیح من سیرة النبیِّ الأعظم ۳: ۱۰۴.

۳- ۳ النساء: الآیة ۵۸. راجع کتاب المیزان ۴: ۳۷۸، والتمهید ۱: ۱۴۷.

ص: ۲۴۷

الموضوع.

إن للكعبةصيتاً ملأ الآفاق منذ عهود سحيقة. وتقف اليوم كالطود الشامخ على معبر التاريخ، ولها أسماء رائعة جذّابة لكل منها معانيه وأبعاده التى يذكرها الأزرقى فى هذا الموضع من الكتاب إضافة إلى أنه يذكر تلك الأسماء، ويشير إلى الظروف التى ساهمت فى وضعها ومن جملتها: الكعبة ومكة والبيت العتيق والقرية القديمة وما إلى ذلك. وتناول ضمن هذا السياق أسماء مكّة وأول من أذّن فيها، ومكانتها فى النفوس، وعدم جواز إقامة بناء فيها على الكعبة.

(ص ۲۷۹– ۲۸۳).

فى الصفحات ۲۸۳– ۲۸۶ جاء بتفسير الآيات التى تتحدث عن الكعبة، وذكر بعض النصوص التاريخية عن أول من طاف حولها وأول من سعى بين الصفا والمروة، واضاءة الطريق للطائفين حول الكعبة وقاصديها هى والصفا والمروة. وفى هذا الفصل أيضاً وصف دقيق وشامل للكعبة وطراز بنائها، ومساحة المسجد الحرام آنذاك، والأعمدة والنوافذ الموجودة فى داخلها، وسقفها، والتطوّرات التى حصلت فى بنائها، والشاذروان، وتركيب أرضية البناء، وبابها والنقوش والخطوط المرسومة عليه، وبابها الآخر الذى أحدث فى فترة زمنية لاحقة. ويعرّج أيضاً على ذكر ماء زمزم وما فيه من الفضيلة، ويتميّز هذا الفصل بكثرة المعلومات الواردة فيه و روعتها. (ص ۲۸۶– ۳۱۹).

لحجر إسماعيل (الذى يجعل الكعبة ومكّة والحجّ مقرونة بذكرى ذلك النبى العظيم) منزلة مرموقة فى المسجد الحرام حتّيصار يُحسب جزءاً منه، ولا- بد من أن يكون أثناء الطواف داخلًا فى المطاف. والكتاب يشتمل على نصوص كثيرة عن عظمة ذلك الحجر وهيئته وأهميته.

(ص ۳۱۱– ۳۲۱).

والأزرقى فى كتابه هذا يكثر من

ص: ۲۴۸

ذكر الحوادث والمواقف عن قريش وعبد المطّلب وطفولة النبيصلى الله عليه و آله و سلم وصدر الإسلام. وينقل حادثة نزول سورة «تبت» وتأثيرها العميق فى كسر الهيبة الزائفة لأبى لهب وزوجته، ويذكر كيف أن وقع هذه السورة الشريفة أَغاظَ أمّ جميل وجعلها تصرخ وتولول. (ص ۳۱۶).

الحجر الأسود ظاهرة بارزة فى بناء الكعبة، وهنالك نصوص تاريخية كثيرة تتحدث عن كيفّيته وأهميته.

يتناول الأزرقى وصف الأركان الأربعة للكعبة مبتدئاً بالحجر الأسود، وينقل الكثير من النصوص والروايات بشأنه، ومن جملة ما أورده بهذا الخصوص أن عمر وقف يوماً أثناء الطواف مقابل الحجر الأسود قال:

«واللَّه إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم يقبّلك ما قبّلتك» فقال له على عليه السلام:

«هو يضر وينفع» فقال له: وبِمَ ذاك؟ قال «بكتاب اللَّه». وجاءه بالدليل من القرآن الكريم، عندها قال عمر:

«أعوذ باللَّه أن أعيش فى قوم لست فيهم يا أبا الحسن». (ص ۳۲۴).

وبانتهاء وصف الأركان الأربعة، والروايات الواردة بشأن «الملتزم» وحدوده، ينتهى الجزء الأول من الكتاب وفقاً للتقسيم الذى وضعه المحقّق. وبعد ختامه ترد ملحقات كثيرة ومفيدة وضعها المحقق سنتحدث عنها لاحقاً.

يتحدّث الجزء الأول غالباً عن الجوانب التاريخية لمكّة فى العصر الجاهلى وفترة ما قبل الإسلام. وفى الجزء الثانى يتناول- إضافة إلى الجوانب التاريخية فى العصر الإسلامى والفترة التى سبقت ظهور الإسلام- طرحَ المواضيع الفقهية المتعلقة بأعمال الحج وكيفية أدائه، وأهمية وفضيلة المشاهد المشرّفة. ويبدأ هذا الفصل بالمواضيع المتعلّقة بالطواف، وينقل فى مطلعه الرواية التالية المنقولة عن

ص: ۲۴۹

النبيصلى الله علیه و آله و سلم أنه قال:

«من طاف بالبیت کتب اللّه عزّ وجل له بکلّ خطوة حسنة ومحا عنه سیّئة» (ص ۳) جاءت فی هذا الفصل روایات وأحادیث کثیرة عن النبیصلى الله علیه و آله و سلم وأصحابه فی أهمّیة وعظمة الطواف حول بیت اللّه، ومن جملة ذلک الفضل الکبیر للطواف وآدابه، والنظر إلى الکعبة وکیفیة التکلّم أثناء الطواف وإنشاد الشعر وقراءة القرآن. ویواصل الأزرقی هذا الفصل مشیراً إلى طواف أحد الجن، ویتبع ذلک بمجموعة من النصوص التاریخیة، التی تبدو وکأنّها ذات طابع أسطوری إلّاأنّها تعکس بشکل واضح وجهاً من أوجه التقالید والثقافة الجاهلیة.

ومما ورد فی هذا الفصل أیضاً فضیلة الطواف تحت المطر (۱) أثناء شروق الشمس وغروبها وفی شهر رمضان، وتحدّث أیضاً عن أحد المواضع المقدّسة والعزیزة على النفوس ألا وهو «الحطیم» حیث یستغیث المسلمون عندها باللّه تعالى ویناجونه.

أما بشأن الحیّز الذی یشغله الحطیم من جانب الحجر الأسود وباب الکعبة فهنالک اختلاف فیه، وکلام الأزرقی یدل على أن الحطیم واقع بین الرکن والمقام وزمزم والحجر. (ج ۲،ص ۲۳).

بعد تعیین حدوده، ینتقل إلى مرکز الأخبار الدالة على المکانة الرفیعة التی کانت للکعبة فی نفوس الناس فی العهد الجاهلی، حیث کان الناس یجتمعون آنذاک فی هذا الموضع للدعاء ومقارعة الظلم. (ص ۲۳– ۲۸).

ثم یتّجه من بعد ذلک إلى وصف مقام إبراهیم، والحوادث التی اکتنفته على مرّ الزمان کاستبدال مکانه، والذهب المستخدم فیه، وارتفاعه وأبعاده الأخرى (ص ۲۹– ۳۹). وبعد استعراضه لکیفیة ایجاد بئر زمزم وهدمه ثم إعادة حفره بهمّة عبد المطّلب، یذکر قصّة نذره من أجل إنجاب الأولاد والتضحیة بعبد اللّه (ص ۳۹– ۴۹). إلّاأن قصّة نذر عبد

۱– ۱ وُفّقتُ فی عام ۱۳۷۲ للهجرة الشمسیة لأداء العمرة، وفی مکّة کنت مُستصحباً معی کتاب الأزرقی وکنتأطالع فیه وادّون بعض المعلومات المفیدة فی إعداد هذه المقالة، إلى أن وصلت إلى الروایات التی تؤکد فضیلةَ الطواف تحت المطر، فتمنّیت أن یحالفنی الحظ لأداء مثل هذا الطواف. وفی أحد الأیام هطلت الأمطار شدیدة وقتصلاة الظهر، وکان الحجاج یطوفون حول بیت اللّه بشوقصادق وعمیق، وکانت الأفئدة مغمورة باستشعار الرحمة الإلهیة. وأنا أیضاً کنت أطوف مع الناس فی ذلک «المیعاد» مسلماً قلبی للّه. واتجه الکثیر من الحجاج بعد الطواف إلى حجر إسماعیل لیغسلوا الأبدان والأرواح بالماء الذی تسکبه میزاب الکعبة من سطحها.

ص: ۲۵۰

المطلب، وقصد ذبح عبد اللّه الواردة أيضاً فى المصادر التاريخية والكتب المدوّنة عن سيرة النبيصلى الله عليه و آله و سلم (۱) لا تمتاز بالدقّة اللازمة (۲).

ضم الفصل التالى من الكتاب بئر زمزم وفضيلته وطيب مائه وبعض الأحداث المتعلّقة به، والآراء والمعتقدات بشأنه. (ص ۴۹- ۶۲).

يبدأ الأزرقى بدرج المعلومات الدقيقة المتعلّقة بالمسجد الحرام اعتباراً من هذا الفصل، ويستهل حديثه بذكر فضيلة المسجد الحرام وأهمية الصلاة فيه، ويورد من طرق مختلفة الرواية المنقولة عن النبيصلى الله عليه و آله و سلم أنه قال:

«لا تُشد الرحال إلّاإلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد النبيِّ والمسجد الأقصى».

وأنه استهدف من وراء ذلك تأكيد المكانة الرفيعة للمسجد الحرام.

ونشير هنا إلى وجود جدل واسع حول هذا الحديث وأنهصار أداة بيد ابن تيمية وأتباعه لدعم معتقداتهم. كما ويعتقد بعض محدّثى وعلماء العامّة أن هذا الحديث موضوع (۳).

من جملة ما جاء فى هذا الفصل أيضاً، ذكر أول مَن أتى بصلاة الجماعة حول الكعبة بشكل دائرى، وموضع قبور بنات إسماعيل وبعض آداب الحضور فى المسجد الحرام كالوضوء والنوم والإعلان عن المفقودين. ومن المثير هنا أن الأزرقى ينقل عن أحد الشهود قوله:

«رأيت النبيصلى الله عليه و آله و سلم يصلّى مما يلى باب بنى سهم والناس يمرّون بين يديه ليس بينهم وبينه شبر» (ص ۶۷).

يهتم الفصل اللاحق ببيان الكيفية التى كان عليها المسجد الحرام، وما طرأ عليه من تطوّرات نظير ما حصل فى خلافة عثمان (ص ۶۸) وفى عهد عبد اللّه بن الزبير (ص ۶۹- ۷۱)، والوليد بن عبد الملك وأبى جعفر المنصور الدوانيقى والمهدى العباسى وغيرهم.

كما وتناول هذا الفصل أيضاً

۱- ۱ وراجع أيضاً كتاب: الكافى ۴: ۲۱۷؛ ومَن لا يحضره الفقيه ۲: ۱۴۷.

۲- ۲ انظر كتاب: من لا يحضره الفقيه ۳: ۸۹؛ وكتاب على الدوانى، تاريخ إسلام از اغاز تا هجرت تاريخ الإسلام من البداية وحتّى الهجرة: ۵۴؛ والصحيح من سيرة النبى الأعظم ۱: ۶۹.

۳- ۳ نقل هذا المضمون بشكل آخر. لغرض التعرّف على الحديث والرواة، راجع كتاب: نقد الحديث فى علم الرواية وعلم الدراية، للدكتور حسين الحاج حسن ۲: ۴۰، والوهابية فى الميزان: ۱۴۸ وما بعدها، والسنة قبل التدوين: ۵۰۲.

ص: ۲۵۱

مساحـة المسـجد الحرام وعـدد أعمـدته وشـرفاته والفواصل بينها، وخصائص أبوابه وعـددها ومقدار المسافات الفاصـلة بينها، وارتفاع جدران المسجد، وسقفه، ومنائره ومسنّناتها.

والقناديـل، والمظّلات التى يقف تحتها المؤذّنون، والمنبر وأوصافه وحجرته، والتغييرات التى أجريت عليه فى عهـد المعتصم عام ۲۲۰ للهجرة. كمـا أشـار أيضاً إلى موضع دار النـدوة (منتـدى اجتماع ومناقشات قريش)، والشؤون المتعلقـة بها وواجباتها، وهى ذات أهمية بالغة لكونها تساعد على معرفة التركيبة السياسية للمجتمع فى فترة العصر الجاهلى، إضافةً إلى الكثير من المواضع التاريخية والجغرافية، والتعرف على المعتقدات والأفكار وهى مواضيع مفيدة للمحققين. (ص ۸۱– ۱۱۴).

تتضمن الصفحات من ۱۱۴– ۱۲۶ وصفاً لموضع الصفا والمروة وحدوده وكيفية السعى بين الصفا والمروة، وسعى الرسولصلى الله عليه و آله و سـلم، وسـعى الراكب والمسافة الفاصـلة بين الصـفا والحجر الأسود، وبين الصفا والمروة والدرجات الموجودة فى الصفا والمروة وكيفية بنائها.

ويعرض بعـد ذلك وصـفاً تفصـيلياً لحـدود الحرم ويسـتهلّه بقول لرسول اللَّهصـلى الله عليه و آله و سـلم عنـد الفتح (ص ۱۲۱ – ۱۲۵) ويواصل الموضوع بطرح الأحاديث الواردة بشأن البيت المعمور، ثم يتحدث عن تعيين حدود الحرم وأول من عيّنها.

(ص ۱۲۶– ۱۳۲).

وفى الصـفحات اللاحقـة من الكتاب يشـير إلى منزلـة الحرم ومكانته المرموقـة، ومـدى حرمـة ارتكاب الذنوب فى تلك البقعة، ولهذا الفصل أهمّية تسترعى الاهتمام من حيث الجوانب التاريخية والاجتماعية والثقافية. كما ويتضمن أيضاً الكثير من الروايات التى تتحدث عن حكم البيع والشراء فى الحرم، وعدم جواز الظلم والاحتكار فى مكّة والحرم وعدم

ص: ۲۵۲

مراعاة الجوانب الإنسانية. ويؤكد أمن تلك المناطق وحرّية الناس فيها من أى سيطرة أو سلطان ووجوب الانصياع للأحكام الإلهية، وأسلوب مجازاة المجرمين والقتلة والسارقين اذا لجأوا إلى الحرم، أو ارتكبوا الجرم فيه.

(ص ۱۳۱– ۱۳۸).

تتناول الصفحات ۱۵۱– ۱۵۹ وصفاً لمكانة مكّة عند أهل الجاهلية والإسلام. واحترام الرسولصلى الله عليه و آله و سلم لمكّة وأرضها، والأشعار التى تعكس منزلتها فى الأدب العربى وما شابه من الأمور التى أوردها تحت عنوان:

«ما ذكر من أهل مكّة أنهم أهل اللّه عزّ وجل».

لما استقر النبيصلى الله عليه و آله و سلم وأصحابه فى المدينة لم ينسوا سحر مكّة وتألقّها، لأن ذكرى مكّة بالنسبة لهم تعنى ذكرى المواقف المبدئية، وإحياء ذكريات الصلابة والصمود على طريق الحق. ولهذا فإنهم كانوا يتذكرونها على مرّ الزمن وتراودهم أمنية الوصول إليها، وقد دوّن الأزرقى تلك الذكريات بشكل يفوح رقةً وعاطفة نابعة من أعماق القلب. (ص ۱۵۳– ۱۵۷).

يبيّن فى فصل آخر من الكتاب حدود المحصّب (وهو مسيل بين مكّة ومنى) ومنزل نزله رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم بعد فتح مكّة وفى الأيام التى بقى فيها، وقد ورد فى النصوص التاريخية بأنه حينما كان يأتى مكّة بعد فتحها كان يذهب من بعد الطواف إلى أعاليها، ويضرب له خيمة فى الحجون ويقيم فيها.

(ص ۱۵۹– ۱۶۴).

وفى عهد رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم وما أعقبه من السنين لم يكونوا يبيعون البيوت فى مكّة ولا يضعون عليها الأبواب ولا يكرونها. وإذا استغنى أحدهم عن داره يعطيها لمن يحتاجها.

ولكن إلى متى استمر هذا الوضع، وكيف تحول على مرّ التاريخ؟ فهذا ما يمكن العثور عليه فى الصفحات التالية من الكتاب. (ص ۱۶۲– ۱۶۵).

أطراف مكّة تحيطها جبال

ص: ۲۵۳

شاهقة. والأمطار الغزيرة تؤدى إلى حصول سيول جارفة مع وجود الجبال حتى أن بعض السيول قد حفرت لها أثراً فى ذاكرة التاريخ. أورد الأزرقى تحت عناوين «سيول وادى مكّة فى الجاهلية» و «سيول وادى مكّة فى الإسلام» الكثير من السيول التى وقعت فى تلك الأيّام، وأسماء ما كان له اسم منها والسبب فى اطلاق تلك التسمية عليه. وهذه النصوص التاريخية تعكس وجهاً من وجوه الجغرافيه الطبيعية لمدينة مكّة ودور السيول فى حياة الناس وفى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لسكنة تلك البقاع آنذاك. (ص ۱۶۶- ۱۷۷).

تطرق أيضاً إلى ذكر حدود «منى» وموضع إقامة النبيِّصلى الله عليه و آله و سلم فيها، ومنازل أصحابه أيضاً، ومسجد خيف وطراز بنائه، والمساجد الأخرى فى منى، وأول من رمى الجمرات، وكيفية نصب الأوثان على أرضها، والأعمال الواجب أداؤها هناك، والصورة التى كانت عليها فيصدر الإسلام.

(ص ۱۷۲- ۱۸۹).

أشير هنا إلى أن الأزرقى أورد فى ختام حديثه عن «مسجد كبش» خبرين متناقضين بشأنه؛ يظهر فى الأول أن الذبيح كان إسحق فيما يدل الثانى على أنه كان إسماعيل. ومن الواضح أن الروايات الدالة على إسحاق فى هذا المجال قد وُضِعت ونشرت على يد المفسّرين اليهود. وقد تنبّه المفسرون المسلمون الكبار (۱) إلى هذه المسألة، ولكن يبدو أن بعضهم كالطبرى لم يستطيعوا التخلّص من قبضة تلك الروايات الموضوعة (۲).

أَمّا الفصل الذى يليه فيتناول حدود مزدلفة (المشعر الحرام)، والمسجد القائم فى تلك البقعة وتاريخ بنائه، والوقوف فى المشعر الحرام. كما ويشير فى هذا الفصل إلى السنن الجاهلية التى كانت متعارفة فى الحج فى ذلك الموضع. وقد وصف الأزرقى بدقّة متناهية كلّ ما يتعلق بتلك البقعة من

۱- ۱ راجع كتاب: تفسير القرآن العظيم ۴: ۱۷؛ والتبيان فى تفسير القرآن ۸: ۴۷۴؛ والميزان ۱۷: ۱۵۵؛ ومحاسن التأويل ۱۴: ۱۲۱ و ... الخ.

۲- ۲ جامع البيان فى تأويل آى القرآن ۲۳: ۸۵.

ص: ۲۵۴

الأرضصغيراً كان أم كبيراً، وحتّى المرتفعات والمنخفضات الموجودة فيها.

(ص ۱۹۰- ۱۹۴).

يتّسم وصف الأزرقى لعرفات بنفس الدقّة أيضاً ويشير فيه إلى حدودها وكيفية الوقوف فيها، مع الحديث عن مختلف نقاطها وأماكنها وغير ذلك من الأمور المتعلّقة بها، ثم يعّرج من بعد كلّ هذا على تعريف مساجد مكّة، والمواضع التى كان يسكنها الصحابة وبعض القبائل.

ويرسم تصويراً دقيقاً لآثار النبيصلى الله عليه و آله و سلم، ودار خديجة، والكثير من الدور والأماكن التى كان كل واحد منها مسرحاً فى ذلك العصر لحوادث مصيرية فى تاريخ الإسلام، إلّاأن حراب جهل السلاطين اليوم قد ضيّعتها وافقدتها معناها. ومن جملة الأماكن التى يقدّمها لنا مفصّلة فى هذا الموضع من الكتاب جبل ثور، وغار حراء، وطريق النبىّ من غار حراء إلى جبل ثور، ومسجد البيعة (الذى بنى فى موضع بيعة النبيصلى الله عليه و آله و سلم من أهل يثرب)، ومسجد الجعرانة، والتنعيم و ...

الخ. (ص ۱۹۸- ۲۰۹).

يتناول الأزرقى فى فصل آخر من الكتاب مقابر مكّة والمدفونين فيها، ويحدّد أماكنها ومواقعها بدّقة ويذكر مَن هم الأشخاص الدين دفنوا فيها، ويصف أيضاً كيفية دفن الأموات فى الجاهلية فى المقبرة المعروفة بمقبرة مكّة قرب الحجون، وينتقل منها إلى وصف مقبرة المهاجرين، ويذكر السبب فى تسميتها بهذا الاسم. ويشير الأزرقى فى هذاالفصل أيضاً إلى وقوف النبيصلى الله عليه و آله و سلم على قبر أُمّه آمنة بنت وهب وبكائه عليها والتحدّث من بعد ذلك مع الناس. إلّاأن مثل هذه الأخبار مطعون بها من الوجهة التاريخية.

فالنصوص التاريخية الصحيحة تشير إلى أن آمنة بنت وهب توفيت فى «الأبواء» وهى أحد المنازل بين مكّة والمدينة (1) ودفنت هناك.

الخبر الآخر الذى ينقله الأزرقى

۱- ۱ سیرة ابن هشام ۱: ۱۷۷؛ وامتاع الأسماع ۱: ۷، وسیرة الحلبی ۱: ۱۰۵.

ص: ۲۵۵

يحكى أن آمنة ماتت على الشرك، وأن النبيصلى الله عليه و آله و سلم لما جاء إلى هذه المقبرة استغفر لها، فأنزل اللّه تعالى الآية: «ما كان للنبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركينَ ولو كانوا أولى قربى ...» (۱)

فنهاه عن الاستغفار لها.

ويأتى مفسرو أهل السنّة على ذكر مثل هذه الأخبار فى هذا الخصوص، وربّما تكون مصحوبة أيضاً بالكثير من التفاصيل والتفريعات والإضافات بشأن أبى طالب عليه السلام وهى فى الحقيقة لا أساس لها من الصحّة (۲) فسورة التوبة مدنية ومن آخر السور التى نزلت على رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم، بينما توفّيت تلك الشخصيات الكبيرة فى مكّة، فكيف نزلت هذه الآية عند موتهم أو حين الاستغفار لهم؟ وقد ذكرنا أن أمّه قد توفّيت فى الأبواء، فكيف وقف النبيصلى الله عليه و آله و سلم على قبرها فى مكّة واستغفر لها، فنزلت هذه الآية؟! هذا فضلًا عن الأدّلة الكثيرة التى تثبت إيمانهم.

يتحدّث الفصل التالى عن الآبار والعيون ومزارع النخيل وما يتعّلق بها من شؤون تاريخية؛ ومثل هذا الموضوع ينطوى على فائدة كبيرة من حيث اتاحة الفرصة للتعرف على الجغرافيا الطبيعة، والاطلاع على الاوضاع المعاشية وغيرها من الظروف الزراعية والحالة الاقتصادية التى كانت سائدة آنذاك. (ص ۲۱۴- ۲۳۲).

وآخر موضوع جدير بالقراءة ويتّسم بالدقّة يورده الأزرقى عن الدور والمحلّات والجبال المحيطة بمكّة، ويردفه بوصف دقيق ممزوج بالمعلومات الجانبية الكثيرة والمفيدة، على سبيل المثال: دار الأسود بن خلف الخزاعى ..

التى اشتريت بمئة ألف دينار وهى نفس دار الإمارة أو «دار السلامة» عند سوق الحذّائين، (ص ۲۳۴)، ودار آل حرب بن أمّية التى تسمى أيضاً دار ريطة بنت أبى العباس، وهى نفس الدار التى قال عنها رسول اللّهصلى الله عليه و آله و سلم يوم فتح مكّة: «مَن دخل دار أبى

۱- ۱ التوبة: ۱۱۳.

۲- ۲ تفسير القرآن العظيم ۲: ۳۴۴؛ وفى ظلال القرآن ۳: ۱۵۶۴؛ تفسير الحديث ۱۲: ۶۴.

ص: ۲۵۶

سفيان فهو آمن (ص ۲۳۶) و ... الخ».

كان هـذا استعراضاً خاطفاً لفصول كتاب الأزرقى، وهذا الاستعراض السريع يعكس للقارئ أهمية هذا الكتاب فى الأبحاث التاريخية والإسلامية على أصعدتها المختلفة. إن كتاب الأزرقى هذا يمثل مصدراً هاماً وموردا زاخراً بالمعلومات المتنوّعة.

ومما لا شك فيه أن أى باحث فى التاريخ الإسلامى لا يمكنه الاستغناء عن مطالعته والاستفادة منه.

أخبار مكّة من هو مؤلفه؟

ولكن كتاب أخبار مكّة هذا وبالخصائص التى لاحظناها، تأليف مَن؟ أهو لأبى الوليد محمد بن عبد اللّه بن أحمد الأزرقى؟ أم لأحمد بن محمد بن الوليد أى جدّه؟

يقول وستنفيلد: (۱)«إن هذا الكتاب يشبه فى بعض الوجوه كتاب ابن هشام فى السيرة النبوية، وذلك باشتراك أشخاص عديدين فى تأليفه. بيد أنه لا يشبهه من جهة كونه مختصراً من مجموعات كبيرة، بل بالعكس فقد كانصغير الحجم ثم زيد عليه علاوات كثيرة وضم إليه مواد عديدة أدّت إلى اتّساعه» (۲).

ويقول محقق الكتاب:

«والحقيقة التى لا ريب فيها أن واضع كتاب أخبار مكّة أو بعبارةصريحة جامعه ومرتبه ومؤلّفه هو محمد بن عبد اللّه الأزرقى رواية عن جدّه أحمد بن محمد الأزرقى وغيره من الرجال المعروفين. وكانت روايته عن جدّه أكثر من روايته عن غيره مما يدعونا للقول: بأنَّ المؤلف الأصلى للكتاب هو جدّه أحمد» (۳).

ثم يثبت محقّق الكتاب فيما بعد أن رواة آخرين أضافوا إلى نسخة الأزرقى مواضيع وأخباراً أخرى أيضاً.

اختصار الكتاب:

لقد كان كتاب أخبار مكّة فى

۱- ۱ مستشرق ألمانى كبير، يتصف بالمثابرة وسعة الاطلاع. وقام بتحقيق وتصحيح الكثير من المتون القديمة، طبع كتاب «أخبار مكّة» لأوّل مرّة فى عام ۱۸۵۷. راجع كتاب: الاعلام للزركلى ۸: ۹۹؛ وموسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوى: ۳۹۹، حيث تجد سيرته ومؤلفاته مدوّنه بشكل وافٍ ودقيق؛ المستشرقون، نجيب العقيقى ۲ : ۳۶۷؛ وفرهنگ خاورشناسان معجم المستشرقين، أبو القاسم حالت: ۳۵۴.

۲- ۲ أخبار مكّة، المقدمة: ۱۶.

۳- ۳ أخبار مكّة، المقدمة: ۱۶.

ص: ۲۵۷

مستهل أمره مجموعهٔصغیرهٔ کما قلنا، ثم أضیفت إلیه مواد وزیادات جمّهٔ بحیثصار کتاباً ضخماً فی التاریخ، ومن ثم اختصره بعض المحقّقین، ونظمه أحدهم فی أرجوزهٔ.

۱- سعد الدین بن عمر الاسفرائنی المکّی

وهو من علماء القرن الثامن للهجرهٔ اختصر کتاب الأزرقی فی کتاب سمّاه «زبدهٔ الأعمال وخلاصهٔ الأفعال» وکان کتاب الاسفرائنی هذا فی بابین:

أولهما فی ذکر فضیلهٔ الکعبهٔ وقد لخّصه بعد أن قرأه علیه محمّد بن أحمد القرشی المکّی الشافعی فی مکّهٔ.

وثانیهما: فی ذکر فضیلهٔ المدینهٔ وهو من زیادهٔ المختصر. ثم یعرض محقّق الکتاب السید رشدی ملحس نسخاً منه.

۲- یحیی بن محمّد الکرمانی

وهو من علماء القرن التاسع للهجرهٔ، اختصر کتاب الأزرقی فی عام ۸۲۱ للهجرهٔ، وقد حذف أسانیده وأضاف إلیه بعض الزوائد، وسماه «مختصر تاریخ مکّهٔ المشرّفهٔ» (۱).

ویوجد من هذا الکتاب نسخهٔ أیضاً (۲).

۳- عبد الملک بن أحمد ...

الأنصاری الأرمانتی

وهو من فقهاء الشافعیهٔ فی القرن الثامن للهجرهٔ، نظم أخبار مکّهٔ للأزرقی فی أرجوزهٔ. ذکره ابن حجر العسقلانی، ویبدو أن الکتاب لم یبق له من أثر الیوم (۳).

تحقیق الکتاب:

سبقت الإشارهٔ إلی أن کتاب أخبار مکّهٔ قد تمّ تصحیحه وتحقیقه ونشره لأوّل مرّهٔ علی ید المستشرق الألمانی وستنفیلد.

یقول عنه عبد الرحمن بدوی:

«نشر مجموعهٔ تحت عنوان «أخبار مکّهٔ: نصوص عربیهٔ وکان المجلّد الأول فیها کتاب أخبار مکّهٔ للأزرقی ...» (۴).

وقد قابلَ وحقق وصحّح

۱- ۱ أخبار مکّهٔ، المقدمهٔ: ۱۸، وأیضاً راجع کتاب: معجم المؤلفین ۳: ۵۶۶، طبعهٔ مؤسسهٔ الرسالهٔ.

۲- ۲ المصدر نفسه: ۱۹؛ وأیضاً راجع کتاب: الأعلام ۸: ۱۶۶.

۳- ۳ الدرر الکامنهٔ ۲: ۴۱۴؛ أخبار مکّهٔ، المقدّمهٔ: ۱۹.

۴- ۴ موسوعهٔ المستشرقین: ۴۰۱.

ص: ٢٥٨

الكتاب على أساس ثلاث نسخ، ثم باشر طبع الكتاب فى ليبسيك بألمانيا.

وجاءت تصحيحاته فى ١۴صفحة، وأفرد له مقدّمة تاريخية عن المؤلّف وكتابه، ووصف النسخ الخطية التى اطّلع عليها.

الطبعة المعنية:

يؤكد المرحوم رشديصالح ملحس فى مقدّمة الكتاب على أهمية الطبعة السابقة ويشيد بجهود محققها. إلا أن ما تنطوى عليه من نواقص وتحريف وتشويه قد حمله على إصدار طبعة جديدة ومصححة لكتاب الأزرقى. وتتسم هذه الطبعة بالدقة وفيها الكثير من الإضافات التى تزيد من أهميتها وفائدتها.

نتحدث فيما يلى عن طريقته فى التحقيق (١).

١- نسخة الكتاب:

اعتمد المحقّق على ثلاث نسخ خطّية إضافةً إلى الطبعة الأوربية فى مقابلة وتصحيح وتحقيق الكتاب. قابل فى بداية الأمر النسخ الخطية الثلاث وقارنها بالنهاية مع الطبعة الأوربية.

وفى المسائل التى لا يطمئن إليصحتها يرجع إلى المصادر التاريخية ليقدّم نسخة منقّحة وصحيحة.

٢- الهوامش:

يذكر فى الهوامش النسخة البديلة، ويشرح بعض الأعلام والأماكن ومبهمات المتن. وينبّه إلى بعض أخطاء المتن من خلال المقابلة والتطبيق مع المصادر الأخرى، ويعطى فى بعض الأحيان معانى الكلمات العويصة. إضافةً إلى ما ذكر فى الهوامش فإنه قد أورد فى تصحيح أو تكميل الأخبار والنصوص إضافات مهمّة من قبيل تقديم الإيضاحات عن كيفية التصاوير الموجودة فى داخل الكعبة. (ج ١،ص ١۶۵)، وبعض الأماكن (ص ١٩١)، كسوة الكعبة

---

١ - ١ الطبعة التى عوّلنا عليها، مستنسخة بالأوفسيت على الطبعة الثالثة للكتاب، والمنشورة فى عام ١۴٠٣ من قبل دار الأندلس فى بيروت. ومميّزات الكتاب الذى استفدنا منه درجة بالشكل التالى: «أخبار مكّة» انتشارات الشريف الرضى، قم، ١۴١١.

ص: ۲۵۹

(ص ۲۵۲)، أسماء الكعبة (ص ۲۷۹)، الحجر الأسود (ص ۳۴۶)، تطوّرات البناء فى الصفا (ج ۲،ص ۱۲۰)، المدفونين فى مقبرة المهاجرين (ص ۲۱۳). والهوامش التوضيحية التى أوردها المحقق مفيدة ووافية.

۳- الملحقات:

ذكرنا أن المحقّق قد طبع ونشر الكتاب فى جزأين ولكل منهما ملحقات ضرورية ومفيدة. وملحقات الجزء الأول عبارة عمّا يلى:

أ- إكمال أخبار بناء الكعبة وما حصل فيها من تجديد. فهو وبناءً على أخبار الأزرقى يشير إلى أنَّ الكعبة قد بُنيت عشر مّرات حتّى زمن الحجاج بن يوسف. ثم يذكر بالتفصيل بناءها للمرة الحادية عشرة فى عهد السلطان مراد بن السلطان أحمد من السلاطين العثمانيين. وهذا الخبر حديث ودقيق (ص ۳۵۵- ۳۷۳).

ب- ينقل الأزرقى أن عمرو بن لحى قد وضعصنم «الخلصة» فى أسفل مكّة (ص ۱۲۴) وأقوال المؤرخين حول «ذى الخلصة» متهافتة. فهل كان ذو الخلصةصنماً أم دار أصنام؟ ومن الذى أوجدها وكان يعبدها؟ والمحقق يستعرض بالتفصيل أقوال المؤرخين ويقارنها مع بعضها ويعرض النتيجة بشكلعلميومُحقق. (ص ۳۷۴- ۳۸۹).

ج- ينقل الأزرقى الكتب التى أرسلها المأمون إلى الكعبة مع اللوح.

وقد تحدثنا عنها فيما سبق. فهذه الكتب مغلوطة ومشوّهة فأرسل المحقق متونها إلى العلّامة والأديب المصرى أحمد زكى باشا ليصحّحها جهد المستطاع.

وقد أورد فى هذا الملحق نص حديثه فى هذا المجال.

أما ملحقات الجزء الثانى فهى كما يلى:

أ- ينقل الأزرقيصورة عن توسيع المسجد الحرام وصفة بنائه إلى عهد خلافة المهدى العباسى، وقد تابع

ص: ۲۶۰

المحقّق ذكر ما طرأ عليه من إضافات إلى العهد العثمانى، (ص ۳۰۵- ۳۰۹).

ب- أورد الأزرقى بعض المواقيت، ووصف بعض حدود الحرم.

وقد أضاف المحقّق إلى هذا الفصل أيضاً إضافات، وأشار إلى سائر المواقيت الأخرى. (ص ۳۰۹- ۳۱۰).

ج- ذكر الأزرقى الكثير من السيول التى جرت فى مكّة. والمحقّق أضاف إلى ذلك السيول التى دوّنت فى التاريخ، ولم يُشر إليها الأزرقى. ويُحصى ما مجموعه ۸۵ سيلًا، آخرها الذى وقع عام ۱۳۵۰ للهجرة.

د- يشير الأزرقى إلى القناة التى اشترتها زبيدة وأوصلتها إلى مكّة:

ومحقّق الكتاب يشير إلى قناة أخرى أيضاً أوصلتها زبيدة إلى مكّة، وأغفلها الأزرقى.

ه- يؤرخ المحقق للتوسع الذى حصل فى المسجد الحرام فى الأعوام ۱۳۷۵- ۱۳۸۵ فى العهد السعودى. إن ملحقات المحقّق علمية ودقيقة ومكملة لفوائد كتاب الأزرقى.

۴- الفهارس:

الفهارس الفنيّة للكتاب متنوعة ووافية ومفيدة، وهى:

۱- فهرس الآيات؛ وغالباً ما يرافق هذه الآيات تفسيرها أو شأن نزولها، وهذا مما يستفيد منه المفسّرون والمحقّقون.

۲- فهرس الأحاديث، وكلها مسندة ولبعضها أهمية من حيث الوجهة التاريخية والاعتقادية.

۳- فهرس الأنبياء، ويتضمن الحديث عن إبراهيم، وآدم، وإسحق، وإسماعيل، وداود، وشيت، وصالح، وعيسى، ومحمّد، وموسى، ونوح، وهود، ويعقوب، ويوسف، ويونس عليهم السلام. وأكثر ما ورد عنهم فى هذا الكتاب لهصلة بالكعبة.

۴- سدانة الكعبة، ويتحدث فى هذا الفهرس عن الحجابة والسقاية والرفادة والإفاضة وغير ذلك. وكما

ص: ۲۶۱

ذكرنا سابقاً فإن هذه البحوث تحظى بأهمّية بالغة؛ لأنها تعكس طبيعة الأوضاع الاجتماعية والسياسية لتاريخ مكّة.

۵- الأيام التاريخية، وهى الأيام التى لها شأن فى تاريخ مكّة لسبب أو آخر؛ كيوم واقعة الفيل، ويوم بناء الكعبة، ويوم الهجرة، ويوم أحد، ويوم عكاظ، ويوم الأحزاب، وما إلى ذلك.

۶- أسواق العرب، ويأتى فى هذا الفهرس على ذكر الأسواق الأربعة المذكورة هى: الحباشة، وذو المجاز، وذو المجنة، وعكاظ.

۷- الأصنام، ومعرفتها مهمّة لكونها تعكس الاتجاهات والميول العقائدية الشائعة فى العصر الجاهلى.

وقد أشرت فيما مضى إلى أن الأخبار التى أوردها الأزرقى فى هذا الكتاب هى الوحيدة من نوعها أحيانا.

۸- فهرس الأعلام.

۹- فهرس الأقوام والقبائل ويضم أسماءً من أمثال الأزارقة، وآل جحش، والدوس، والأوس، والخزرج، وثقيف، وثمود، وكنانة، وقريش، وهاشم، وهذيل، وما إلى ذلك.

۱۰- فهرس الأماكن، ويشمل أسماء الأماكن والبقاع والآبار، وأبواب المسجدِ الحرام، والقرى، والشُعَب، والمحلّات، وغير ذلك.

۱۱- فهرس قوافى الأشعار.

۱۲- فهرس مصادر التحقيق والتصحيح وقد عرضها بدقّة متناهية.

۵- مقدّمة الكتاب:

أفرد محقّق الكتاب له مقدمةً مفيدةً تحدّث فيها عن بداية التدوين فى الإسلام، وقد قدم ما كتبه المحقّقون والمؤلفون بشأن مكّة، وعن المؤلف وعائلته. ثم بحث فى «أخبار مكّة» والجهود المبذولة فى تأليفه. وتناول من بعد ذاك المختصرات والتلخيصات وغيرهما من الأعمال التى جرت على الكتاب، وما تتصف به النسخة

ص: ۲۶۲

الأوربية من نواقص وأخطاء. وتحدّث في الختام عن أسلوبه في التحقيق، والنسخ التي عوّل عليها.

ترجمة الكتاب إلى اللغة الفارسية:

يعد السيد الدكتور محمود المهدوى الدامغاني من الأساتذة الأفاضل في الجامعة وأحد المترجمين الجادّين في ترجمة النصوص التاريخية، والقراء الكرام على معرفة تامّة بترجماته الكثيرة. وقد بادر هذا الأستاذ إلى ترجمة هذا الأثر النفيس وإخراجه على هيئة نثر يتّسم بالسلاسة والجودة، والدقّة. وبسبب ما يحظى به الكتاب من أهمّية فقد أورد ضمن الترجمة جميع الأسانيد المذكورة فيه.

وكما ذكرنا سابقاً فإن المحقّق الكريم قد دون في الهوامش اختلافَ النسخ، وأعطى معانى الكلمات العويصة أحياناً. والمترجم المحترم أيضاً قد تمعّن في ترجمته ولم يأتِ إلّابما هو ضرورى في فهم المتن. كما تُرجمت جميع الملحقات والتوضيحات التي أوردها المحقّق في نهاية الكتاب، وكذا الحال بالنسبة للهوامش أيضاً. وأضاف المترجم أيضاً الكثير من الايضاحات بشأن الأعلام الواردة أسماؤهم في المتن، وعن الأماكن والمواضيع الأخرى.

وأينما واجه أفكاراً تتنافى عقيدة التشيّع قدّم الإيضاح الدقيق لها وأشار إلى المصادر الأخرى.

*** لقد طال الحديث عن الأزرقي وكتابه الثمين؛ وكان هدفي مقارنة كتابه بكتاب الفاكهي وعرض أوجه التشابه الموجودة بينهما.

فهل أن الفاكهي قد أخذ عن الأزرقي، أم كلاهما قد استقيا من مصدر آخر ومن مواضيع أخرى؟

إلّا أنني أتجاوز هذا الموضوع بسبب ضيق المجال.

ص: ۲۶۳

الهوامش:

رسالة الاستاذ واعظ زاده الى الاستاذ بن باز

ص:۲۶۴

ص: ۲۶۵

رسالة الأستاذ واعظ زاده إلى الأستاذ بن باز

المفتى العام بالمملكة العربية السعودية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّهربّ العالمين. والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه ومَن اهتدى بهداه.

سماحة الأستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز، الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد المحترم.

السلام عليكم ورحمة اللَّه، وبعد:

لاحَظت تركيزكم على مسألة التوحيد فى عدد من أعداد مجلة البحوث الإسلامية، كما سمعتكم فى جلستين حينما وفقت لزيارتكم، وتؤكدون تأكيداً متواصلًا إرشاد الناس إلى التوحيد الخالص للَّهربّ العالمين، لا شك فى أنه الأساس القويم، والركن الركين لهذا الدين الحنيف، بل هو محور كلّ أحكامه وشرايعه، وهذه ميزة لمستُها فى سماحتكم.

ص: ۲۶۶

ومع احترامی وتقدیری لجهودکم فی هذا السبیل، خطر ببالی بعض الملاحظات، أحببت أن أبدیها لکم راجیاً أن یکون فیها خیر الإسلام والمسلمین، والاعتصام بحبل اللَّه المتین فی سبیل تقارب المسلمین، ووحدهٔصفوفهم فی مجال العقیدهٔ والشریعهٔ.

أولًا: لاحظت سماحتکم تعدّون دائماً بعضَ ما شاع بین المسلمین- من التبرک بآثار النبیصلی الله علیه و آله و سلم وبعض الأولیاء، کمسح الجدران والأبواب فی الحرم النبوی الشریف وغیره- شرکاً وعبادهٔ لغیر اللَّه، وکذلک طلب الحاجات منه ومنهم، ودعاءهم، وما إلی ذلک.

إنی أقول: هناک فرق بین ذلک، فطلب الحاجات من النبیّ ومن الأولیاء، باعتبارهم یقضون الحاجات من دون اللَّه أو مع اللَّه، فهذا شرک جلی لا شک فیه.

لکن الأعمال الشائعهٔ بین المسلمین، التی لا ینهاهم عنها العلماء فی شتی أنحاء العالم الإسلامی من غیر فرق بین مذهب وآخر، لیس هی فی جوهرها طلباً للحاجات من النبیّ والأولیاء، ولا اتخاذهم أرباباً من دون اللَّه، بل مردّ ذلک کلّه (لو استثنینا عمل بعض الجهال من العوام) إلی أحد أمرین:

التبرک والتوسل بالنبیّ وآثاره، أو بغیره من المقربین إلی اللَّه عزّ وجلّ.

أما التبرک بآثار النبیّ من غیر طلب الحاجهٔ منه ولا دعائه، فمنشؤه الحبّ والشوق الأکیدین رجاءَ أن یعطیهم اللَّه الخیر بتقربهم إلی نبیّه وإظهار المحبهٔ له، وکذلک بآثار غیره من المقرَّبین عند اللَّه.

وإنی لا أجد مسلماً یعتقد أن الباب والجدار یقضیان الحاجات، ولا أن النبیّ (أو الولی) یقضیها، بل لا یرجو بذلک إلّااللَّه إکراماً لنبیه أو لأولیائه أن یفیض اللَّه علیه من برکاته.

والتبرک بآثارالنبیّ کما تعلمون، ویعلمه کلّ مَن اطّلع علیسیرهٔ النبیّصلی الله علیه و آله و سلم،

ص: ۲۶۷

كان معمولًا به فى عهد النبىّ، فكانوا يتبركون بماء وضوئه وثوبه وطعامه وشرابه وشعره وكلّ شىء منه، ولم ينههم النبىُّ عنه. ولعلَّكم تقولون: أجل، كان هذا، وهو معمول به الآن بالنسبة إلى الأحياء من الأولياء والأتقياء (كما شاهدت أصحابكم يتبركون بطعامكم) لكنه خاص بالأحياء، دون الأموات، لعدم وجود دليل على جوازه إلّافى حال الحياة بالذات. فأقول: هناك بعض الآثار تدل على أن الصحابة قد تبركوا بآثار النبىّ بعد مماته، فعن عبد اللَّه بن عمر، أنه كان يمسح مِنبراً للنبى تبركاً به. وهناك شواهد، على أنهم كانوا يحتفظون بشَعر النبىّ، كما كان الخلفاء العباسيون، ومَن بعدهم العثمانيون، يحتفظون بثوب النبىّ تبركاً به، ولا سيما فى الحروب، ولم يمنعهم أحد من العلماء الكبار والفقهاء المعترف بفقههم ودينهم.

وهنا يعجبنى أن ألخّص لسماحتكم كلام الأستاذ الدكتور سعيد رمضان العالم السورى- حفظه اللَّه- فى هذا المجال نقلًا عن كتابه (فقه السنة) فإنه بعدما أشار إلى شطر مما يدل على جواز التوسل بالنبيصلى الله عليه و آله و سلم وبآثاره، قال: «وليس ثمة فرق بين أن يكون ذلك فى حياته أو بعد وفاته. فآثار النبى لا تتصف بالحياة مطلقاً»، سواء تعلق التبرك والتوسل بها فى حياته أو بعد وفاته، كما ثبت فيصحيح البخارى فى باب شيب رسول اللَّهصلى الله عليه و آله و سلم.

ومع ذلك، فقد ضلَّ أقوام لم تشعر أفئدتهم بمحبة رسول اللَّه، وراحوا يستنكرون التوسل بذاته بعد وفاته، بحجة أن تأثير النبىّ قد انقطع بوفاته، فالتوسل به إنما هو توسل بشىء لا تأثير له البتة.

وهذه حجة تدل- كما ترى- على جهل عجيب جداً ... فهل ثبت لرسول اللَّه تأثير ذاتى فى الأشياء حال حياته، حتى نبحث عن مصير هذا التأثير من بعد وفاته؟

إن أحداً من المسلمين لا يستطيع أن ينسب أىّ تأثير ذاتى فى الأشياء لغير

ص: ۲۶۸

الواحد الأحد- جلّ جلاله- ومَن اعتقد خلاف هذا يكفر بإجماع المسلمين كلّهم.

فمناط التبرک والتوسل به أو بآثاره ليس هو إسناد أى تأثير إليه- والعياذ باللَّه- وإنما المناط كونه أفضل الخلائق عند اللَّه على الإطلاق وكونه رحمة من اللَّه للعباد، فهو التوسل بقربه إلى ربّه وبرحمته الكبرى للخلق.

وبهذا المعنى كان الصحابة يتوسلون بآثاره و ... من دون أن يجدوا فيه أى إنكار. وقد مرّ فى هذا الكتاب (أى فقه السنة) بيان استحباب الاستشفاع بأهل الصلاح والتقوى وأهل بيت النبوة فى الاستسقاء وغيره، وإن ذلک مما أجمع عليه جمهور الأئمة والفقهاء بما فيهم الشوكانى وابن قدامة الحنبلى والصنعانى وغيرهم.

والفرق بعد هذا بين حياته وموته خلط عجيب وغريب فى البحث لا مسوِّغ له، انتهى موضع الحاجة (۱).

هذا كله بالنسبة إلى التبرک بآثار النبىّ حيّاً وميّتاً، وأما التوسل بذاته أو بأحد من أهل بيته فهو كذلک، كما رأينا فى مطاوى كلام الدكتور، وكان معمولًا به حتى بعد وفاته كما استسقى عمر بن الخطاب متوسلًا بعمّ النبى العباس من دون نكير من أحد من أصحابه، ومن دون أن يكون لحياة النبىّ وموته تأثير عنده فى جواز التوسل به.

ومردّ ذلک أنّ التبرک بآثار النبىّ والتوسل به وبآثاره وبذريته والأتقياء من أتباعه ليس معناه طلب الحاجة منه أو منها ولا منهم، ولا أن فى شىء منها- بما فى ذلک ذات النبىّ- تأثيراً فى رفع الحاجات ودفع الملمات أو أنه يضرّ وينفع، كما ورد فى مطاوى كلامكم فيصدد النهى عنه (أنه لا يضر ولا ينفع)، فهذا تحويل للمسألة عن جوهرها، بل كلّ ذلک يَعدّ إظهار الحبّ للنبىّ وغيره من المقرّبين استجلاباً لرحمة اللَّه- تبارک وتعالى- لما نعلم من منزلتهم عند اللَّه، استناداً إلى سيرته وسيرة المسلمين، فلا- يقاس هذا بعمل المشركين فى شأن آلهتهم، حيث

۱- ۱ فقه السنة ط ۱۰ص ۳۵۵.

ص: ۲۶۹

كانوا يعتقدون فيها التأثير فى دفع الملمات ورفع الحاجات، إما مباشرة أو بالاشتراك مع اللَّه.

كما لا ينبغى الاستشهاد على حرمة التبرّك والتوسّل (بالمعنى المذكور) وكونهما شركاً بما ورد من الآيات إدانة للمشركين، فإن ذلك ليس منه فى شيء، والفرق بينهما واضح جلىّ، فهذا مظهر من مظاهر الشرك، وذاك مظهر من مظاهر التوحيد وحبّ اللَّه وأوليائه.

بقى هنا أمران:

الأول أن يقول قائل: نحن نسلِّم بجواز التبرك والتوسل للعلماء الذين فهموا جوهر الدين، إلّاأن ذلك ممنوع على العوام لأنهم سوف يحولونهما إلى الشرك، حيث يعتقدون للنبىّ وآثاره وللأولياء تأثيراً ذاتياً فى رفع الحاجات أو دفع المضرّات، فيجب المنع عنهما سدّاً للذرائع.

وهذا ما سمعنا به من الأستاذ الدكتور محمد بن سعد سُوَيْعِر- حفظه اللَّه- يوم حضرنا عندكم وجلسنا على مائدتكم.

والإجابة على هذا الكلام سهل، فإنه إذا ثبت جواز عمل بل استحبابه بدليل قطعى فلا يجوز المنع عنه بقول مطلق، خوفاً من الجُهّال أن يُحلِّوه إلى ما فيه لون من الشرك، وإلّا كان ينبغى للرسولصلى الله عليه و آله و سلم نهى الناس عن التبرك بآثاره سدّاً للذريعة، كما كان ينبغى له أن يمنع الناس عن زيارة القبور حذراً من أن الجُهّال يتّخذونهاصنماً يعبد، أو يمنع من استلام الحجر للسبب نفسه، هذا ليس هو الطريق الوحيد والقول السديد لسدّ الذرائع، بل الطريق هو مراقبة العلماء الذين هم ورثة الأنبياء والذين هم أمناء اللَّه على حلاله وحرامه، فإنهم أمروا بحفظ الناس عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين- كما جاء فى الحديث (معالم الدينص ۳۳ ط ۱۴۱۳ ه. ق) من غير أن يحرِّموا حلالًا أو

ص: ۲۷۰

يحلِّلوا حراماً، أو يفرِّقوا فی حكم واحد بين العوام والخواص.

الثانی: أن من يجوّز التبرك والتوسل هم جمهور العلماء فی قبال جماعة أقل منهم بكثير لا يجوِّزونهما، ولا ريب أن المجوّزين اختاروا الجواز بعد الوقوف على الآراء، وبعد البحث والفحص عن الأدلّة، والاطلاع على ما أبداه الشيخان السلفيّان الشيخ ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهّاب وأتباعهما، فهؤلاء لم يقتنعوا طوال هذه القرون السبعة إلى يومنا هذا بحجج مخالفيهم، فهم مجتهدون، ولكل مجتهد مصيب أجران، وللمخطئ أجر واحد، كما هو ثابت عند الفقهاء، فالمسألة بعد أن عادت خلافية اجتهادية، فهل تسمحون فی مثل هذه المسألة، التی جُلُّ العلماء على جوازها وقليل منهم على حرمتها، بنسبة الكفر والشرك بل الفسق والضلال إلى هؤلاء الجمّ الغفير المعترف بفقههم وتقواهم؟ فما هو الفارق إذاً بين القطعيات والظنيات سواء فی حقل العقيدة أو فی حقل الشريعة؟ إنما الحكم بالكفر ثابت فيمن أنكر ضرورياً من ضروريات الدين ليس إلّا، دون مسألة خلافية هی معترك الآراء بين الفقهاء.

فأقلّ ما يقال فی مثل هذه المسألة الخلافيّة هو الاحتياط بالإمساك عن التقوُّل فيها، حتى ترجع المسألة قطعيّة، والاكتفاء ممن لا يُجوِّزه بالوعظ والإرشاد، إذا رآه شركاً أو بدعة وضلالًا، فهذا منتهى المطاف فی أداء الواجب من مثله. وقد مرّ بنا أن استهللنا كلامنا بالتقدير لجهودكم فی سبيل إرساء أمر التوحيد، وهذا بنفسه سعی مشكور أغتبطكم عليه، لولا أن ينضمَّ إليه إطلاق القول بالشرك أو الكفر فيمن جوَّز هذا العمل عن اجتهاد ونظر، من دون تقليد أعمى، ولا جهل بالكتاب والسنّة وبآراء الفقهاء الموافق منهم والمخالف، هذا أولًا.

وثانياً: أحببت الإشارة إلى مسألة أخرى لها أهميتها، وهی ما أفتيتم به

ص: ۲۷۱

حول مسألة فلسطين، حيث تقولون: «إنه يجب على المسلمين وعلى الدول الإسلاميّة والأغنياء والمسؤولين أن يبذلوا جهودهم ووسعهم في جهاد أعداء اللَّه اليهود، أو فيما تيسّر من الصلح إن لم يتيسَّر الجهاد،صُلحاً عادلًا يحصل به للفلسطينيين إقامة دولتهم على أرضهم، وسلامتهم من الأذى من أعداء اللَّه اليهود، مثلماصالح النبيّ أهل مكة، وأهل مكة في ذلك الوقت أكثر من اليهود الآن، وإن المشركين والوثنيين أكفر من أهل الكتاب، فقد أباح اللَّه طعام أهل الكتاب والمحصنات من نسائهم، ولم يبح طعام الكفار من المشركين، ولا نسائهم.

وصالحهم النبيّصلى الله عليه و آله و سلم على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكفّ بعضهم عن بعض، وكان في هذا الصلح خير عظيم للمسلمين، وإن كان فيه غضاضة عليهم بعض الشيء، لكن رضيه النبيّصلى الله عليه و آله و سلم للمصلحة العامة.

فإذا لم يتيسّر الاستيلاء على الكفرة، والقضاء عليهم، فالصلح جائز لمصلحة المسلمين، وأمنهم وإعطائهم بعض الحقوق ...» (۱).

وهذه الفتيا منكم إنماصدرت ولا شك فيها إخلاصاً للإسلام والمسلمين، وحرصاً على إرشاد الأُمّة إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم، إلّاأنّ فيها بعض الملاحظات، فهي تحتوي شطرين:

الشطر الأول، وجوب حرب اليهود أعداء اللَّه، وبذل الجهود في جهادهم.

وهذا ما يوافقكم عليه علماء الإسلام جميعاً شيعة وسنة، ولعلكم لمستم موقف الشيعة في مكّة المكرّمة عبر شعاراتهم، أو سمعتم به عن طريق المذياع أو قرأتم عنه في الجرائد، أنهم أشدّ الناس على الكفّار ولا سيما على اليهود. فهذا حقصريح، ورأيكم حجة على جميع المسلمين حكومات وشعوباً، جزاكم اللَّه عنهم خير الجزاء، وشكر مساعيكم، فقد أدّيتم واجبكم أمام اللَّه- تبارك وتعالى- وأمام المسلمين قاطبة. وأما الشطر الثاني وهو ما تيسّر من الصلح إن لم يتيسّر

۱- ۱ مجلة البحوث الإسلامية رقم ۳۵ص ۳۴.

ص: ۲۷۲

الجهادصلحاً عادلًا إلى آخر ما أبديتم من الرأى بإخلاص، فيجب الوقوف عنده طويلًا:

لا ريب أن المسألة لو كانت كما اقترحتم وكانت القيود والشروط محقّقة بالشكل الذى قيّدتم، فالحكم هو ماصرّحتم به، إلّاأنّ المسألة مع الأسف الشديد ليست بهذه السهولة، ومغزى كلامى أنّ البحث ليس فى الكبرى من الدليل، وإنما هو فى الصغرى، وتوضيحها كما يأتى:

أولًا: أنّ الجهاد مع اليهود ميسور وبابه مفتوح بمصراعيه أمام المسلمين، إلّا أنّ حكّام المسلمين لم يقفوا يوماً، ولا يريدون أن يقفوا أمام العدو بكلّ جهودهم وإمكانيّاتهم، فإنّ العرب طرحوا القضية منذ أربعين سنة ولحد الآن قضية عربية، وليست إسلاميّة، وهذه أول ضربة وجّهوها إلى القضية، حيث أبعدوا بهذا المشروع العنصرى معظم المسلمين عن ساحة المعركة، ولا أقل من أن ذلك أصبح عذراً لأولئك الحكّام الذين لا علاقة لهم بشؤون المسلمين، فكانوا يقولون كما سمعت مراراً من أعوان الشاه فى إيران: «هذه مشكلة العرب مع اليهود لا- شأن لنا فيها». فلم يكونوا يسمعونصرخات المسلمين والعلماء من أنّها إسلاميّة، بحجّة أن العرب يعدّونها مسألة عربية.

وأمثال هؤلاء الحكام من العرب وغيرهم لا- يزالون لا- يطيقون استماعصرخات هؤلاء الشباب والأطفال المحاربين بالحجارة داخل الأرض المحتلة وهتافاتهم: (اللَّه أكبر) (نحن مسلمون) ولا أن يروا فى التلفزةصَلاتهم حول المسجد الأقصى؛ لأن ذلك يمثِّل إسلاميةَ القضية فتأخذ العذر من أيديهم.

ثانياً: حتى العرب أنفسهم الذين احتكروا المسألة بحجّة أنها عربية، وأنها مسألتهم من دون سائر المسلمين لا يتّفقون على كلمة واحدة، ولم يجهّزوا إمكانياتهم أمام العدو، ولم يقفواصفّاً واحداً، فبدلًا من ذلك كلّه، افترقوا أحزاباً

ص: ۲۷۳

وشعوباً يهاجم بعضهم بعضاً، عسكرياً وإعلامياً، لا لشىء إلّاالمصالحهم ولمصالح العدو، فلم يجهّزوا أنفسهم للمعركة لا هم ولا سائر المسلمين ولم يمتثلوا أمر ربّهم:

«وأعدّوا لهم ما استطعتُم من قوّة ومن رِباطِ الخيل تُرهِبون به عدوّ اللّه وعدوَّكم» (۱)

عندهم البترول الذى هو شريان حياة الأعداء، فلم يستفيدوا من هذه القوة الهائلة التى هى أقوى بكثير من رباط الخيل ومن أىّ قوة تُوجد فى العالم.

كما أنّهم لم يهتمّوا بقول ربّهم: «يا أيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا اليهود والنصارى أولياء» (۲)

وما بمعناه فى الكتاب والسنة.

فمن الذى منهم لا يتَّخذ أعداء اللّه أولياء، ولا يميل إلى اليمين والشمال (وقد سقط بحمد اللّه) ولا يعتمد ولا يستنصر بالأعداء (سوى النزر اليسير) ولا يركع لصنم منهم ولا يسجد، وبعضهم لا يأكل ولا يشرب إلّاباذنه؟

ومن خفى عليه هذا فليس له الدخول فى المعارك السياسية وإظهار الرأى فيها.

والعجب كلَّ العجب‌صَمْتُ بعض العلماء عن هؤلاء الحُكّام الرُّكع السجود أمام الأصنام والطواغيت، ثم ينادى ويحكم بكفر وشرك أولئك المسلمين المساكين، الذين بذلوا كلّ ما عندهم، وتحمّلوا المشاقَّ، وجاءُوا من كلّ فجّ عميق، حتى نالوا بزيارةَ النبىّ، وقلوبهم ملئت بحبِّه، فقبّلوا الباب والشبّاك حبّاً له، ورجاء التقرّب إلى اللّه بحبّه، ويرون هذا منتهى أملهم من الحياة، فإذا بعالم أو مسؤول سكت عن ذلك الشرك الكبير وعن هؤلاء الأبالسة الكبار، يضربه بالسياط ويشتمه بقوله: (هذا شرك، هذا كفر) ولم يعتقد هذا القائل إلّاأنه كلّ واجبه، أَليس هذا إبعاداً للمسلمين المخلصين عن الدين، وعن ساحة القتال ضدّ اليهود وضدّ سائر أعداء الدين؟ فإنه إذا كان كافراً ومشركاً، فلماذا يُضحّى بنفسه

۱- ۱ الأنفال: ۶۰.

۲- ۲ المائدة: ۵۱.

ص: ۲۷۴

فى المعركة فى سبيل الإسلام؟

وأنا أقول بصراحة: لو أن العلماء ومن ورائهم (بل ومن فوقهم!) الحكّام لم يخطِئوا الطريق، واستقرُّوا على الصراط القويم، لأمكن لهم تجهيز ملايين من الشبّان المسلمين الغيارى على الإسلام الذائبين فى حبّ النبىّ محمدصلى الله عليه و آله و سلم، ليقفوا سداً منيعاً ضدّ اليهود ومطامعهم، ولو تحقّق هذا الحُلم يوماً ما لرأينا كلمة اللّه هى العليا، وأن اللّه يحقّق وعده: «إن تنصروا اللّه ينصركم ويثبّت أقدامكم» (۱).

ثالثاً: الاستشهاد للصلح مع اليهود بمثل ماصالح النبىُّ أهل مكة والمشركين عجيب وقياس مع الفارق، وفيه وجوه من الخلط والتمويه:

۱- إنّ النبيَّصالح أهل مكة من موقف القوّة دون الضعف كما قال تعالى:

«وهو الذى كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكّة من بعد أن أظفركم عليهم وكان اللّه بما تعملون بصيراً» (۲)

مع أنّ حكّام العرب حينما يريدون أن يساوموا على الصلح مع العدوّ، إنما هم فى منتهى الضعف (ولا سيما بعد حرب الخليج) سياسيّاً وعسكريّاً. والشيطان الأكبر الحامى لإسرائيل رَسَتْ أقدامه على أرضهم بكلّ ما له من العُدَّة والعَدَد، وله حقُّ الحياة والبقاء على جملة من الحُكّام، فهم عبيد فى قبضته، وليس لهم إلّاأن يركعوا ويسجدوا أمامه آناء الليل والنهار، وأنهم ليبذلون أموال المسلمين وشعوبهم المساكين إلى الكفار بالمجان، لا لشىء سوى للحفاظ على مناصبهم، فهم راكبون أعناق الشعوب، راكعون أمام الأعداء. «أسدٌ علىّ وفى الحروب نُعامة». وفى مثل هذه الحالة يريدون أن يجلسوا مع العدوّ حول طاولة المفاوضة للسلام العادل!

ومن الدليل على ضعف المشركين وقوّة المسلمين فى الحُديبية قول النبيّصلى الله عليه و آله و سلم لرسول المشركين عنده (بُديْل بن وَرقاء الخُزاعى): «إنّ قريشاً قد أنهكتهم الحرب، وأخذت بهم فإن شاءُوا مادَدتُهم مدَّة ويخلّوا بينى وبين الناس

۱- ۱ محمد: ۷.

۲- ۲ الفتح: ۲۴.

ص: ۲۷۵

... إلى أن قال: فإن هم أبوا فوالذى نفسى بيده لأُقاتلنَّهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى وليُنفذ اللَّه أمره».

ثم إن مبايعة المسلمين له على الحرب والتضحية بالنفس والمال كان استعداداً كاملًا للحرب.

ثم إن عروة بن مسعود رسول المشركين الآخر لديه حينما رجع إلى المشركين قال لهم: «فواللَّه ما تنخَّم رسول اللَّه نُخامةً إلّاوقعت فى كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجِلده، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادو يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون النظر إليه تعظيماً له، إلى أن قال: أى قوم، لقد وَفدتُ على الملوك ووَفَدتُ على قيصر وكسرى والنّجاشى، واللَّه ما رأيتُ ملكاً «يُعظِّمه أصحابه ما يُعظِّم أصحاب محمدٍ محمداً! وأنه قد عرض عليكم خِطّة رشد فاقبلوها ...» رواه البخارى ومسلم بتفاوت.

۲- إنّ اليهود ليسوا وحدهم الذين يحاربون شعب فلسطين، بل وقف إلى جنبهم الطواغيت الدولية، الذين غرسوا هذه الشجرة الخبيثة فى أرض الإسلام، وهم الذين يحاربون الإسلام والمسلمين من أول يوم، فكيف نغفل عنهم ونعدُّ الحرب حرباً بين اليهود والعرب أو المسلمين، فندخل فى الصلح معهم؛ لأنهم أقل من المشركين؟

وهؤلاء الطواغيت، ولا حتى اليهود الذين استولوا على أرض فلسطين ليسوا بأهل كتاب، وإنما هم ملاحدة، دينهم الدولار، وأمنيتهم الاستيلاء على ثروات الأرض، فإنّ اليهود فى فلسطين معظمهمصهاينة ليسوا بأهل كتاب ولا أهل دين، بل هم حزب سياسى عنصرى.

على أن اليهود فى العالم يعدّون بعشرات الملايين، وكلّهم مع يهود فلسطين، وبيدهم ثروات هائلة، وفى قبضتهم السُّوق العالمى والمصانع والسُّفن والأسلحة،

ص: ۲۷۶

ووسائل الإعلام العالمی، فکیف یجوز أن یقال: إنّ الیهود الیوم أقل من أهل مکهٔ فی ذلک الیوم؟

فیجب علینا إذاً أن نضع هذه الأشیاء فی المیزان ثُمّ نحکم بالصلح، وبدونها لن یتحقّقصلح عادل.

۳- إنّ الصلح کان مع أهل مکّهٔ بأمر من اللَّه من دون مشورهٔ المؤمنین، بل کان أکثرهم قاوموا النبیَّصلی الله علیه و آله و سلم أمام عقد الصلح وعند بعض بنوده، حتی أنزل اللَّه سورهٔ الفتح وکشف النقاب عن وجه الصلح، وعدَّه فتحاً مبیناً، ومع ذلک لم یعترف کثیر منهم فیصمیم قلوبهم، وباقتناع نفسی منهم، بأنه کان خیراً، حتی رأوا النتیجهٔ ماثلهٔ أمامهم بعد مدَّهٔ.

۴- کانت هناک حِکم وأسباب جاءت فی سورهٔ الفتح تصریحاً أو إیماءً، کالحفاظ علی المؤمنین والمؤمنات القاطنین بمکّهٔ یومئذٍ، الذین لم یعرف أشخاصهم، وکالحصول علی الأرضیهٔ المناسبهٔ لاختلاط المسلمین بالمشرکین، وتبیین الإسلام لهم وتحویل قلوبهمصوب المسلمین، وغیر ذلک ممّاصرّحتم به فی مقالکم، ویعلم بالتدبر فی سورهٔ الفتح، وفی الحوادث التی حدثت عقیب الصلح، ولا یوجد شیء من هذه الحِکم والأسباب فی الصلح مع الیهود الآن، بل الأمر بالعکس کما سنوضِّح.

۵- الیهود بما أعدُّوا واستعدّوا للمعرکهٔ الصارمهٔ، کانوا معتمدین علی تلک القوی العالمیّهٔ الشیطانیهٔ، وهم قادرون بما عندهم علی أن یقضوا علی الشعب الفلسطینی، وعلی مَن جاورهم من الشعوب، ولا سیما القاطنین فی أرض الجزیرهٔ العربیهٔ التی للیهود فیها مطامع تاریخیهٔ: کأراضی بنی النضیر وبنی قریظهٔ وأراضی خیبر وغیرها، فی طرفهٔ عین، ولعلّهم یفعلونها یوماً من الأیام (لا قدّر اللَّه هذا الیوم) فهم حینما یفاوضون العرب من أجل السلام، لم یقصدوا السلام، ولم

ص: ۲۷۷

یکن خوفاً من العرب، إنما یریدون أن یسیطروا علی أراضیهم وثرواتهم برفق وبرضاً منهم أو من حکّامهم؛ لیتدخلوا فی شؤونهم ثقافیاً واقتصادیاً وسیاسیاً، ولیکونوا أحراراً فیما یعملون فی تلک البقاع، ویتَّخذوا من تلک الشعوب أداهٔ لبسط سلطانهم علیهم وعلی العالم الإسلامی کلّه، ویتعاملوا معهم معاملهٔ السیّد مع عبیده، والملک مع رعیته طوال الدهر. وبالتالی یکون الصلح المنشود هو الطریق الوحید للوصول إلی مطامعهم، حتی إنهم یُمهّلون أمر الصلح عمداً، ویسوِّفونه قصداً، لإرضاء النفوس شیئاً فشیئاً، حتی یقتنعوا بأنه لا طریق للاخلاص سوی الصلح والسلام.

مع أن مثل هذا الصلح هو الرصاصهٔ الأخیرهٔ لسقوط هذهِ الشعوب، ثم لسقوط العالم الإسلامی والمسلمین فی أیدی الیهود. فأین الصلح العادل؟ لیس هذا سوی الاستسلام المطلق دون السلام العادل.

ثمّ إنّ الیهود، متی التزموا بعهودهم طوال دهرهم خاصهٔ فی فلسطین لکی نثق بهم؟ وأخیراً لو فرضنا حصول کلّ هذه الشروط والقیود، فإنّ الحُکّام لانثق بهم، وسوف یتَّخذون من هذه الفتیا ذریعهًٔ لإلباس الأمر علی الشعوب، وسیفاوضون العدوَّ فیصالحهم أکثر منصالح الشعوب، وسیکون هذا الحکم من سماحتکم مبدأ شرعیَّهٔ الیهود، وشرعیَّهٔ عمل الحکّام الذین أجروا عقد الصلح ومفاوضهٔ السلام معهم.

فإیّاکم أن تجعلوا رقبتکم قنطرهًٔ لهؤلاء، والصواب هو الاکتفاء منکم بالشطر الأوّل من الفتیا، والانصراف عن الشطر الثانی فوراً، والمرجوُّ منکم أخذ هذه السطور بعین الاعتبار، ثمّ الإجابهٔ علیها، فإنّی ما أردتُ إلّاالإصلاح ما استطعتُ، واللَّه من وراء القصد، والسلام علیکم ورحمهٔ اللَّه.

ص: ۲۷۸

الهوامش:

ص: ۲۷۹

معجم ما كتب فى الحجّ والزيارة والمعالم المشرّفة فى الحجاز (۲)

عبد الجبار الرفاعى

تعريف بمصادر دراسة الحج ومكة المكرّمة، والمدينة المنوّرة، والمعالم المشرّفة فى الحجاز، وما يرتبط بذلك. يشتمل على ما كُتِبَ من مؤلفات، ورسائل جامعية، وبحوث، ومقالات، باللغتين العربية والفارسية.

إشارات:

۱- بلغ عدد العناوين ما يقارب (۲۰۰۰) عنوان.

۲- شملت التغطية الزمانية ما كُتِب منذ بداية التدوين عند المسلمين الى اليوم.

۳- ينشر هذا العمل خلال حلقات فى مجلة «ميقات الحج» بناءً على طلب رئيس تحرير المجلة. وبعد الفراغ من نشره هنا ستقوم معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلاميّة فى الحجّ، التابعة لممثليّة الولىّ الفقيه لشؤون الحجّ والزيارة

ص: ۲۸۰

بنشره مستقلًا إن شاء اللَّه تعالى.

۴- لا تمثل هـذه القائمة اسـتقراءً تاماً لجميع ما كُتِب فی هذه الموضوعات، لذا يرجو المؤلف من السادة الكُتّاب إعلامه بأعمالهم التی لم تُرصد فی القائمة علی عنوان المجلة، كيما يجری استدراكها حيثما ينشر هذا العمل فی كتاب.

۵- اعتمدت المداخل علی عناوين الكتب والبحوث والمقالات.

۶- رُتبت المداخل تبعاً للترتيب الهجائی التام، واعتبار الوحدة فی الترتيب هی الكلمة، أی علی أساس كلمة كلمة، ثمّ حرف حرف.

المختصرات:

ت: تاريخ الوفاة

ج: الجزء

ح: الحلقة

خ: نسخة مخطوطة

د. ت: بدون تاريخ

د. م: بدون‌ذكرمكان النشر فی المطبوع

د. ن: بدون ذكر الناشر

س: السنة

سم: سنتيمتر

ش: السنة الهجرية الشمسية

ص: الصفحة

ط: الطبعة

ظ: انظر

ع: العدد

ق ۷ ه: القرن السابع الهجری

م: السنة الميلادية

مج: مجلد

مط: المطبعة

ه: السنة الهجرية القمرية

*** ۲۱۰- تاريخ آطام المدينة المنوّرة

عبيد مدنی (ت ۱۳۹۶ ه)

ظ:

موسوعة الأدباء والكتّاب السعوديين ۳/ ۱۷۱.

۲۱۱- تاريخ أغوات الحرم وتراجمهم

أحمد إبراهيم

خ: المحمودية فی المدينة المنوّرة برقم ۳۱۲۷، ۱۴۰ ورقة.

٢١٢- تاريخ بناء البيت الحرام

عبد اللّٰه سمك

المجاهد (القاهرة) س: ع ١٢٨ (۶/ ١٩٩١)ص ۴٨- ۴٩.

ص: ۲۸۱

۲۱۳- تاريخ التعليم فى مكة المكرّمة

عبد الرحمنصالح عبد اللَّه

جدة: دار الشروق، ۱۴۰۳ ه، ۲۹۰ص، ۲۴ سم.

۲۱۴- تاريخ الجزيرة العربية فى عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب

حسين خلف خزعل

بيروت: دار ومكتبة الهلال ومطابع دار الكتب، ۴۵۴ص، ۲۴ سم.

۲۱۵- تاريخ جستنية

(دونّ فيه حوادث تاريخ مكة وامرائها)

عبد الرحمن بن محمد سعيد (المعروف بجستنية)

[ت نحو ۱۲۱۵ ه/ ۱۸۰۰ م]

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ۴۷۵۴ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹)ص ۲۰۳.

۲۱۶- تاريخ الحجّ من وادى نهر السند

(پاكستان)

عفاف السلجوقى

جدّة: جامعة الملك عبد العزيز، ۱۴۰۳ ه، ۵۰ص.

۲۱۷- تاريخ الحجاز

حافظ وهبة (ت ۱۳۸۷ ه)

مطبوع فى ۴۳۴ص.

۲۱۸- تاريخ الحجاز فى القرنين الأول والثانى للهجرة؛ دور الحجاز فى الحياة السياسية بزعامة قريش حتى عصر المهدى العباسى (۱- ۱۷۰ ه)

أحمد إبراهيم الشريف

القاهرة: جامعة عين شمس: كلية الآداب، ۱۹۶۸ م، ۴۴۳ص (اطروحة دكتوراه).

۲۱۹- تاريخ حرم أئمه بقيع

(بالفارسية)

محمدصادق نجمى

ميقات حج س ۲: ع ۴ (تابستان ۱۳۷۲ ش)ص ۱۷۵- ۱۹۲، س ۲: ع ۵ (پائيز ۱۳۷۲ ش)ص ۵۹- ۷۰، س ۲: ع ۶ (زمستان ۱۳۷۲ ش)ص ۱۱۱- ۱۲۹، س ۲: ع ۷ (بهار ۱۳۷۳ ش)ص ۹۲- ۱۱۳.

۲۲۰- تاريخ الحرم المدنى

درويش أحمد شكارى زاده

خ: المكتبة المحمودية فى المدينة المنورة برقم ۳۱۲۵، ۱۴۰ ورقة

۲۲۱- تاريخ الحرمين الشريفين

عباس كرّاره

مكة المكرمة: مكتبة الوصى، ط ۱، ۱۳۹۰ ه.

۲۲۲- تاريخ الحياة العلمية فى المدينة المنورة خلال القرن الثانى الهجرى

ص: ۲۸۲

سعد موسى حمد الموسى

جامعة امّ القرى، كلية الشريعة، ۱۴۰۹ ه.

۲۲۳- التاريخ السياسى لمكة قبل الإسلام

محمود زايد

العربى ع ۴۲ (۱۹۶۲ م)ص ۲۰- ۲۵.

۲۲۴- التاريخ الشامل للمدينة المنوّرة

عبد الباسط بدر

طبع فى ۱۴۱۴ ه، ۳ مج.

۲۲۵- تاريخ العرب قبل الإسلام وعصر الجاهلية

نشأة جغتاى.

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ع ۴۷،ص ۴۴۶- ۴۴۹ (عزة حسن).

۲۲۶- تاريخ عمارة الحرم المكى الشريف

فوزية حسين مطر

جدة: تهامة، ۱۴۰۱ ه/ ۱۹۸۱ م، ۱۹۶ص (رسائل جامعية: ۶).

۲۲۷- تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك

حسين عبد اللّه باسلامة

جدة: الكتاب العربى السعودى، ط ۳، ۱۴۰۰ ه- ۱۹۸۰ م، ۳۲۰ص، ۲۱ سم.

۲۲۸- تاريخ عمارة المسجد الحرام

محمد بن عبد اللّه الأزرقى (مطبوع)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

۲۲۹- تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسى الثانى حتى العصر العثمانى

[تتمّة للكتاب الأوّل تاريخ عمارة الحرم ...]

فوزية حسين إبراهيم مطر

جامعة امّ القرى، كلية الشريعة، ۱۴۰۶ ه، ۵۴۷ص (رسالة دكتوراه).

ظ:

موسوعة الادباء والكتاب السعوديين ۲۰۹.

۲۳۰- تاريخ فى أشراف وأمراء مكة المعظمة

مجهول المؤلف

خ:

الحرم المكى/ ۲

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

۲۳۱- تاريخ قربانى وحقيقت وأهميّت آن

(بالفارسية)

ص: ۲۸۳

محمد شفيع

ترجمة: محمد أمين حسن بر

سراوان (ايران): حوزة علميه اشاعة التوحيد، (د. ت)، ۴۷ص.

۲۳۲- تاريخ قريش: دراسة فى تاريخ أصغر قبيلة عربية جعلها الإسلام أعظم قبيلة فى تاريخ البشر

حسين مؤنس

جدة: الدار السعودية للنشر ط ۱، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸ م، ۹۱۱ص، ۲۵ سم.

۲۳۳- التاريخ القويم لمكّة وبيت اللَّه الكريم

محمد طاهر الكردى المكى

مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ط ۱، ۱۳۸۵ ه، ۴ ج.

۲۳۴- تاريخ كسوة الكعبة المشرفة منذ العهد القديم الى العهد الحديث

مجدى السيد البحراوى

المجاهد (القاهرة) س ۹: ع ۹۲ (۸/ ۱۹۸۸ م)ص ۴۰- ۴۲.

۲۳۵- تأريخ الكعبة

على حسين الخربوطلى

بيروت: دار الجيل، ۱۳۹۶ ه، ۱۹۲ص، ۲۴ سم.

بيروت: دار الجيل، ط ۳، ۱۴۱۱ ه، ۱۹۲ص، ۲۴ سم.

۲۳۶- تاريخ الكعبة المعظمة: عمارتها وكسوتها وسدانتها

حسين بن عبد اللَّه باسلامة (ت ۱۳۵۹ ه)

جدة: تُهامة، ط ۲، ۱۴۰۱ ه/ ۱۹۸۱ م، ۴۱۰ص، (الكتاب السعودى ۴۷).

ظ:

موسوعة الأدباء والكتّاب السعوديين ۶۴.

۲۳۷- تاريخ كعبه ومسجد الحرام

(بالفارسية)

محمد معصوم بن محمدصالح دماوندى

اعداد: رسول جعفريان

ميراث اسلامى ايران (قم) ع ۱ (۱۳۷۳ ش)ص ۲۲۵- ۲۴۹.

ميقات حج س ۴: ع ۱۲ (۱۳۷۴ ش)ص ۱۱۱- ۱۳۴.

۲۳۸- تاريخ المدينة

جعفر هاشم المدنى (۱۳۴۲ ه)

ظ:

العرب س ۳۱ ج ۱، ۲ (۷- ۸/ ۱۴۱۶ ه/ ۱۲/ ۹۵- ۱/ ۱۹۹۶ م)ص ۷۱.

۲۳۹- تاريخ المدينة

(مستخلص من كتاب السمهودى)

المستشرق الألمانى فستنفلد

غوتنغن: ۱۸۶ م، ۱۶۲ص.

ظ:

ص: ۲۸۴

موسوعة المستشرقين ۲۷۹.

۲۴۰- تاريخ المدينة

محمد بن عبد الرحمن بنصالح (ت ۸۵۶ ه)

ظ:

العرب س ۳۱: ج ۱، ۲ (۷- ۸/ ۱۴۱۶ ه/ ۱۲/ ۹۵- ۱/ ۱۹۹۶ م)ص ۷۱.

۲۴۱- تاريخ المدينة

يحيى بن الحسن الحسينى المدنى (ت ۲۷۷ ه)

ظ:

معجم ما ألّف عن رسول اللَّه (ص) ۹۴،

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ۱/ ۳۳۹.

۲۴۲- تاريخ المدينة قديماً وحديثاً

أحمد بن ياسين بن أحمد الخيارى (۱۳۸۰ ه)

باعتناء: عبيد اللَّه محمد أمين كردى

المدينة المنورة: نادى المدينة الأدبى، ۱۴۱۰ ه.

۲۴۳- تاريخ المدينة لمؤلّفه عمر بن شبة النميرى

مارتن هايندز

فى:

الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: ۵/ ۱۳۹۷ ه/ ۴/ ۱۹۷۷ م).

۲۴۴- تاريخ المدينة المنوّرة

عبيد مدنى (ت ۱۳۹۶ ه)

فى خمسة مجلّدات.

ظ:

موسوعة الادباء والكتاب السعوديين ۱۷۰.

۲۴۵- تاريخ المدينة المنوّرة

قطب الدين الحنفى من علماء القرن الثامن

خ: مصورة على ميكروفلم فى معهد إحياء المخطوطات العربية برقم ۹۶۵ تاريخ.

۲۴۶- تاريخ المدينة المنوّرة

مصطفى عمر زكى عشقى

(۱۱۹۴- ۱۲۷۶ ه)

ظ:

العرب. س ۳۱: ج ۱، ۲ (۷- ۸/ ۱۴۱۶ ه/ ۱۲/ ۹۵- ۱/ ۱۹۹۶ م)ص ۷۲.

۲۴۷- تاريخ المدينة المنوّرة فى الشعر العربى قديماً وحديثاً

أحمد یاسین الخیاری (ت ۱۳۸۰ ه)

طبع فی عام ۱۴۱۴ ه

۲۴۸- تاریخ المدینتین

محمد عبد الرحمن المصری السخاوی (۸۳۱- ۹۰۲ ه)

ظ: المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

ص: ۲۸۵

۲۴۹- تاريخ مساجد المدينة المنورة

عبيد مدنى (ت ۱۳۹۶ ه)

ظ: موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ۱۷۱.

۲۵۰- تاريخ المستبصر فيصفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز

ابن المجاور الشيبانى الدمشقى

مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ع ۳۲:ص ۳۸۳- ۳۸۵ (جعفر الحسنى).

۲۵۱- تاريخ المسجد النبوى

عبيد مدنى (ت ۱۳۹۶ ه)

ظ:

موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ۱۷۰.

۲۵۲- تاريخ معالم المدينة المنوّرة

أحمد ياسين الخيارى (ت ۱۳۸۰ ه)

المدينة: النادى الأدبى بالمدينة، ط ۲، ۱۴۱۰ ه.

۲۵۳- التاريخ المفصل للكعبة المشرفة قبل الإسلام

عبد القدوس الأنصارى (ت ۱۴۰۳ ه)

مكة المكرمة: نادى مكة الثقافى، ط ۱، ۱۴۰۳ ه، ۱۰۹ص، ۲۱ سم.

۲۵۴- تاريخ مكة

ابن فهد المكى (۸۵۰- ۹۲۱ ه)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

۲۵۵- تاريخ مكة

أحمد السباعى (ت ۱۴۰۴ ه)

مكة المكرمة: مطابع قريش، ط ۲، ۱۳۸۰ ه، ۳۱۲ص.

مكة المكرمة: نادى مكة الثقافى، ط ۴، ۱۳۹۹ ه، ۲ ج، ۷۰۴ص (باشراف:

عاتق بن غيث البلادى).

مكة المكرمة: دار مكة، ط ۶، ۱۴۰۴ ه.

المجلة العربية س ۵: ع ۶ (۹/ ۱۹۸۱ م)ص ۱۵۷ عبد اللّه الشبتى.

مجلة الفكر العربى ع ۳۰ (كانون الاول ۱۹۸۲ م)ص ۱۹۴- ۱۹۸.

۲۵۶- تاريخ مكة

عثمان بن ساج (ت ۱۸۰ ه)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

۲۵۷- تاريخ مكة

محمد بن على الشيبى

(۷۷۹- ۸۳۸ ه)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

۲۵۸- تاريخ مكة

(بالفارسية)

محمد هادى الأمينى

ص: ۲۸۶

ترجمة: محسن الآخوندی

طهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامی، ۱۳۷۲ ش، ۴۲۰ص، ۲۴ سم.

۲۵۹- تاریخ مکة المشرّفة والمسجد الحرام والمدینة المشرفة والقبر الشریف

ابن ضیاء المکی

(۷۸۹- ۸۵۴ ه)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

۲۶۰- تاریخ مکة المکرمة

عبد الغنی حمادة

حلب: ۱۹۶۴ م.

۲۶۱- تاریخ مکة المکرمة والمسجد الحرام والمدینة والقبر الشریف

محمد بن أحمد بن الضیاء الصاغانی أبو البقاء

خ: مصورة، مرکز البحث العلمی وإحیاء التراث الإسلامی فی جامعة امّ القری، برقم ۱۷ تاریخ.

۲۶۲- تاریخ مکة وتراجم شرفاء مکة

عبد اللَّه بن محمد (ق ۱۳ ه)

خ: طوپ قیوسرای، برقم ۵۱۱ ۳۰۱، ۶۰۸۷ m ورقة، تاریخها ۱۲۶۹ ه.

۲۶۳- تاریخ مکة والمدینة والطائف

حسن بن علی المکی العجیمی الحنفی (ق ۱۳ ه)

خ: جامعة الملک سعود، برقم ۴۳ تاریخ، ۱۲۶۷ ه.

۲۶۴- تاریخ مکة والمدینة والقدس

شهاب الدین أحمد القلیوبی

خ: مصورة میکرو فلمیة، معهد احیاء المخطوطات العربیة بالقاهرة برقم ۱۱۱ تاریخ.

۲۶۵- تاریخ مکة والمسجد الحرام المعروف بتحفة الکرام

محمد مهدی بن مرتضی بن محمد بن عبد الکریم الحسنی الحسینی الطباطبائی المعروف ب بحر العلوم ت ۱۲۱۲ ه.

خ:

مکتبة الشیخ علی کاشف الغطاء فی النجف الأشرف بخط المؤلف.

مکتبة الشیخ هادی الشیخ عباس، الفیضیة بقم، برقم ۹۷۳.

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۳.

فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مدرسه فیضیه قم، ۴۱.

ص: ٢٨٧

٢٦٦- تاريخ الملوك .. دولة مكة الشرفاء

تقى الدين الفاسى

(المؤرخ المكى المغربى).

ظ:

المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣- ٤/ ١٤١٠ ه/ ١٠- ١١/ ١٩٨٩ م)ص ٢٠٣.

٢٦٧- تاريخ المملكة العربية السعودية

سيد محمد إبراهيم

الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠٦ ه، ٣٢٠ص، ٢٤ سم.

٢٦٨- تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها

صلاح الدين المختار

بيروت: دار مكتبة الحياة، ٢ ج: ٤٠٠+ ٥٤٤ص، ٢٤ سم.

٢٦٩- تاريخ وآثار اسلامى مكه مكرمه ومدينه منوره (بالفارسية)

أصغر قائدان

طهران: نشر مشعر، ط ١، ١٣٧٢ ش، ٣٧٧ص.

٢٧٠- تاريخچه پوشش كعبه

(بالفارسية)

يعقوب جعفرى

ميقات حج. س ٤: ع ١٢ (تابستان ١٣٧٤ ش)ص ٨٤- ١٠٣.

٢٧١- تبرك الصحابة بآثار رسول اللّهصلى الله عليه و آله وبيان فضله

محمد طاهر عبد القادر الكردى (ت ١٣٦٥ ه)

القاهرة: ١٣٨٥ ه، ٦٠ص.

القاهرة: ط ٢، ١٣٩٤ ه، ١٠٣ص.

طهران: ١٩٧٧ م، ٢١٧ص، (ترجمهٔ الى الفارسية: حيدر انصارى نجف آبادى)

٢٧٢- تبرك الصحابة والتابعين بآثار النبى والصالحين، هل هو شرك فى الدين أو دليل إيمان ويقين؟

على الأحمدى الميانجى

بيروت: الدار الاسلامية، ط ١، ١٤٠٣ ه/ ١٩٨٣ م، ٤٣٨ص.

طهران: مؤسسة البعثة، ط ٢، ١٩٨٥ م، ٤٦٠ص، ٢٤ سم.

٢٧٣- تبصرة الزائر فى الزيارات

محمد عباس بن على اكبر الشوشترى (ت ١٣٠٦ ه)

ظ:

كشف الحجب والأستار ٩٥، مرآة الكتب ٢/ ١١٧، الذريعة ٣/ ٣١٧، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٩/ ٣٩٠.

٢٧٤- تبصرة الزائر وكشف السرائر

(وهو ترجمة جملة من الأدعية والزيارات التى أوردها العلّامة المجلسى

ص: ۲۸۸

فی «زاد المعاد» و «تحفهٔ الزائر»)

ظ:

الذریعهٔ ۳/ ۳۱۷، معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت ۹/ ۳۹۰.

۲۷۵- تبصرهٔ الناسکین بسنن الحجاج والمعتمرین

حسین آل عصفور

اعداد: محسن آل عصفور

قم: دار الاعتصام، ۱۴۱۵ ه، ۸۲۷ص.

۲۷۶- تبیان الزیارهٔ (فی شرح إحدی الزیارات الجامعهٔ، بالفارسیهٔ)

المولی باقر

ظ: الذریعهٔ ۲۶/ ۱۵۰، معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت ۹/ ۳۹۱.

۲۷۷- التبیین فی أنساب القرشیین

موفق الدین عبد اللَّه بن أحمد بن قدامهٔ (ت ۶۲۱ ه)

اعداد: حمد الجاسر

العرب س ۱۸: ج ۵، ۶ (۹- ۱۰/ ۱۹۸۳ م)ص ۴۳۱- ۴۳۲، ج ۱۱، ۱۲ (۲- ۳/ ۱۹۸۴ م)ص ۱۱۰۴- ۱۱۱۳، س ۱۹ ج ۱، ۲ (۳- ۴/ ۱۹۸۴ م)ص ۱۰۷- ۱۱۰، ج ۴ (۶- ۷/ ۱۹۸۴ م)ص ۱۸۸- ۲۴۳، ج ۵، ۶ (۸- ۹/ ۱۹۸۴ م)ص ۳۸۸- ۴۰۶، ج ۷، ۸ (۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۴ م)ص ۵۲۱- ۵۶۰، ج ۹، ۱۰ (۱۲/ ۱۹۸۴ م- ۱/ ۱۹۸۵ م)ص ۶۹۱- ۶۹۷.

کما طبع فی:

بغداد: المجمع العلمی العراقی، ط ۱، ۱۹۸۲ م، ۵۹۲ص (تحقیق: محمد نایف الدلیمی).

بیروت: عالم الکتب، ط ۲، ۱۹۸۸ م، ۶۷۱ص (تحقیق: محمد نایف الدلیمی).

۲۷۸- التبیین فی تراجم الطبریین

ابن فهد القرشی،صاحب اتحاف الوری

ظ:

المنهل (جدهٔ) مج ۵۱: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه)ص ۱۹۹.

۲۷۹- تجارهٔ المسلمین فی المدینهٔ

إبراهیم بیضون

المنطلق: ع ۳۳ (۱۱/ ۱۴۰۷ ه/ ۶/ ۱۹۸۷ م)،ص ۳۴- ۴۹،

ع ۳۴ (۱۲/ ۱۴۰۷ ه/ ۷/ ۱۹۸۷ م)،ص ۶۶- ۷۵.

۲۸۰- تجاوز آل سعود به حرم امن الهی

(بالفارسیهٔ)

یوسف حکمت کامران

طهران: سازمان تبلیغات اسلامی، ط ۱، ۱۳۶۷ ش، ۷۶ص.

۲۸۱- تحدید موقع یلملم المیقات المکانی للحجاج القادمین من جنوب مکهٔ

ص: ۲۸۹

العرب (الرياض) س ۱۸: ج ۱- ۲ (۴- ۵/ ۱۹۸۳ م)ص ۵۷- ۶۱.

۲۸۲- تحذير أئمة الإسلام عن تغيير بناء البيت الحرام

ابن زياد عبد الرحمن اليمنى

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۲۸۳- تحذير الناسک من بدع المناسک

محمد فريد

الهدى النبوى (القاهرة) س ۵۴: ع ۱۲ (۶/ ۱۹۸۹)ص ۳۷- ۴۰.

۲۸۴- تحريض الأغبياء على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء

عبد اللَّه بن ابراهيم مير غنى

ظ:

التوسل بالنبى لابن مرزوق ۲۵۰، تراثنا: ع ۱۷ (۹- ۱۲/ ۱۴۰۹ ه)ص ۱۵۶.

۲۸۵- تحصيل المرام فى أخبار البلد الحرام

أو

(تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام)

محمد بن أحمد الصباغ المكى

(۱۲۴۳- ۱۳۲۱ ه)

خ:

الدهلوى بخزانة الحرم المكى/ ۱۱.

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۲۸۶- تحصيل المرام فى تاريخ البلد الحرام

[وهو مختصر كتابه العقد الثمين]

محمد بن أحمد تقى الدين الفاسى المغربى الأصل (۷۷۵- ۸۳۲ ه)

خ:

الدهلوى بالحرم المكى/ ۱۰.

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۲۸۷- تحفة الأكياس فى تفسير قوله تعالى: (انّ أوّل بيت وضع للناس)

شهاب الدين أحمد بن سيد شمس الدين محمد الحسنى الحموى

خ: الظاهرية، برقم ۵۷۱۳

۲۸۸- التحفة الايقاضية فى الرحلة الحجازية

سليمان فيضى

البصرة: ۱۳۳۱ ه/ ۱۹۱۲ م.

۲۸۹- تحفة الحرمين

(مثنوى بالفارسية)

ص: ۲۹۰

خ: مسجد اعظم بقم، برقم ۲۲۷۷، ۲۵۵ ورقة، تاريخها ۱۲۸۵– ۱۲۸۷ ه.

ظ:

فهرست نسخه‌های خطی کتابخانه مسجد اعظم قم، ۶۵.

۲۹۰– تحفة الحرمين: سفرنامه نايب الصدر شيرازی در زيارت مکّه وسياحت ايران وهند

(بالفارسية)

زين العابدين محمد معصوم بن عليشاه نايب الصدر

طهران: انتشارات بابک، ط ۱، ۱۳۶۲ ش، ۳۱۲ص، ۲۴ سم.

۲۹۱– تحفة الحرمين وسعادة الدارين

(بالفارسية)

ميرزا آقا بن زين العابدين بن نائب الصدر بن محمد حسن بن معصوم القزوينی الشيرازی (۱۲۷۰– ۱۳۴۴ ه)

۲۹۲– تحفة الخيرة فی أحكام الحجّ والعمرة

عبد اللَّه بن محمد حسن المامقانی النجفی

(۱۲۸۷– ۱۳۵۱ ه)

۲۹۳– تحفة الدهر ونفحة الزهر فی شعراء المدينة من أهل العصر

عمر بن عبد السلام الداغستانی

(۱۱۷۳– ۱۲۰۶ ه)

فرغ من تأليفه سنة ۱۲۰۱ ه.

يقوم بتحقيقه عاصم حمدان وبكری شيخ أمين.

۲۹۴– تحفة الزائر

(المعرب، وهو غير تحفة الزائر المعرب الآتی)

عبد اللَّه بن محمد رضا آل شبر الحسينی الكاظمی (۱۲۴۲ ه).

ظ:

كشف الحجب والأستار ۱۰۵، مرآة الكتب ۲/ ۱۳۵، الذريعة ۳/ ۴۳۸، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللَّه عليهم ۹/ ۳۹۵.

۲۹۵– تحفة الزائر

عبد المطلب الحسينی

ظ:

الذريعة ۳/ ۴۳۹، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللَّه عليهم ۹/ ۳۹۵.

۲۹۶– تحفة الزائر

(فی الزيارات المروية بطرق معتبرة، بالفارسية)

محمد باقر المجلسی

طهران: ۱۲۶۱ ه، و ۱۲۷۴ ه، و ۱۳۱۳ ه.

طهران: ۱۳۱۴ ه، ۵۸۷ص، حجرية (باهتمام: فضل اللَّه النوری)

تبريز: ۱۳۶۲ ه، و ۱۳۰۰ ه.

ص: ۲۹۱

۲۹۷- تحفهٔ الزائرين (بالفارسيهٔ)

محمد حسينصديقى

مشهد: كاروانصداقت، ط ۵، ۱۳۹۰ ه، ۱۰۵ص.

۲۹۸- تحفهٔ الزائرين (بالفارسيهٔ)

ناصر الدين حنفى حسن بخارى

بخارى: ملا محمد مهدى مخدوم، ۱۳۲۸ ه، ۱۴۴ص، حجريهٔ، رحلى.

۲۹۹- تحفهٔ الزائرين

(مجموعهٔ من الزيارات والمناجاهٔ والقصايد فى مديح ثامن الأئمهٔ عليه السلام وأخته المدفونهٔ بقم).

على خانصفاء السلطنهٔ النائنى.

خ: الرضويهٔ، تاريخها ۱۳۰۰ ه.

ظ:

الذريعهٔ ۳/ ۴۳۹، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللَّه عليهم ۹/ ۳۹۶.

۳۰۰- التحفهٔ الزاكيهٔ فى دخول المدينهٔ المنوّرهٔ وآداب الزيارهٔ الشرعيهٔ

عبد الرحمن محمد المدنى

القاهرهٔ: مطبعهٔ مدكور، ۱۹۵۳ م، ۸، ۳۰ص.

۳۰۱- تحفهٔ الزوّار

عبد الرزاق المؤمن

ظ: ايضاح المكنون ۱/ ۲۴۹، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللَّه عليهم ۹/ ۳۹۶.

۳۰۲- تحفهٔ الزوار الى قبر النبى المختار

أحمد بن حجر الهيثمى (ت ۹۷۴ ه)

خ:

الحرم المكى برقم ۱۳۳.

ظ:

ايضاح المكنون ۱/ ۲۴۹،

هديهٔ العارفين ۱/ ۱۴۶،

معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله ۳۵۴.

۳۰۳- التحفهٔ الشمّاء فى تاريخ العين الزرقاء

أحمد ياسين الخيارى

تعليق واخراج: عبيد اللَّه محمد أمين كردى

طبع عام ۱۴۱۲ ه.

۳۰۴- تحفهٔ القرى فى فضل القاطنين بامّ القرى

على بن أبى بكر ابن الجمال المكى

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۳۰۵- تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام (وهو مختصر شفاء الغرام)

محمد بن أحمد الفاسی (ت ۸۳۲ ه)

ظ:

كشف الظنون ۱/ ۳۷۲،

معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلی الله علیه و آله ۱۸.

ص: ٢٩٢

٣٠۶- تحفة الكرام بأخبار عمارة السقف والباب من البيت الحرام

علىّ بن عبد القادر الطبرى (ت ١٠٧٠ ه)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (٣- ۴/ ١۴١٠ ه/ ١٠- ١١/ ١٩٨٩ م)ص ٢٠۴.

٣٠٧- تحفة اللّطائف فى فضائل ابن عباس ووج والطائف

عبد الحفيظ بن عثمان القارى (ت ١٣٢۶ ه)

خ:

الحرم المكى برقم ١۵

٣٠٨- التحفة اللطيفة فى أنباء المسجد والكعبة الشريفة

جار اللّه بن عبد العزيز ابن فهد (ت ٩۵۴ ه)

ظ:

كشف الظنون ١/ ٢٧٣،

معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله ١٨،

فهرس الفهارس والاثبات ٩١٢.

٣٠٩- التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة

شمس الدين أبى الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى المصرى الشافعى

(٨٣١- ٩٠٢ ه)

خ:

طوپ قپو سراى ٧٢۵ M فى ۴١٢ ورقة، سنة ٩۵٢ ه.

مكتبة المرعشى بقم مصوّرة عن نسخة طوپ قپو سراى برقم ١٩٨.

المدينة برقم ۵٢٧، سنة ٩۵٢ ه.

طبع فى:

القاهرة: ط ١، ١٩۵٧ م (بعناية: أسعد در ابزونى).

القاهرة: دار الثقافة للطباعة، ١٣٩٩ ه (نشر: أحمد طرابزونى وبعناية محمد حامد الفقى)

ظ:

بروكلمان الذيل ٢/ ٣٣، فهرس المخطوطات المصورة فى مكتبة المرعشى ١/ ١٨١، معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله ٩۴.

٣١٠- التحفة اللطيفة فى عمارة المسجد النبوى وسور المدينة الشريفة

محمد بن خضر الرومى الحنفى (ت ٩۴٨ ه)

مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية (مدريد)، المجلد الأول، الجزء الثالث (١٩۵۵ م)ص ١۴٩ - ١۵٧ (بعناية: عبد العزيز الاهوانى)

وأعاد نشرها: حمد الجاسر فى (رسائل فى تاريخ المدينةص ٨۵- ٢٩٢).

ص: ۲۹۳

۳۱۱- تحفة المجاور

(فی فضل زیارة الأئمة الطاهرین علیهم السلام وبالأخص الامام الحسین علیه السلام، بالفارسیة)

محمد کاظم بن محمد شفیع الهزار جریبی، ألّفه سنة ۱۲۲۲ ه.

خ:

المرعشی بقم، مجموعة ۴۳۷۰، من ۵۸ پ- ۷۵ ر.

ظ:

فهرس المرعشی ۱۱/ ۳۷۱- ۳۷۲، معجم ما کتب عن الرسول وأهل البیت علیهم السلام ۹/ ۴۰۰.

۳۱۲- تحفة المحب للمحبوب فی تنزیه مسجد الرسول عن کل خصی ومجبوب

(رسالة کتبها الی السلطان سلیمان)

محمد بن زین الدین الخطیب بالحرم النبوی

ظ:

کشف الظنون ۳۷۳،

معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلی الله علیه و آله ۱۷۳.

۳۱۳- تحفة المحبّین لزیارة مسجد سید المرسلین

جعفر بن حسین هاشم الحسینی المدنی

دمشق: مطبعة المقتبس، ۱۴ص.

ظ:

معجم المطبوعات العربیة لسرکیس ۷۷۷.

۳۱۴- تحفة المحبّین والأصحاب فی معرفة ما للمدنیّین من أنساب

عبد الرحمن بن عبد الکریم الأنصاری

(۱۱۲۴- ۱۱۹۷ ه)

تحقیق: محمد العروسی المطوی

طبع فی عام ۱۳۹۰ ه.

۳۱۵- تحفة المحبّین للمحبوب فی تنزیه مسجد رسول اللّه من کلّ خصیّ ومجبوب (رسالة)

جمال الدین القطان (من علماء القرن الثانی عشر)

ظ:

العرب. س ۳۱، ج ۱، ۲ (۷- ۸/ ۱۴۱۶ ه/ ۱۲/ ۹۵- ۱/ ۱۹۹۶ م)ص ۷۶.

۳۱۶- التحفة المختارة فی ثواب الزیارة

محمد بن أحمد الموسوم

(۱۲۳۷- ۱۳۰۰ ه)

ظ:

معجم أعلام الجزائر ۳۲۳،

معجم المؤلّفين ۹/ ۲۳.

۳۱۷- التحفة المختارة فی الرد علی منکر الزیارة

تاج الدین عمر بن علی اللخمی المالکی الفاکهانی (ت ۸۳۱ ه)

ظ:

الغدیر ۵/ ۸۶.

ص: ۲۹۴

۳۱۸- تحفة الناسک فی بیان المناسک

أحمد الاسلامبولی

علّق علیه: عبد اللطیفصالح فرفور

دمشق: مکتبة دار الفتح، ۱۹۷۰ م، ۱۹۱ص.

۳۱۹- تحفة النسّاک

(ارجوزة فی مناسک الحج)

طاهر بن عبد علی بن عبد الرسول الحجّامی المالکی (ت ۱۲۷۹ ه)

ظ: الذریعة ۳/ ۴۷۷.

۳۲۰- التحفة الیمنیة فی الأخبار الحجازیة

محمد الیمنی بن علی بن عرعار محار العنابی الجزائری

القاهرة: ۱۳۱۱ ه، ۳۹ص.

۳۲۱- تحقیق حول الجدال المحظور فی الحج

عباس علی عمید الزنجانی

(طهران): مؤسسة الحج، ط ۱، ۱۳۶۴ ش، ۴۰ص، ۲۱ سم.

۳۲۲- تحقیق حول شعب أبی طالب

علی قاضی عسکر

میقات الحج ع ۳ (۱۴۱۶ ه)ص ۱۶۸- ۱۹۹.

۳۲۳- تحقیق النصرة بتلخیص معالم دار الهجرة

(جمعه من کتابی: الدرّة الثمینة فی تاریخ المدینة، لمحبّ الدین ابن النجار، والذیل الذی کتبه الشیخ جمال الدین محمد بن أحمد المطری)

زین العابدین أبی بکر بن الحسین بن عمر العثمانی المراغی (ت ۸۱۶ ه)

خ:

طوب قبو سرای برقم ۸۹۴ ۱۰۶۶ K

المرعشی بقم برقم ۴۸۳۷ فی ۹۴ ورقة.

مغنیسیا ۱۳۳۶/ ۱، کتب فی حیاة المؤلف سنة ۷۷۷ ه

دار الکتب، تاریخ ۵۹.

دار الکتب المصریة برقم ۵۹ تاریخ، واخری برقم ۱۶۴۱ تاریخ.

طبع فی:

القاهرة: ۱۹۵۵ م.

المدینة المنورة: المکتبة العلمیة، ط ۲، ۱۴۰۱ ه (تحقیق محمد عبد الجواد الأصمعی)

ظ:

صلة الخلف بموصول السلف ۱۷۹،

كشف الظنون ۱/ ۳۷۸،

فهرس المرعشى ۱۳/ ۳۳- ۳۷،

الغدير ۵/ ۱۱۵،

معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله ۹۵،

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ۱/ ۳۶۰.

ص: ۲۹۵

۳۲۴- التحقيق والايضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنّة

عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز

المدينة المنورة، ادارة البحوث العلمية والافتاء، ط ۲۰، ۱۳۹۷ ه، ۹۴ص، ۲۱ سم.

۳۲۵- تحقيق وتتبع حجّ از نظر قرآن

(بالفارسية)

ناصر كمرهاى

جامعة طهران: كلية الالهيات، ۱۳۴۸ ش، ۱۰۸ص (رسالة جامعية)

۳۲۶- تحقيقى درباره أخبار حجة الوداع

(بالفارسية)

ابوالقاسم اجتهادى

مقالات وبررسيها (طهران) ع ۲۵، ۲۶ (۱۳۵۵ ش)ص ۱۲۳- ۱۳۸.

۳۲۷- تحليل زمانى ومكانى لزيارة الحجاج المسلمين الى المدينة المنورة

عيسى موسى الشاعر

المجلة العربية للعلوم الانسانية (الكويت) مج ۲: ع ۸ (خريف ۱۹۸۲ م)ص ۱۵۰.

۳۲۸- تحليلى از مناسك حجّ

(بالفارسية)

على شريعتى

طهران: انتشارات الهام، ط ۵، ۱۳۷۳ ش، ۳۰۴ص، ۲۴ سم.

۳۲۹- تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة

ابراهيم العدوى

منبر الاسلام س ۴۹: ع ۸ (۲/ ۱۹۹۱ م) شعبان ۱۴۱۱ هص ۶۷- ۷۰.

۳۳۰- تحية الزائر

اسماعيل بن على نقى التبريزى

(۱۲۹۵ ه)

ظ:

الذريعة ۳/ ۴۸۸، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللَّه عليهم ۹/ ۴۰۲.

۳۳۱- تحية الزائر

(بالفارسية)

حسين النورى

طهران: ۱۳۲۰ ه، ۳۵۵ص، حجرية.

تبريز: ۱۳۲۲ ه، حجرية.

طهران: ۱۳۲۷ ه، ۴۳۱ص، ۲۱ سم، حجرية.

۳۳۲- تحية الزائر

عبد اللَّه بن محمد رضا آل شبر الحسينى الكاظمى (ت ۱۲۴۲ ه)

ظ:

الذريعة ۳/ ۴۸۹، ۲۴/ ۹۴، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللّه عليهم ۹/ ۴۰۲.

ص: ۲۹۶

۳۳۳- تدويل الحرمين بدعة لا يقرها الإسلام

جاد الحق على جاد الحق

رسالة الإسلام (القاهرة) ع ۲۷ (۵/ ۱۹۸۸ م)ص ۲۲- ۲۳.

۳۳۴- تذكار الحجاز

عبد العزيزصبرى

القاهرة: المطبعة السلفية، ۱۳۴۲ ه، ۲۲۸ص.

۳۳۵- تذكرات وتوصيه‌هاى ضرورى به زائران بيت اللّه الحرام (بالفارسية)

طهران: منظمة الحج والأوقاف والامور الخيرية، ط ۱، ۱۳۶۵ ش، ۴۸ص، ۱۷ سم.

۳۳۶- تذكرة الطريق فى مصائب حجاج بيت العتيق

خ: برلين برقم ۴۵۴.

۳۳۷- تذييل شفاء الغرام

الصديقى

مخطوط

ظ:

المنهل (جدة) مج ۵۱: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه)ص ۱۹۹.

۳۳۸- التراتيب الإداريـة والعمالات والصـناعات والمتاجر والحالـة العلميّـة التى كانت على عهد تأسـيس المدينة الإسـلامية فى المدينة المنوّرة العلية

عبد الحى بن عبد الكبير بن محمد الإدريسى الكتانى (ت بعد سنة ۱۳۷۸ ه)

الرباط: ۱۳۴۶ ه.

بيروت: دار الكتاب العربى (أفسيت)

بيروت: دار الكتاب الدولى، ۱۹۸۴ م، ۲ مج، ۲۵ سم.

مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق مج ۹:

ص ۱۲۶ (مسعود الكواكبى) ومج ۱۱:

ص ۴۴۵- ۴۴۷ (عبد القادر المغربى)

۳۳۹- تراجم أعيان الحجاز واليمن فى القرن الحادى عشر

محمد أمين بن فضل اللّه بن محبّ اللّه بن محمد (ت ۱۱۱۱ ه)

خ: جامعة برنستون، برقم ۷۱۰.

۳۴۰- تراجم أعيان المدينة المنورة فى القرن الثانى عشر الهجرى

أبو محمد المقدسى

حققه: محمد التونجى.

د. م: دار الشروق، ۱۴۰۴ ه.

۳۴۱- تراجم الفضلاء من المدينة

محمد بن عبد اللَّه المعروف بمحمد كبريت (١٠٧٠ ه)

ظ:

العرب. س ٣١: ج ١، ٢ (٧- ٨/ ١٤١٦ ه/ ١٢/ ٩٥- ١/ ١٩٩٦ م)ص ٧٨.

ص: ۲۹۷

۳۴۲- تراجم مشايخ الكتاتيب فى بلد الحبيب

دخيل اللَّه عبد اللَّه حميد الحيدرى

ظ:

موسوعة الادباء والكتّاب السعوديين ۱/ ۲۸۸.

۳۴۳- التراويح: أكثر من ألف عام فى مسجد النبى عليه الصلاة والسلام

عطية محمد سالم

المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ۱۹۸۷ م، ۱۹۶ص.

۳۴۴- ترجمة الأعلام فى أخبار بلد اللَّه الحرام

محمود عبد الباقى الرومى

(۹۳۳- ۱۰۰۸ ه)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۳۴۵- ترجمه باب حجّ از كتاب «المختصر النافع» وتطبيق آن با حجّ در فقه عامّه (بالفارسية)

حسين كفّاش

جامعة طهران: كلية الالهيات، ۱۳۵۶ ش، د+ ۱۳۰ص (رسالةجامعية)

۳۴۶- ترجمة الحج (بالفارسية)

محسن الفيض الكاشانى (ت ۱۰۹۱ ه)

خ: سپهسالار، برقم ۶۳۹۸.

۳۴۷- ترجمة كتاب «اخبار مكه شرّفها اللَّه تعالى وما جاء فيها من الآثار»

(بالفارسية)

محمد بن عبد اللَّه بن أحمد الأزرقى

ترجمة: محمود مهدوى الدامغانى

طهران: بنياد، ۶۲۳ص، ۲ ج فى ۱ مج.

۳۴۸- ترجمة منتخب كامل الزيارات

ابن قولويه

طهران: ميقات، ۱۳۶۵ ش/ ۱۹۸۶ م، ۳۷۸ص، ۲۴ سم.

۳۴۹- ترجمه منتخب مناسک حج

صاحب الجواهر

خ: مسجد اعظم بقم، برقم ۲۹۲۷، تاريخها ۱۲۶۸ ه.

ظ:

فهرست نسخه‌هاى خطى كتابخانه مسجد اعظم قم،ص ۳۸۵.

۳۵۰- ترجمة وشرح زيارت شريفه جامعه كبيره (بالفارسية)

محمد محدّث خراسانى

مشهد: ١٣٤٨ ش، ١٨٠ص.

٣٥١- التردد على الآثار النبوية والمشاهد الدينية والتبرك بزيارتها

محمد علوى المالكى

الاسلام وطن (القاهرة) س ۴: ع ٣٨ (۵/ ١٩٩٠)ص ١۴- ١۵.

ص: ٢٩٨

٣٥٢- ترغيب أهل المودّة والوفاء فى سكن دار الحبيب المصطفى

اسماعيل عبد اللَّه النقشبندى

خ:

عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٦٧/ ٩٠٠.

احدى المكتبات فى المدينة المنورة تاريخها ١٢٦٩ ه.

٣٥٣- ترغيب فى الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام

عبد النبى غالب أحمد عيسى

الخرطوم: دار الفكر، ط ٣، ١٩٨٧، ٥٦ص.

٣٥۴- ترك الصلاة على محمد وآله فى الركوع والسجود

أحمد بنصالح بن طوق

ظ:

الموسم مج ٣: ع ٩، ١٠ (١۴١١ ه)،ص ۴٢٩.

٣٥٥- تسهيل أمور الزوّار

(وهو فى زيارات قبور الأئمة الأطهار عليهم السلام الواقعة فى العتبات)

محمود بن على بن محمد الحسينى التبريزى (ت ١٣٣٨ ه)

ظ:

الذريعة ۴/ ١٨١، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٩/ ۴٠٩.

٣٥٦- التشويق الى البيت العتيق

جمال الدين محمد بن أحمد الطبرى المكى الشافعى

ظ:

المنهل (جدة) س ٥٦: ع ۴٧٥ (٣- ۴/ ١۴١٠ ه/ ١٠- ١١/ ١٩٨٩ م)ص ٢٠۴.

٣٥٧- تشويق الأنام الى الحج الى البيت الحرام

مرعى بن يوسف الكرمى المقدسى

ظ:

المنهل (جدة) س ٥٦: ع ۴٧٥ (٣- ۴/ ١۴١٠ ه/ ١٠- ١١/ ١٩٨٩ م)ص ٢٠۴.

٣٥٨- تشويق الحرمين

فضل اللَّه بن القاضى نصير الكسائى

ظ:

المنهل (جدة) س ٥٦: ع ۴٧٥ (٣- ۴/ ١۴١٠ ه/ ١٠- ١١/ ١٩٨٩ م)ص ٢٠۴.

٣٥٩- تصاوير الحرمين المكى والنبوى فى الفن الإسلامى

ربيع حامد خليفة

الأزهر س ٥٥: ج ۴ (۴/ ١۴٠٣ ه ١/ ١٩٨٣ م)ص ۴٩٧- ٥٠٣.

٣٦٠- التصوير القرآنى لفريضة الحج

على مصطفيصبيح

الفيصل س ٧: ع ٧٨ (٩- ١/ ١٩٨٣ م)ص ٣٥- ٣٧.

ص: ۲۹۹

۳۶۱- التضحية أنواعها ومجالاتها

نبيه عبد ربه

منار الإسلام (أبو ظبى) س ۱۴: ع ۲ص ۹۵- ۱۰۱.

۳۶۲- تطوّر الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى

محمد فهد عبد اللّه العفر

مكة المكرمة: جامعة امّ القرى، كلية الشريعة، ۱۴۰۰ ه، ۴۷۶ص (رسالة جامعية)

۳۶۳- تطوير العمليات الادارية فى الأجهزة الأمنية لمواجهة مشكلات الحجاج: دراسة تطبيقية على إمارة مكة المكرمة

عويض سويلم القثامى

الرياض: المعهد العالى للعلوم الأمنية، ۱۴۱۵ ه (رسالة ماجستير).

۳۶۴- تعريف بكتاب «أخبار مكة» للفاكهى

محمد على مهدوى‌راد

ميقات الحج ع ۲ (۱۴۱۵ ه)ص ۲۹۳- ۳۱۷.

۳۶۵- التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة

(فى تاريخ المدينة المنورة)

جمال الدين أبى عبد اللّه محمد بن أبى جعفر أحمد بن خلف الخزرجى السعدى العبادى المدنى المعروف:

بالمطرى (ت ۷۴۱ ه)

خ:

مكتبة لاله لى اسماعيل ۶۲.

دار الكتب، تاريخ ۵۶.

جامعة كمبردج برقم ۷۹۰ أدد مشترك، ۶۶ ورقة.

عارف حكمت برقم ۶۹/ ۹۰۰.

دار الكتب المصرية برقم ۶۳۸ تاريخ تيمور.

جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب، ۱۴۰۵ ه.

(حقّقه: عبد اللّه بن سليمان بن محمد اللهيب) (رسالة ماجستير)

ظ:

ايضاح المكنون ۱/ ۲۹۶،

معجم ما ألّف عن رسول اللّهصلى الله عليه و آله ۹۵،

المورد مج ۳: ع ۴ (۱۹۷۴ م)ص ۲۶۹،

معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ۱/ ۳۹۸.

۳۶۶- تعريف الحرمين

(بالفارسية)

محمود بن محمد

ظ:

فهرست مشترك باكستان ۱۰/ ۱۵.

ص: ۳۰۰

۳۶۷- تعلم كيف تحج وتعتمر على المذاهب الأربعة

نور الدين عتر

دمشق: الشركة المتحدة للتوزيع، ط ۱، ۱۹۸۴ م، ۱۵۹ص.

۳۶۸- التعليم الأهلى للبنين فى مكّة المكرّمة: تنظيمه والاشراف عليه

فيصل عبد اللّٰه المقادى

مكة المكرمة: نادى مكة الثقافى، ۱۴۰۴- ۱۴۰۵ ه، ۲۹۸ص، ۲۴ سم.

۳۶۹- التعليم فى المدينة المنورة فى عهد النبيصلى الله عليه و آله و سلم.

سندلافى الشامانى الحربى

المدينة المنورة: جامعة الملك عبد العزيز، كلية التربية، ۱۴۱۱ ه (رسالة ماجستير)

۳۷۰- التعليم فى المدينة المنورة من العام الهجرى الأول الى عام ۱۴۱۲ ه.

(دراسة تاريخية وصفية تحليلية)

ناجى محمد حسن عبد القادر الأنصارى

المدينة المنوّرة: المؤلف، ۱۴۱۴ ه، ۷۹۶ص، ۲۱ سم.

۳۷۱- التعليم فى مكة فى مطلع هذا القرن

العرب س ۱۳:ص ۵۳۱.

۳۷۲- التعليم فى مكّة والمدينة آخر العهد العثمانى

محمد عبد الرحمان الشامخ

الرياض: دار العلوم، ط ۲، ۱۴۰۲ ه، ۱۸۳ص، ۲۴ سم.

۳۷۳- تعليمات الحج للعام الحالى ۱۴۱۱ ه

الرابطة (مكة المكرمة) س ۲۹: ع ۳۱۵ (۵/ ۱۹۹۱)،ص ۱۷- ۲۷.

۳۷۴- تعيين سمت قبله مدينه توسط پيامبر اسلامصلى الله عليه و آله و سلم

(بالفارسية)

حسن حسن زاده آملى

ميقات حج س ۱:ع ۲ (زمستان ۱۳۷۱ ش)،ص ۴۳- ۵۲.

۳۷۵- تفضيل مكة على المدينة

ابن القيم الجوزية (۶۹۱- ۷۵۱ ه)

ظ:

المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۴.

۳۷۶- تقريب بين شيعه وسنت در مناسك حج

(بالفارسية)

عبد اللّٰه بى‌آزار شيرازى

ميقات حج س ۱:ع ۱ (پاييز ۱۳۷۱ ش)ص ۱۱۶- ۱۰۹.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبـارِ الرِّضـا(ع)، الشّـيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهـم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"
تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)
رقم التسجیل: ۲۳۷۳
الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶
الموقع: www.ghaemiyeh.com
البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com
المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com
الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)
الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)
مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)
التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹
امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شـَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز القائمية اصفهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹